إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الإبداع الحضاري للمسلمين في الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name — اسم الطالب: محمد خليل محمد البردويل

Signature — التوقيع:

Date: — التاريخ: ٢٢/٧/٢٠١٥م

الجامعـــــة الإســـــلامية – غـــــزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــــــــــــــة الآداب
قســــم التـــــاريخ والآثـــــار



الإبداع الحضاري للمسلمين في الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة

(138- 422هـ =755 - 1030م)

Muslims cultural creativity in Andalusia in the eraes of Emirate and caliphate

(138-422 AH= 755-1030 AD)

إعداد الباحث

مجدي خليل محمد البردويل

إشراف الأستاذ الدكتور

خالد يونس الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم التاريخ بكلية الآداب من الجامعة الإسلامية ـ غزة

1435هـ = 2014م



الجامعة الإسلامية – غزة

The Islamic University - Gaza



مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2015/06/16م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ مجدي خليل محمد البردويل لنيل درجة الماجستير في كلية *الآداب*/ قسم التاريخ، وموضوعها:

الإبداع الحضاري للمسلمين في الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة

(138-422هـ = 755 - 1030م)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 29 شعبان 1436هـ، الموافق 2015/06/16م الساعة الرابعة مساءً بمبنى طيبة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. خالد يونس الخالدي	مشرفاً و رئيساً	....
د. إبراهيم أحمد أبو شبيكة	مناقشاً داخلياً	....
د. يوسف إبراهيم الزاملي	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية *الآداب*/قسم التاريخ.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي وللدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف Tel: +970 (8) 286 0700 فاكس fax: +970 (8) 286 0800 P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine

public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

هود (88)

الإهداء

- إلى روح والدي ووالدتي الغوالي رحمهما الله.
- إلى شهداء فلسطين ...
- إلى أسرى الحرية البواسل فرج الله كربهم.
- إلى العلماء المؤمنين المخلصين .
- إلى عائلتي وأسرتي العزيزة.

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يشكر الناس لا يشكر الله)[1]. أتقدم

بخالص الشكر والتقدير والامتنان إلى

الأستاذ الدكتور

خالد يونس الخالدي

لإشرافه المتواصل على هذه الرسالة، وحثه الدائم لي على ضرورة العمل بإتقان،

ومتابعته المتأنية لتقويم عملي، وتصحيحه، وتحفيزه الدائم لي، وإسنادي بكل ما

يلزم هذا البحث المتواضع من علم أو نصح، فله كل التقدير والاحترام.

وكذلك لكل أساتذتي الأفاضل الذين لم يبخلوا علي بعلمهم، ولكل من ساهم في إنجاز

وإخراج هذه الرسالة، لهم جميعاً جزيل الشكر.

الباحث

1 الترمذي، سنن، ج4، ص339، رقم الحديث1954.

فهرس المحتويات

قائمة الرموز والمختصرات

ت	توفى
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
م	ميلادي
هـ	هجري
مج	مجلد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، أما بعد:

قامت في ظل الحكم الإسلامي للأندلس حضارة فريدة متميزة، تفوقت على غيرها من الحضارات، وما زالت آثارها شاهدة على عظمتها، وقد تميزت تلك الحضارة بالإبداع في مختلف المجالات الفكرية والثقافية والمعمارية والصناعية والزراعية والتجارية والاجتماعية والعسكرية، وقد نجح مسلمو الأندلس بإبداع تلك الحضارة بسبب جمعهم بين الإيمان والعلم، و الروح والمادة، وعمارة الدنيا والعمل للآخرة، وقد ساعدهم على الإبداع، استيعابهم لحقيقة دينهم وتعاليمه، وإحاطتهم بالحضارات الأخرى، والاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وجمال الطبيعة في الأندلس وأرضها الخصبة، ومناخها المعتدل.

مبررات الدراسة:

1. ندرة الدراسات الأكاديمية الجادة التي تناولت هذا الموضوع بالرغم من أهميته.
2. تميز الحضارة الإسلامية في الأندلس بجوانب عدة من الإبداع في مختلف المجالات والحاجة لإبرازها في دراسة متخصصة تظهر تلك الإبداعات.
3. الأثر الكبير الذي لعبته الحضارة الإسلامية في الأندلس في الحضارة الأوربية المعاصرة، حيث نقل الأوربيون إبداعات المسلمين وبنوا عليها.
4. حاجة الأمة الماسة إلى نماذج من المبدعين المسلمين يقتدي بها أبناؤها وبدورهم يستعيدون مجدها التليد.
5. ما تميزت به الحضارة الإسلامية في الأندلس من جمع بين الجانب المادي للحضارة والجانب الروحي القيمي الذي تفتقر إليه الحضارات المادية المعاصرة، يدفعنا لتسليط الضوء على الحضارة الإسلامية الأندلسية؛ لإظهار الفرق الشاسع بين الحضارة في ظل الإسلام، والحضارات البعيدة عن الروح والقيم.
6. إن كثيراً من إبداعات مسلمي الأندلس كانت من عجائب الدنيا في عصرهم، وما زال بعضها لغزاً يبهر ويحير حتى أهل زماننا المتقدمين في المجال المعماري والصناعي.
7. تمكن الحضارة الإسلامية الأندلسية من التأثير الكبير السريع في معتقدات القوط وعاداتهم، وتقاليدهم، ولغتهم، وثقافتهم وهو بدوره يعد مؤشراً على الإبداع الحضاري الإسلامي في الأندلس وهو ما يستحق الدراسة والتأمل.

فصول الدراسة:

جاءت الرسالة في مقدمة، وستة فصول وخاتمة: أما **المقدمة** فقد تناولت أسباب الكتابة في الموضوع وأهميته، وذكر فصول البحث، ولقد اعتنى **الفصل الأول** ببيان مؤهلات الإبداع عند مسلمي الأندلس، وتم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، تتحدث عن جغرافية الأندلس، من موقع ومناخ وثروات طبيعية، وعن مبادئ الإسلام وتعاليمه، وأثر العلم في التطور الحضاري في الأندلس.

وجاء **الفصل الثاني** بعنوان: الإبداع الفكري والثقافي لمسلمي الأندلس، في ثلاث مباحث، وتم الحديث فيه عن الإبداع الفكري والعلمي، والإبداع في الفقه، والأدب، و التعليم.

أما **الفصل الثالث** فكان بعنوان: الإبداع الاجتماعي والفني لمسلمي الأندلس، وتكون من ثلاثة مباحث وتناول الإبداع في فن العمارة والبناء، والموسيقى والغناء، والإبداع في العادات والتقاليد الأخرى.

والفصل الرابع تحدث عن الإبداع السياسي والإداري لمسلمي الأندلس: وجاء في ثلاثة مباحث، تناولت الإبداع السياسي في عهد الإمارة، وفي عهد الخلافة، والإبداع الإداري في عهدي الإمارة والخلافة.

وجاء **الفصل الخامس** بعنوان: الإبداع الاقتصادي الزراعي، والصناعي، والتجاري.

أما **الفصل السادس** فجاء بعنوان: الإبداع العسكري لمسلمي الأندلس، حيث تم الحديث فيه عن بناء الجيش الأندلسي، والسلاح، وإعداد الخطط والحملات العسكرية، والإبداع في إعداد الأسوار والحصون والثغور.

وختم الباحث دراسته بأهم النتائج التي خلصت لها الدراسة.

منهج الدراسة:

- المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.
- سيركز الباحث بالدرجة الأولى على مصادر التاريخ الإسلامي، إضافة إلى المصادر الأجنبية المترجمة.
- سيترجم الباحث للأعلام والأماكن التي يغلب على ظنه أنها غير معروفة للمتخصصين.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث والمراجعة تبين أن الموضوع لمُ يطرَق من قبل، ولم تكتب فيه دراسة علمية متخصصة، اللهم إلا من دراسة علمية بعنوان الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي للباحث نادر فرج زيارة، حيث تناول في احد الفصول المجتمع الأندلسي، عاداته وتقاليده والمبالغة الزائدة في العمارة الإسلامية، وتتميز هذه الدراسة عن الدراسة السابقة بأنها تتحدث عن الإبداع في المجتمع الأندلسي وتتناول ما تميز به هذا المجتمع عن غيره في عاداته وتقاليده، ولم يعثر الباحث في حدود علمه علي أي بحث أو دراسة سابقة تناولت الإبداع الحضاري في مختلف نواحي الحياة بالأندلس.

الفصل الأول
مؤهلات الإبداع عند مسلمي الأندلس

- **المبحث الأول: جغرافيا الأندلس.**
- **المبحث الثاني: مبادئ الإسلام وتعاليمه.**
- **المبحث الثالث: العلم.**

المبحث الأول

جغرافيا الأندلس

كان للطبيعة الجغرافية للأندلس دورٌ مهمٌ في نشوء الحضارة، وتواجد السكان في تلك المنطقة، منذ قديم الزمان، وعُرفت الأندلس بكثرة خيراتها وثرواتها الطبيعية، لذلك سنورد لمحة عن جغرافيا الأندلس تبين أثر الجغرافيا على الإبداع الحضاري، وكيف استفاد الأندلسيون من الثروات الطبيعية، واستثمروها في التقدم والتطور والازدهار في تلك البلاد.

عرفت شبه الجزيرة الأيبيرية[1] أي أسبانيا والبرتغال منذ الأزمان القديمة باسم(ايباريا) أوأصبانيا[2]، أما مصطلح الأندلس الذي يشمل كل المناطق التي حكمها المسلمون من شبه الجزيرة، فقد اشتقه الجغرافيون المسلمون، والمؤرخون العرب من الكلمات الآتية: الأندلش أوالأندلوشن، أو الأندلس، وهي الأسماء التي سُمي بها الوندال، الذين سيطروا على أجزاء من شبه الجزيرة الأيبيرية في الفترة من (408–429م)[3]، ويؤكد معظم المؤرخين على أن أصل هذه التسمية تعود إلى عجم روما الذين ملكوها، وكان ملكهم (اشبانبن طيطش)، وباسمه سميت الأندلس اشبانيا[4].

من الجدير أن يتعرف القارئ على لمحة جغرافية للأندلس، وعلى تلك الأرض التي احتضنت حضارة إسلامية عريقة، وذلك لأن للجغرافيا دوراً مهماً في نهوض تلك الحضارة .

أولا: الموقع والسطح:

لم يكن عبور المسلمين من قارة إلى أخرى بالأمر الهين والسهل، رغم كل ما جلبه الفتح الإسلامي لتلك البلاد من الخير والحرية والعدالة والمساواة، لذلك كان من الضروري أن يشار إلى جغرافية المنطقة وطبيعتها ولو بلمحة سريعة، حيث تقع شبه الجزيرة الأيبيرية (الأندلس)في قارة

---

(1) وهذه الجزيرة في الإقليم الخامس و الرابع إلى المغرب، ومعظم الأندلس تقع في الإقليم الخامس ومنها في الرابع كإشبيلية، ومالقة، وقرطبة، وغرناطة والمرية ومرسية، والأندلس آخر المعمور في المغرب، لانها متصلة ببحر أقيانس الأعظم، الذي لا عمارة وراءه(الحميري، أبو عبد الله محمد بن محمد المنعم الصنهاجي، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة السعادة ، 1937م،ج1، ص1).

(2) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن أيوب: جغرافيا الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تح: عبد الرحمن الحجي، بيروت ،1968م، ص57،58

(3) ابن عذارى: البيان المغرب، نشر: كولان وليفي بروفنسال ، ليدن، 1948م،ج2، ص2.

(4) المقري:شهاب الدين أحمد بن محمد: نفح الطيب من عطر الأندلس الرطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،ج1،ص67.

أوروبا، وتحديدا في الجنوب الغربي من القارة، وتوجد في الجنوب سلسلة جبال (البورتات) التي تفصله عن الجنوب الفرنسي[(1)(2)].

وتتصل الأندلس بالأرض الكبيرة، ويوجد مضيق جبل طارق[(3)]، حداً فاصل لها من الجنوب، و يبلغ عرضه من الشرق إلى الغرب (13-37كم)، ويفصل القارة الإفريقية عن أوروبا[(4)].

وتقع سواحل الأندلس الشمالية، وكذلك الشمالية الغربية على المحيط الأطلسي عند خليجيعرف (بخليج بسقاية)، الذي توجد عليه مدينة خيخون، وأما سواحلها الغربية فتقع على المحيط الأطلسي، والمعروف عند العرب المسلمين باسم البحر الأخضر[(5)]، والبحر المحيط[(6)]، ويطلق عليه أيضا البحر المحيط الرومي[(7)]، وأطلق عليه العرب المسلمين أيضا بحر الظلمات أو البحر المظلم[(8)]، وتطل من جهة الشرق والجنوب على البحر المتوسط المسمى بالبحر الرومي أو البحر الشامي[(9)].

ولقد وصفت بلاد الأندلس بأنها بلاد طيبة في مائها وهوائها، وأنها أرض مباركة، وهي شامية في طيبها وهواها، يمانية في اعتدالها واستوائها، صينية في احتوائها على المعادن والجواهر، هندية في عَرفها وذكائها، أهوازية في معظم جبايتها وكثرة خيراتها، عدنية في منافع سواحلها، ووصفها

---

(1) ينظر: ملحق رقم (1)،(2).

(2) البكري: جغرافيا الأندلس وأوروبا، ص85؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن محمد المنعم الصنهاجي، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، تح:ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة السعادة ، 1937م، ص142.

(3) جبل خرج منه طارق بن زياد ومنه تم فتح الأندلس، وهو عند الجزيرة الخضراء(الحميري: الروض المعطار، ج1،ص121.

(4) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تح:سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، دار المعارف، 1958م، ص138.

(5) المقري: نفح الطيب،ج1، ص267.

(6) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، تح: علي عبد الواحد، القاهرة، دار المعارف، 1965م،ج1، ص427.

(7) الشنتيري، ابن بسام ،أبو الحسن علي: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، بيروت، دار الطليعة،1975م،ج1، ص13

(8) الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، بيروت، ط1، 1975 م، ص28.

(9) المقري: نفح الطيب ،ج1، ص132.

المؤرخون بأنها من أخصب ارض الله تعالى، وأكثرها بركة، وأغزرها نسلا، وأنه يوجد فيها الخير الوفير [1].

وهذا الوصف الرائع لتلك البلاد يؤكد على أن الجغرافيا وجمال الطبيعة كانتا حافزا مهما للمسلمين، دفعهم دائما للتطور والإبداع، حيث أن تلك البلاد لم تكن غريبة بموقعها وطقسها عن بلاد الشام واليمن، وكذلك تميزت تربتها بالخصوبة، وهذا عاد بالخير الوفير على المسلمين الفاتحين لتلك البلاد، مما ساهم بشكل كبير في إنتاج تلك الحضارة العريقة، التي نافست الحضارة الأوروبية في ذلك الوقت، بل وتفوقت عليها في الكثير من المجالات.

وكان لجبل طارق أهميته في أنه يعد موقعاً تجارياً وتسوقياً مهماً، منذ أقدم العصور، وإلى وقتنا الحاضر، كونه حلقة الاتصال بين أوروبا وأفريقيا، ومن الواضح أنه امتداد مائي ضيق، ولكن له أهمية تجارية كبيرة[2] مما سهل اتصاله بالميناء المقابل له، وهو الجزيرة الخضراء[3]، ولكن هناك صعوبة في الاتصال، وذلك بسبب الطبيعة الجبلية الوعرة، حيث وجود مرتفعات مختلفة إلى الشمال من المنطقة[4]، ولقد سهلت طبيعة المنطقة التي تقع بين الشاطئين الأفريقي والأوروبي الرصدَ على العرب والمسلمين، حيث يمكن لهم أن يروا بالعين المجردة معظم المدن من مقر قيادة الجيش في مدينة طنجة التي تقع في الجانب الغربي من أفريقيا من المضيق الصخرة، التي عرفت فيما بعد بمضيق جبل طارق، وكذلك موقع الجزيرة الخضراء، وكل الساحل الأندلسي[5]، وفي تلك المنطقة توجد البحيرات والجبال مثل جبال (سيليادل بابا)و(سبيرا دل رثين) وكذلك بحيرة (الخندق)، ويخترق الجزيرة نهر يسمى نهر (البورباط)، ويصب في المحيط الأطلسي[6]، وتقع

---

(1) مؤلف مجهول: تاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، بيروت، دار الكتاب العلمي،1428 هـ، ص42.

(2) العبادي، أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، د.ت، ص35.

(3) ويقال لها جزيرة أم حكيم، نيبة لجارية طارق بن زياد، وبينها وبين مدينة قلشانة أربعة وستون ميلا، وهي على ربوة مشرفة على البحر، وسورها متصل به(الحميري: الروض المعطار، ج1، ص18).

(4) طه ،عبد الواحد ذنون :دراسات في التاريخ الأندلسي، الموصل، مطبعة الجامعة ، 1980م، ص21.

(5) ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة: السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، 1956م، ص13.

(6) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس ، تح: إبراهيم الأبياري ،بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،1982م، ص7.

قرية (منيخر دي لافروا تير)إلى الغرب من بحيرة الخندق، عند ثنية نهر البورباط، وذلك على الطريق السوقي، وهذا الطريق له أهمية كبيرة، حيث يربط بين جزيرتي (طريف وقادس)[1].

ولقد استطاع القائد طارق بن زياد أن يستخدم ذكاءه وفطنته، ووظف تلك الظروف الجغرافية في حماية أسطوله، وقطاعاته، أي لصالح الجيش المسلم أثناء الفتح الإسلامي للجزيرة، حيث جعل بحيرة لاخندا على مجنبته اليمنى، وجبل بيروال والبحر على مجنبته اليسرى، وهكذا أصبحت الطريق سهلة للوصول إلى الجزيرة الخضراء في شمال أفريقية، وهذه المزايا سارعت بفتح الجزيرة[2].

والملاحظ أن جغرافية الأندلس بما احتوت عليه من أنهار وسهول وجبال، وطرق بحرية هامة، وأرض خصبة، جعلها أرضاً صالحة لإقامة حضارة زاهية زاخرة بكل ما هو جديد، حيث من المعروف أن تنوع السطح يعني بالضرورة تنوع المناخ، وهذا سيترتب عليه حتما تنوع النباتات والثروات المعدنية والصخرية الأخرى، وذلك بحسب طبيعة الأرض والتربة، مما يفسر لنا وجود الخير الوفير في تلك البلاد، والذي ساهم في عملية البناء والإبداع .

ولقد وصف الجغرافيون والرحالة والمؤرخون بلاد الأندلس بأوصاف كثيرة رائعة، مثل ما وصفها المقري فقال :"إن الأندلس هي الإقليم الرابع من بين الأقاليم السبعة التي تشكل ربع معمور الدنيا، فموقعها وسط البلدان، كريمة البقعة بطبع الخلقة، طيبة التربة مخصبة القاعة، متفجرة الأنهار الغزار، معتدلة الهواء أكثر الأزمان، وكذلك سائر فصولها في أعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسط الحال"[3].

ووصف الإدريسي الأندلس: "أنها جزيرة تحيط بها المياه من كل جانب، ما عدا الجانب الشمالي الشرقي، ويبلغ طولها نحو ألف ومائة ميل، وعرضها نحو ستمائة ميل، وتتألف من هضبة كبرى تسمى (مسيتا)، تشغل جزءاً كبيراً من مساحتها، وتطوقها مجموعة من الجبال مثل (سلسلة جبال الحمراء وسيرامورينا) ويعتبر أهم هذه الجبال، هو جبل قرطبة المعروف باسم (جبل العروس)[4].

---

(1) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي، صورة الأرض ،ليدن ،مطبعة بريل ، 1928م،ص109.

(2) ابن عذارى، أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تاطوان، دار كريماديس ، 1960م، ج2، ص8؛ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي، صفة جزيرة الأندلس، تح :ليفي بروفنسال، القاهرة ، السعادة ،1937م، ص193.

(3) المقري : نفح الطيب ،ج1،ص70.

(4) الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس: وصف المغرب والأندلس من كتاب نزهة المشتاق، ص208، طبعة روما،1975م ؛ المقري: نفح الطيب ،ج2، ص65.

وهكذا يتبين أن طبيعة الأندلس ومناخها ليست واحدة، ولكنها متعددة، نظراً لأنها تتكون من سهول وهضاب وجبال وأودية، ففيها المناطق الخصبة، وكذلك توجد فيها المناطق الجبلية القاحلة، وليست كما صورها بعض الشعراء بأنها كلها سهول خضراء وحقول خصبة ، تلك الخصائص التي تميزت بها تضاريس ومناخ الأندلس جعلها تشتهر بكثرة رياضها يتمتعون ويستجمون فيها، وقد عُرف عن المجتمع الأندلسي حبهم وميلهم إلى الجمال، فكان لديهم النزعة الجمالية، وهذا يفسر لنا حبهم وشغفهم للورود والنباتات والأزهار، وكذلك كثرة زراعة الأشجار في البيوت والدور، و في العمائر والقصور، وبلغ بهم الأمر أن زرعوا في المساجد، وكان مذهب الإمام الأوزاعي الذي عرفوه قبل مذهب الإمام مالك قد صرح لهم بهذا، أي غرس الأشجار في صحن المسجد، وعلى الرغم من معارضة المذهب المالكي لذلك إلا أنهم ظلوا على عادتهم في الزراعة، معتمدين على مذهب الإمام الأوزاعي في ذلك الأمر[1].

ثانياً: الثروات الطبيعية:

استغل الأندلسيون الثروات الطبيعية التي تميزت بوجودها بكثرة في بلاد الأندلس، ومن تلك المصادر وجود الغابات بكثرة في مختلف أنحاء البلاد، والتي تعد مصدراً مهماً من مصادر الثروة، ومادة أولية تدخل في كثير من الصناعات الخفيفة والثقيلة، ولقد استخرج الأندلسيون المعادن المختلفة، كالذهب، والفضة، والرصاص، والحديد، والزئبق من جبال البرانس، وكذلك

(1) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله المالقي: تاريخ قضاة الأندلس المسجا ، نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة ، دار الكتاب العربي، 1948م، ص149.

القصدير من لشبونة[1]، والبلور من لورقة[2]، واشتهرت جبال قرطبة[3] بأنواع الرخام الجيد، وكذلك سرقسطة[4] بالملح الأبيض الصافي[5].

وذكر الإدريسي أن جبال حصن قصنيطية يتوافر فيه معدن الحديد الطيب المتفق على طيبه بكثرة، وكان يوزع إلى جميع أقطار الأندلس[6]، و قد توفر معدني الحديد والنحاس في مدينتي المرية[7] وطليطلة[8][9].

واستخدمت تلك الثروة الطبيعية المهمة في صناعات متعددة أبدعها الأندلسيون منها صناعة الآلات والسفن[10]، والمراسي والمسامير، وصناعة الآلات الحادة، كالمزاليج والمفصلات، وما يتعلق بأعمال البناء[11]، وكذلك تم استخراج الذهب والنحاس اللذين صنعت منهما الطسوت في دار الصناعة بقرطبة، وكذلك أبواب المساجد، حيث كانت مصفحة بصفائح النحاس[12].

---

(1) وهي مدينة قديمة،على سيف البحر، وسورها رائق البنيان،والمدينة في ذاتها حسنة ممتدة مع النهر، ولها سور ، وقصبة منيعة، وتقع على نحر البحر المظلم، وعلى ضفته من جنوبه قبالتها حصن المعدن(الحميري: الروض المعطار، ج1، ص16).

(2) وتقع المدينة على ظهر جبل، وكثيرة الزرع والضرع، ويوجد بها أسواق وربض في أسفل المدينة، ويوجد على الربض سور، وفي الربض السوق، وبينها وبين مرسية أربعون ميلا، وهي غنية بالمعادن(الحميري: الروض المعطار، ج1، ص171).

(3) وهي قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين، وآثارهم بها ظاهرة، ولقد اشتهر أهلها بصحة المذهب، وطيب المكسب، وجميل الأخلاق، وكان فيها أعلام العلماء، وسادة الفضلاء، وتجارها مياسير،وهي عبارة عن مدن خمس، وبين المدينة والمدينة سور حاجز،ويوجد في كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات الأخرى(الحميري: الروض المعطار، ج1، ص153).

(4) وهي المدينة البيضاء، كبيرة القطر، واسعة الشوارع، حسنة المساكن، وتقع على ضفة نهر كبير،وتصب فيها انهار كثيرة،وأكثر بنيانها من الرخام، وبها جسر عظيم يجاز عليه إلى المدينة، ولها أسوار منيعة، واسمها مشتق من اسم قيصر، وهو الذي بناها(الحميري: الروض المعطار،ج1، ص96).

(5) المقري : نفح الطيب ،ج1، ص145-150.

(6) الإدريسي: صفة المغرب، ص187.

(7) أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله، عبد الرحمن ابن محمد سنة(344هـ)،وبها بنيت محارس، وكان الناس يرابطون فيها، ويوجد بها سور حصين منيع(الحميري: الروض المعطار، ج1، ص183).

(8) وهي مركز لجميع بلاد الأندلس، وهي عظيمة القطر، كثيرة البشر، وتقع على ضفة النهر الكبير، ولها قنطرة من عجائب البلدان(الحميري: الروض المعطار، ج1 ، ص130).

(9) الإدريسي: صفة المغرب، ص189.

(10) المصدر نفسه: ص189.

(11) المقري: نفح الطيب ،ج2، ص95.

(12) الإدريسي: صفة المغرب ، ص210.

واستخرجوا الفضة والرصاص والزئبق والبلور والكبريت والملح، واشتهرت مناطق بعينها بمثل هذه المعادن، مثلا: الفضة والنحاس استخرجا من المناطق الشمالية لقرطبة، حيث توفرها بكثرة هناك[1].

وجميع تلك المعادن الآنفة الذكر وغيرها استخدمت في بعض الصناعات التي احتاجتها البلاد، وأهمها: صناعة الأسلحة من سيوف ورماح ودروع، وصناعة النسيج والملابس[2]، وكذلك استخدمت في ضرب الدنانير والدراهم، أي العملة الأندلسية، حيث كانت هناك دار السكة في قرطبة، وتم استخدام الذهب والفضة في صناعتها[3].

وتوفر القطن والكتان والحرير والصوف، وكذلك الأصباغ اللازمة[4]، وتوفر معدن الزئبق بكثرة في الأندلس، حيث كانت تصدره إلى بلاد المغرب[5]، وكذلك معدن البلور الذي توفر خصوصا في حصن منتون من عمل قرطبة[6]، وكذلك استخرج القرطبيون نوعاً جديداً جيداً من الفضة[7]، وكانت في جبال قرطبة مقاطع من الرخام الأبيض الناصع اللون والخمري[8]، واشتهرت أيضا باستخراج مادة الزنجافور التي تم استخدامها في الصباغة[9]، واشتهرت الأندلس أيضا بكثرة وجود معدن الفضة خصوصا في مدينة قرطبة[10].

وبتوافر كل هذه الثروات الطبيعية المعدنية والنباتية والحيوانية ازدهرت الأندلس وتقدمت في الصناعة، و ساهم هذا التقدم في نشوء تلك الحضارة، وأعطى للأندلس قوة اقتصادية كبيرة، جعلها تنافس أوروبا في بعض صناعتها، نتيجة لتوافر تلك الثروات الطبيعية التي وهبها الله تعالى لتلك البلاد، وكان الأهم من توافر الثروات هو قدرة الأندلسيين على استثمارها، وتوظيفها بشكل جيد في خدمة المجتمع الأندلسي، ولتسد حاجته الأساسية، بل وتم تصدير الكثير من هذه

---

(1) المقري: نفح الطيب،ج1،ص143-150.

(2) المصدر نفسه:ج1، ص63.

(3) ابن حيان، القرطبي أبو مروان بن خلف بن حسين بن محمد: المقتبس في أخبار أهل الأندلس، تح: محمود مكي، القاهرة، 1971م ،ج5، ص243.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص240.

(5) الإدريسي: صفة المغرب ،ص213.

(6) البكري: جغرافية الأندلس ، ص127.

(7) المقري: نفح الطيب ،ج2، ص61.

(8) المصدر نفسه: ج1، ص186.

(9) الإدريسي : صفة المغرب ،ص213.

(10) المقري : نفح الطيب، ص123

الصناعات إلى خارج الأندلس، وهكذا نلمس مدى أثر المناخ والطبيعة الجغرافية على الإبداع الحضاري لدى مسلمي الأندلس.

المبحث الثاني

مبادئ الإسلام وتعاليمه

تميز مسلمو الأندلس بصفات عديدة أهلتهم لتحقيق الإبداع، الذي عرفت به حضارتهم بالأندلس، ومن أهم هذه الصفات:

أولاً: العقيدة السليمة:

معنـي العقيـدة لغـة: اعتقد الشـيء أي صـلب واشـتد واسـتحكم[1]، أو هـي البصـيرة[2]، أي عقيـدة القلـب[3]، والعقـدة مـا يمسـك ويوثـق، ومنهـا القـول عقـدتُ اليمـين[4]، أو عقـدتُ النكـاح بمعنـي عزمت[5]، وهي نفي الشرك، ونظافة القلب[6].

المفهوم العام للعقيدة:

العقيدة الإسلامية: تعنـي الإيمـان بـالله، وبـالأصـول التـي تقوم عليها شرائع الإسلام، ومنها تتبثق فروعه[7].

---

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، ص12.

(2) الزبيدي، محمد مرتضـي الحسيني: تـاج العروس مـن جـواهر القـاموس،، تـح: مجموعـة مـن المحققين، دار الهداية، ج 10، ص 15.

(3) المرسـي، أبـو الحسـن علـي بـن إسـماعيل بـن سـيدة: المحكـم والمحيط الأعظـم، القـاهرة،1982م، ج8، ص 316؛ الزبيدي: تاج العروس، ج 10، ص16.

(4) المقري، أحمد بن محمد بن علـى الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، بيروت، دار النشر: المكتبة العلمية،ج2، ص421.

(5) ابن محمد، أبـو القاسم الحسين: المفردات فـي غريب القرآن، تـح: محمد سيد كيلانـى، لبنان، دار المعرفة، ج1، ص341.

(6) الجزري، أبو السعا دات المبارك بن محمد: النهاية في غريب الأثر، تح: طـاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية،ج5، ص 78.

(7) سابق، السيد: العقائد الإسلامية، الناشر: ، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ص7.

وهي بناء فكري يمثل الأساس في الإسلام(1)، وتقوم على العبادة لقوله تعالى **{وَمَا خَلَقْت الْجِنّ وَالْإِنْس إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**(2)(3)، ونظراً لأهمية العقيدة جُعِل لكل إنسان عقيدته التي يدين بها بصرف النظر عن صحتها(4).ولكن في الإسلام لا يجوز الشك في العقيدة لقوله تعالي: **{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}**(5)(6)، وإننا نعتقد بوجود أشياء كثيرة من ذوات وصفات، ونجد قلوبنا مطمئنة لها بذاتنا وصفاتنا، وبمرور الأيام تأتي الأدلة التي تثبت أو تنفي صحة اعتقادنا(7)، وفي الإسلام مسائل العقيدة يتصل بها أصول الدين، ولذلك كانت أهميتها(8)، أما عن حرية العقيدة بالمفهوم الغربي: فهي عبارة عن الحرية الدينية وحق الإنسان أن يختار الدين الذي يشاء ولو أنه اختار أن يكون مؤمناً بأي دين كان(9).

والملاحظ هنا الفرق بين الاعتقاد الراسخ اليقيني الذي لا شك فيه عند المسلمين، وبين العقائد الأخرى الضعيفة التي يتبناها غير المسلمين، ومن هنا تمسك أهل الأندلس حكاماً ومجتمعاً بالعقيدة، والتي هي عقيدة أهل السنة والجماعة، والتزموا بها فكراً ومنهجاً وخلقاً فكان الإبداع والإتقان في العمل سمة أساسية تميزهم عن الآخرين من أصحاب الحضارة المادية .

فنجد أن روح العقيدة الإسلامية قد سادت بين سكان الأندلس منذ قيام الدولة الإسلامية(10).وكان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مصادر التشريع الإسلامي في الأندلس(11).

وكذلك تم إعمال الرأي لاستخراج الأحكام، عن طريق القياس أو الأخذ بإجماع آراء فقهاء المسلمين، لذلك رأى المسلمون في الأندلس أن عقيدتهم تحثهم على التفكير والإبداع، وأنها لا

(1) الميداني، عبد الرحمن حسن جنكه: براهين وأدلة إيمانية، دمشق، دار العلم، ص13.

(2) سورة الذاريات: آية 60.

(3) آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، القاهرة، دار الحياة للكتب العربية، ص15.

(4) العجمي، أبو اليزيد: العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة، دار السلام للطباعة والتوزيع، ص 71

(5) سورة البقرة: أية 13.

(6) الرازي، أبو بكر أحمد بن على الحنفي: شرح بدأ الأماني، تح: أبى عمر الحسيني، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص 51.

(7) الميداني، عبد الرحمن حسن جنكه: العقيدة الإسلامية وأسسها، دار العلم، دمشق، ط6،ص 31.

(8) القيسي، مروان إبراهيم: التحفة السنية، في تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، إربد، الأردن، دائرة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك، ط1، 1404 هـ – 1984م، ص 9.

(9) العمر، تيسير خميس: حرية الاعتقاد في ظل الإسلام ،بيروت، لبنان،دار الفكر المعاصر، ص 39.

(10) دياب، حامد الشافعي: الكتب والمكتبات، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر، ص 38.

(11) أنجل، جنثالث باثينا: تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ص 413.

تتعارض مع الحقائق العلمية التي أمرنا الله تعالى أن نتأملها[1]: **{قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآَيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}**[2]، وقوله سبحانه:**{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }**[3]، لهذا اندفع المسلمون في الأندلس في مسيرة العلم متسلحين بهذه العقيدة الغراء[4].

وكان لعظمة الدين الإسلامي، أن واكب الحياة من خلال حثه على طلب العلم[5]، والإفادة من تراث الأمم السابقة، والأخذ منه بشكل لا يتعارض ومبادئ الدين الإسلامي الذي يدعو إلى سعادة البشر، وخيرهم وإلى تغلب العامل الروحي على العوامل الأخرى المادية[6]، لذلك نجد فضل الدين الإسلامي على العرب بصفة خاصة، وعلى البشرية بصفة عامة واضحاً، إذا ما تأملنا ما أبدعه المسلمون من حضارة في الأندلس، فكانت مثال للحضارة الإسلامية[7].ومن المؤكد أن التزام المسلمين بمبادئ الدين الحنيف، ساهم بشكل أساسي في إبداع المسلمين في شتى المجالات العلمية والمعرفية، فالله تعالى أراد لهذه الأمة أن تنهض بفضل قوة عقيدتها، وهو الذي مَنَ على أمة الإسلام بهذا الخير لقوله تعالى:**{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}**[8]، وأعجب النصارى بالدين الإسلامي، وإن بقوا على عقيدتهم النصرانية، والذي كان يثير إعجابهم تمسك المسلمين بعقيدتهم ودينهم[9].

تلك هي عقيدة الإسلام التي ميزت الإبداع الحضاري في الأندلس، وأعطته زخماً وقوة أدت إلى بقاء المسلمين في تلك البلاد لحقبة تاريخية طويلة، فسماحة الإسلام وقدرته على استقطاب غير المسلمين ودمجهم في المجتمع وتفعيلهم، ليصبحوا عناصر منتجة تساهم في التراث الحضاري جنباً إلى جنب ضمن مجتمع واحد موحد.

---

(1) أنجل، جثالث باثينا: تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية ، ص 413.

(2) سورة يونس: آية 10.

(3) سورة العنكبوت: آية 29.

(4) المبارك هاني أبو خليل شوقي: دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية ،دمشق، سوريا، دار الفكر، 1996م،ص 30، 31.

(5) الشطي، أحمد شوكت: مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي، مطبعة جامعة دمشق ، 1963، ص21.

(6) على، حمد كرد: الإسلام والحضارة العربية، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1934م، ج1، ص243.

(7) مؤنس، حسين: فجر الأندلس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1959م، المقدمة هـ.

(8) سورة القصص: آية 5.

(9) مونتوغمري وات: في تاريخ أسبانيا الإسلامية، تر:محمد رضي المصري، ص 67.

واهتم علماء المسلمين ببلورة الحياة الفكرية، والعلمية، من خلال علوم القرآن الكريم، والحديث والفقه، ومن بين هؤلاء العلماء الذين امتازوا بالتقوى والورع، ونشر العقيدة الإسلامية في الأندلس، المقري ابن زكريا يحيي بن سلام[1][2] والفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ =889 م) وله كتاب معاني القرآن وغريبة[3][4]، وغيرهم من العلماء، الذين وفدوا من بغداد لنشر الدعوة الإسلامية في الأندلس[5]، واشتهر من بين المفسرين في عصر بني أمية في الأندلس بقى بن مخلد (ت 273 هـ=886م)[6]، وألف كتاب تفسير للقرآن الكريم[7]، وابن محاسن عثمان بن محمد (ت 306 هـ=918م) المكنى بأبي سعيد وغيرهم[8].

واهتم العلماء بعلم الحديث، فنشطت دراسة الحديث في الأندلس، وشجع على ذلك أيضا الأمراء ومنهم الأمير عبد الرحمن بن الحكم[9].

---

(1) (ت 200 هـ = 815 م) والذي ألّف كتاب تفسير القرآن، وهو عالم جليل عرف بشدة تقواه(الإسبيلي: فهرسة، ص56).

(2) أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم: تطبيقات علماء أفريقيا وتونس، تح: على الشابي، نعيم حسن البافي، تونس، 1968 م، ص 111؛ الإسبيلي، أبو بكر محمد: فهرسة ما رواه شيوخه، تح : قدارة زيد بن خلبان، بيروت،1979م،ص 56.

(3) وهو صاحب التصانيف، صدوق قليل الرواية، وهو رجل ثقة ، دينا فاضلا (ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، تح: دائرة المعارف النظامية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1986م، ط3، ج3 ،ص357).

(4) الحميدي، محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتاليف والترجمة، 1966م،ص76.

(5) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد: تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، 1966م، ج1، ص316.

(6) وهو بقى بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي الحافظ، احد الأعلام وصاحب التفسير والمسند، أخذ عن يحي بن يحي الليثي ، ورحل إلى المشرق (السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: طبقات المفسرين، تح: علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، ج1، ص40).

(7) الحميدي، محمد بن أبي نصر: جذوة المقتبس، ص177.

(8) ابن الفرضي،: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص901.

(9) وهو عبد الرحمن الأوسط ، والرابع من خلفاء بني أمية بالأندلس بويع له يوم وفاة أبيه الحكم ، المعروف بالربضي، يوم الخميس لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ست ومائتين للهجرة (القضاعي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ط2، ج1، ص113.

و محمد بن عبد الرحمن[1]، فدخلت علوم شرعية من المشرق العربي مخالفة لأراء الإمام مالك بن أنس، مثل مذهب الشافعي، ومذهب أحمد بن حنبل[2]، واشتهر من بين علماء الحديث والفقه في الأندلس، صعصعة بن سلام الشامي[3] وسليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب بن وارث الباجي[4]، ومحمد بن عبد السلام الخشني[5]، وأحمد بن قاسم بن عيسي بن فرج اللخمي الإقليشي[6]، وأحمد بن الفضل بن العباس الدينوري[7].

وغيرهم من علماء التفسير والحديث، الذين رفدوا الحركة الثقافية بالمدد الروحي، وصبغوا حضارة الأندلس بالعقيدة السمحة، المستمدة من الفكر الإسلامي المستنير، وما تقدم غيض من فيض، والعلماء في الأندلس الذين اهتموا بنشر الدين الإسلامي كثر، لا يمكن حصرهم جميعاً في هذه الدراسة، وهذا نموذج لهؤلاء المبدعين.

---

(1) محمد بن عبد الرحمن: (238 – 273هـ = 856 –886 م) وكان مثقفاً مشجعاً للثقافة والعلم، ونبغ في عهده الكثير من العلماء في مجالات عدة (القضاعي: الحلة السيراء، ج1،ص213).

(2) ابن سعيد، المغربي على بن موسي: المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1953م،ج1، ص 45.

(3) صعصعة بن سلام الشامي: (ت 192 هـ=808م)، وهو تلميذ الإمام الأوزاعي، وكان أول من أدخل الحديث إلى الأندلس، (إبن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص 610).

(4) سليمان بن خلف بن سعد الباجي، ويكنى أبا الوليد ، (ت 474 هـ =1081 م) وهو من أئمة المسلمين، درس الفقه في بغداد ثم مال إلى علم الدين، ومن كتبه (التسديد إلى معرفة التوحيد) ، وكتاب (الإيماء في الفقه) وكتاب (الاستيفاء) (ابن بشكوال، القاضي ابي عبد الله الصوفي: الصلة في أصحاب القاضي أبي عبد الله الصرفي،نشر: فرنسيسكو كوديرة، مدريد،1883م،ج1، ص 200 –202)؛(ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تح: يوسف علي الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية،1998م، ج2،ص409)(المقري ::نفح الطيب ،ج2، ص68).

(5) محمد بن عبد السلام الخشني: من أهل قرطبة ويكني أبا عبد الله، (ت 286هـ=899م) أدخل إلى الأندلس كثيراً من حديث الأئمة واللغة والشعر الجاهلي، وأراده الأمير محمد على القضاء فأبي (إبن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص 16)؛ (الذهبي، شمس الدين بن عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز: سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، محي هلال السرمان ،بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م، ج5، ص 242).

(6) أحمد بن قاسم بن عيسى ،ويكنى أبى عباس المقري ،(ت 410 هـ = 1009م) ألف كتاب في معاني القراءات، وكان ثقة صالحاً، مجوداً للقرآن (الحميدي، جذوة المقتبس ، ص 3 ؛ ابن بشكوان ، الصلة ، ج1 ، ص31).

(7) أحمد بن الفضل بن عباس الدينوري: يكنى أبا بكر المطوعي ، حدث أهل الأندلس عن كبار علمائها ومنهم جعفر بن محمد الفريابي، وأبو جعفر بن جرير الطبري ، وقد حدث عنه بالأندلس الكثير من العلماء المعروفين (الحميدي : جذوة المقتبس ، ص 140؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج17، ص 79)

وكرم الأمراء العلماء الوافدين إلى الأندلس وأحاطوهم بالاهتمام والرعاية[1]، وخاصة في مجال العلوم الدينية[2]، ولكن لم ينل علم الكلام عناية كبيرة عند أهل الأندلس في بادئ الأمر، حيث كانوا يتخذون طريقة السلف منهجاً ومسلكاً[3]، فكان المذهب المالكي هو محور دراسات أهل الأندلس من خلال كتابه (موطأ الإمام مالك)[4].

ورغم التزام أهل الأندلس بالعقيدة الإسلامية السمحة، فإنهم لم ينكروا على الآخرين عقائدهم من غير المسلمين، بل تم تأليف كتب تتحدث عن الملل الأخرى، مثل ما جاء به العالم الكبير ابن حزم الأندلسي(384 – 459 هـ =994–1067م) في كتابه الفصل في الملل والنحل، و تحدث فيه عن الملل الإسلامية وغير الإسلامية، وناقشها من وجهة نظر إسلامية، كما تحدث فيه عن قضايا متعددة في التوحيد والفلسفة الإسلامية، وعلم العقائد[5].

واستطاع المسلمون بفضل هذا الدين المحافظة على وحدة المجتمع الذي تعددت فيه الأديان والأجناس من أسبان ويهود وعرب وبربر [6]، وكانت الأندلس قبل قدوم المسلمين تدين بالمذهب الكاثوليكي[7]، بينما كان القوط على المذهب الأريوسي، وكان الصراع قائم بين المذهبين، ولقد عانى المجتمع الأندلسي قبل قدوم المسلمين من هذا الصراع، فوجدوا في علماء الدين الإسلامي نموذجاً مغايراً، إذ إن الإسلام لا يوجد فيه كهنوت، ووظائف دينية خاصة، بل يستطيع أي مسلم أن يقوم بواجبه[8].

هكذا يتضح دور العقيدة المهم في نشوء الحضارة، وإبداع المسلمين في مختلف المجالات العلمية، حيث لا يوجد قيود في عقيدة المسلمين ولا كهنوت يفرض سياسة تكميم الأفواه ويحد من الحرية المضبوطة بالحدود الشرعية.

---

(1) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص316.

(2) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ، ج1، ص45.

(3) دياب ،حامد الشافعي: الكتب والمكتبات في الأندلس، ص39.

(4) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص251.

(5) المصدر نفسه: ص339.

(6) الجيوسي، سلمي الخضراء: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، ج2، ص56.

(7) كاثوليكي: وهي الكنيسة الغربية، التي يرئسها بابا روما، وهي أكبر كنيسة مسيحية عددا وعلى كل المنتمين إليها أن يؤمنوا بكل ما جاء في الكتاب المقدس(الكيالي، عبد الوهاب موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ج3، ص176).

(8) ريبيرا، خوليان: التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، تر: الطاهر أحمد، مكي: دار المعارف،ط2، 1994م، ص24.

ثانياً: الإخلاص:

دعا الإسلام إلى الإخلاص لله في العمل، ولا شك أن المسلم الذي يدرك أن الله تعالى لا يقبل إلا ما خلص إليه من عمل، سيتقن في عمله، والإتقان هو سبب الإبداع الذي تميزت به حضارة المسلمين في الأندلس، لذلك حرص المسلمين على الإخلاص في العمل كأساس للنجاح والإبداع في شتى ميادين الحياة، الدينية، والعلمية والعقلية، فكان نتيجة ذلك هذا التراث الحضاري الضخم الذي استفادت منه البشرية بأسرها.

فلولا إخلاص المسلمين في أعمالهم، والربط بين العقيدة والعمل، ، لما استطاعوا أن ينهضوا بالأندلس إلى هذا المستوى الحضاري[1]، ويتضح هذا جلياً من خلال اندفاع العلماء، وهجرتهم إلى الأندلس، وهم يحملون معهم المبادئ الإسلامية[2].

وكان المسلمون إذا نزلوا على الصلح، وعقدوا المعاهدات يلتزمون، وإذا أعطوا العهد والميثاق لا يخونون حتى أعدائهم، ويبرز ذلك كنموذج حي لهذه الأخلاق في العهد الذي أعطاه عبد العزيز بن موسى بن نصير[3]، لتدمير[4] خير مثال يدل على إخلاص المسلمين مع غيرهم[5]، وكان الوفاء والإخلاص جزء من عقيدة المسلمين، ويتضح ذلك في قوله تعالى **{وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}**[6]، وإخلاص المسلمين ووفائهم بالعهود حذى بالممالك المجاورة أن تطلب عهد الصلح والسلام، والمعونة والمشورة من المسلمين في حل مشاكلهم[7]، وأصبحت الدولة الإسلامية

---

(1) ريبيرى: التربية الإسلامية في الأندلس ، ص 23.

(2) المصدر نفسه : ص24.

(3) عبد العزيز بن موسي بن نصير، (ت97 هـ =715 م): استخلفه والده على الأندلس ، وجعل من اشبيلية قاعدة لحكمه، وتزوج من إمرة الإغريق (ايلا)، وكان من خيرة الولاة (الأزدي، الحافظ أبي الوليد عبد الله بن محمد: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني، القاهرة، 1988م، ط2، ج1، ص319).

(4) وهو حاكم شرق الأندلس، صالح عبد العزيز بن موسى بن نصير(ابن الدلائي، أحمد بن عمر بن أنس العذري: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك تح: عبد العزيز الأهوازي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، د.ت .ط، ص 5).

(5) ابن الدلائي: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ،ص 5.

(6) سورة المعا رج: آية 32.

(7) السامرائي، وآخرون: تاريخ العرب ،دار الكتب للطباعة، جامعة الموصل،1987م، ص178.

في مكانة الصدارة للعالمين الإسلامي والمسيحي، من حيث القوة والتقدم الحضاري، سيما في عصري الخليفتين عبد الرحمن الناصر والمستنصر بالله[1]...وتوافدت العديد من السفارات على قرطبة، تطلب الصلح والسلام، وتوطيد الصلات السياسية بينها وبين الأندلسيين المسلمين[2].

يتضح أن الإخلاص قيمة سامية حرص الإسلام على تنميتها في نفوس المسلمين لكي يبدعوا ويتقنوا عملهم، ولكي يوفوا بعهودهم مع غيرهم، وهذا أكسبهم ثقة ليس أصدقائهم فحسب، بل أعدائهم أيضاَ.

(1) عبد الرحمن الناصر (300-350هـ= 912-961م): قام الأمير عبد الله بقتل ابنه محمد لاتهامه بمؤامرة ،قبل أن يولد عبد الرحمن بأسابيع، ولقد عطف الأمير على حفيده عبد الرحمن وأجلسه بالقصر، (المقري: نفح الطيب، ج1، ص353).

(2) الحجي، عبد الرحمن: أندلسيات، بيروت، دار الإرشاد، 1969م،ج2،ص 74.

ثالثاً: العدل:

وهو من القيم السامية التي استطاع المسلمون بها أن يحافظوا على وحدة المجتمع في الأندلس، وهذه القيمة حث عليها ديننا الحنيف[1]، الذي يأمرنا بالعدل لقوله تعالي: {**لا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون**}[2]، ولقد امتثل المسلمون لأمر ربهم، و نلمس ذلك النموذج في مواقف المسلمين مع غير المسلمين، ومن هذه المواقف:

أنهم أبقوا لأهل الذمة شرائعهم وقضائهم، وعينوا لهم حاكماً من أنفسهم لكي يديرون شؤونهم[3]، كما عينوا الكثير من الأكفاء منهم في مناصب هامة في الدولة مثل أرطاس النصراني الذي عينه عبد الرحمن الداخل[4]، أول قومس للنصارى في الأندلس[5]، وحبرون قاضي النصارى بقرطبة الذي عينه الحاكم المستنصر، واتخذه إلى جانب ذلك مترجماً له[6]، وحسداى بن شبروط اليهودي الذي اتخذه الخليفة عبد الرحمن الناصر طبيباً خاصاً له، وأصبح من أصحاب النفوذ[7].

وهكذا نجد العدل في إنصاف غير المسلمين، وإشراكهم بالعمل في مختلف مجالات الدولة حفاظاً على تماسك المجتمع بكل أطيافه وأديانه ومذاهبه، وشهد بعض المعتدلين من غير المسلمين لهم بالعدل مثال ذلك ما قاله لينبوند:" يجب أن لا يخطر ببال أحد أن العرب عاثوا في البلاد، أو خربوها بصنوف الإرهاق والظلم، كما فعل قطعان المتوحشين قبلهم، فإن الأندلس لم تحكم في عهد من عهودها بسماحة، وعدل، وحكمة، كما حكمت في عهد العرب الفاتحين "[8]، ونتيجة

---

(1) عبد الحليم، رجب محمد: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتب الإسلامية ،ص 17.

(2) سورة المائدة: آية 8.

(3) ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز: تاريخ افتتاح الأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، 1958م ص38.

(4) عبد الرحمن الداخل: صقر قريش(137-171هـ=755 -788 م): هو مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، وهو الذي نجا من مذبحة الأمويين بسيوف العباسيين، وفر متنكراً إلى المغرب، ولجأ إلى أخواله من بني نفزة، بالقرب من سبته (المقري: نفح الطيب، ج1، ص282).

(5) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 38.

(6) المقرى: نفح الطيب، ج1، ص182 .

(7) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ج2،ص50.

(8) شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4 ، ص27-28.

لعدل المسلمين قام المستعربون[1]، بدور مهم في نقل الحضارة الإسلامية إلى الممالك النصرانية بشمال أسبانيا، وجنوب فرنسا، وكانوا أداة وصل بين شطري أسبانيا، فعملوا على نشر الإسلام بين أهل الشمال، وخاصة عن طريق ترجمة كتب المسلمين[2]، ولقد رحب اليهود بقدوم العرب لكي يتخلصوا من الاضطهاد في عهد القوط، ويعد اليهود أن الفترة الذهبية من تاريخهم كانت في ظل الإسلام في الأندلس، حيث حظوا بحرية لم يعهدوها من قبل، ولقد ساهموا بدور كبير في ترجمة المصنفات العربية إلى اللاتينية والقشتالية[3].

وهذه نماذج تؤكد عدل حكام المسلمين مع غيرهم، وكان لذلك أثره البالغ في دخول الكثير من أهل الأندلس في الإسلام، وساهم بشكل كبير في الاستفادة من كل طاقات المجتمع، و هذا ما جعل حضارة الأندلس زاخرة، و حافظ على وجود المسلمين في تلك البلاد قرابة ثمانية قرون.

وكان لتعاليم الإسلام السمحة، وقيمه الأخلاقية النبيلة، التي حث عليها المسلمين أثر كبير في استقطاب الكثير من أهل الأندلس إلى الإسلام[4]، و اعتنى ديننا الحنيف بالأخلاق والقيم[5]مصداقاً لقوله تعالى:**{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**[6]، وهذه الأخلاق التي أسست على التسامح، وحسن المعاملة أدت إلى ازدياد الصلات بين المجتمع[7]، وشاع التزاوج والاختلاط الكبير بين العرب والأسبان من كل الملل، وتأثروا بعادات وتقاليد المسلمين، و ظهر جيل عرفوا باسم المولدين[8]، و كان لعدل المسلمين أثر كبير على التعايش، وضرب المسلمون حكاماً وشعوباً مثلاً رائعاً على ذلك[9].

---

(1) المستعربون: وهم نصارى الأسبان الذين عاشوا مع العرب ،في الأندلس، وساهموا في نقل الحضارة العربية إلى أسبانيا النصرانية(ذنون: عهد الإمارة في الأندلس كتاب تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس،ص44).

(2) الطيبي، أمين توفيق: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ، الدار العربية للكتابة، ج2 ،ص315.

(3) المصدر نفسه، ص 316.

(4) أمين، أحمد: فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية،ط2، 1978م، ص85.

(5) دويدار، حسين يوسف: المجتمع الأندلسي في العهد الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية،ط1، 1414هـ – 1994مص70 ،.أمين، أحمد: فجر الإسلام، ص 85.

(6) سورة القلم: آية 40.

(7) هيكل، أحمد: الأدب الأندلسي ، ص 39.

(8) الخشني: قضاة قرطبة، القاهرة، سلسلة تراثنا، المكتبة الأندلسية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م، ص56.

(9) مكى، محمود: تاريخ الأندلس السياسي، 897هـ، ص 77،92

رابعاً: التقوى:

هي أحد مبادئ الإسلام، والتي حثنا عليها المولى عز وجل في غير موضع من القرآن الكريم، حيث من خلالها نستطيع أن نراقب أعمالنا من خلال الربط بين هذا الفهم في الدنيا، وأثره علينا يوم القيامة، وكذلك جعل الله التقوى مخرجا للإنسان من كل سوء فقال تعالى:{ وَمَن يَتَّقِ اللَّـهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}[1].

بالتقوى نستطيع الحصول على أرزاقنا التي وعدنا الله بها، وجعل الله التمايز بين البشر يقوم على أساس التقوى فقال تعالى :{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّـهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّـهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**}[2].

فهي معيار التقرب إلى الله عز وجل، وقياس لقوة الإيمان، والتمسك بالدين القويم، والتقوى جعلت للعلم، وتأكيداً على أن الله هو الذي أمدنا به لقوله تعالى:{واتقوا الذي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ}[3].

وهنا واضح أن الخطاب القرآني لكلا الجنسين، وفي هذا تأكيد واضح على أهمية التمسك بتقوى الله تبارك وتعالى، حيث أننا سنعود إليه يوما، ونسأل عن ذلك ونحاسب لقوله تعالى: {**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**}[4].

وأن الله تعالى سيحاسب كل إنسان على ما قدم من عمل، وسيجزي كل نفس بما كسبت، دون ظلم لقوله تعالى:{**واتقوا يوما لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ولا يقبل مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**}[5].

وهذا تأكيد آخر على ضرورة ترسيخ هذا المعنى في النفوس، لينعكس على العمل والسلوك، وكذلك ورد في السنة النبوية المطهرة ما يدل على هذه المعاني، ففي حديث أنس بن مالك أنه قال: "أتى رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله إني أريد سفرا، فأوصني قال: متى؟ قال: غدا إن شاء الله، ثم أتاه فأخذ بيده، فقال له: في حفظ الله وكنفه زوجك الله التقوى، وغفر ذنبك، ووجهك في الخير، حيث ما كنت، أو أينما كنت "[6].

---

(1) سورة الطلاق: آية ﴿2﴾.

(2) سورة الحجرات: آية ﴿13﴾

(3) سورة الشعراء:آية﴿132﴾

(4) سورة الحشر: آية﴿18﴾

(5) سورة البقرة: آية﴿48﴾

(6) المقدسي: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد: الأحاديث المختارة، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط1 ، ج7، ص2

وعن عبد الله بن دينار قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):" رجلان مؤمنان تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله والناس[1].

خامساً: الأمانة:

الأمانة من القيم التي أمرنا الإسلام بالتحلي بها، لتكون سلوكاً يعكس أخلاق المسلم، ولتكون سمة من سمات شخصيته، حيث يؤدي التمسك بالأمانة إلى نهوض وتطور المجتمع، فالله تعالى عرض الأمانة على مخلوقات أشد وأقوى من الإنسان، فَأَبَين منها وأشفقن مصداقا لقوله تعالى:"**{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَال فَأَبَيْنَ أَن حْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}**[2].

ومطلوب من الإنسان المسلم أن يرد الأمانات إلى أصحابها، وإذا اؤتمن على شيء أن لا يخون، فالرسول (صلى الله عليه وسلم)أمرنا بان نرد الأمانة إلى أهلها فقال: "أدي الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك "[3].

كما جعلها النبي صلى الله عليه وسلم من الخمسة التي إن فعلها الإنسان والتزم بها دخل بها الجنة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله قال:" خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة، من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وصام رمضان، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلا، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه، وأدى الأمانة، قالوا: يا أبا الدرداء، وما أداء الأمانة قال: الغسل من الجنابة "[4].

والملاحظ أنه كان لهذه القيم السامية أثره البالغ على الإبداع، وصنع الحضارة في الأندلس، فلقد عرف عن أهل الأندلس تمسكهم بدينهم الحنيف خاصة الحكام، والعلماء، وعموم أهل البلاد من المسلمين الذين وجدوا في التقوى والأمانة سبيلاً لهم للانطلاق نحو وحدة المجتمع الأندلسي، وفرض أخلاقهم واحترامهم على المخالفين لهم في الدين أو القومية، كما امتثل المسلمون لأمر دينهم الذي أمرهم بالتقوى والأمانة.

---

(1) الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي: حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط2، 1415هـ=1995م، ج14، ص16.

(2) سورة الأحزاب: آية ﴿72﴾.

(3) المقدسي: الأحاديث المختارة، ج7، ص282؛ النيسابوري، محمد بن أبو عبد الله الحاكم: المستدرك على الصحيحين ، تح: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ، 1411هـ= 1990م، ط1، ج2، ص2295.

(4) الأزدي، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني: سنن أبي داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ج1، ص42

سادساً: التسامح والبعد عن العنصرية:

اتسمت الحياة الاجتماعية في الأندلس بصورة عامة بالاستقرار، وذلك بفضل التسامح الذي أبداه المسلمون، والذي كان له أثره البالغ في ازدهار الحياة الاجتماعية؛ لأنه احترم جميع الأديان[1]، ولقد احتضنت بلاد الأندلس بين سكانها المسلمين أجناساً ومذاهب شتى، وعاش بحرية على أرضها، العربي والنصراني واليهودي، إضافة إلى العديد من الأجناس الأخرى بحرية، حيث حدثت علاقات مصاهرة بينهم، وليس أدل على ذلك من زواج الأمير مجاهد العامري من امرأة نصرانية، وهي أم ولده وولي عهده[2]، وكذلك وُضِعت الكنائس تحت تصرف رجال الدين النصارى، وسُمِحَ للقراء المعاهدين أن يذكروا اسم أسقفهم في خطبهم ومواعظهم[3]، وبالرغم من رجحان كفة ميزان العرب الكبيرة في التأثير إلا أن الأسبان أثروا في الثقافة العربية الإسلامية، ودليل ذلك التزامهم يوم الأحد من كل أسبوع بعطلة رسمية[4]. و أثر عرب الأندلس على حياة النصارى الأسبان تأثيراً كبير بفضل الاختلاط بينهم[5]، وتركوا لهم العيش بحرية، و سمحوا لهم ببناء كنائس جديدة[6]وكانت نواقيس الكنائس تسبب إزعاجاً للمسلمين، ورغم ذلك لم يعترضوا عليها[7]، وهذه دلالة واضحة على التسامح الذي أبداه المسلمون مع غيرهم، و من نتائج التسامح أن اتخذ النصارى واليهود اللغة العربية لغة لهم وأتقنوها، و بعض عادات المسلمين، وتقاليدهم في الملابس والطعام والشراب[8]، و بلغ تسامح المسلمين مع الكتابين درجة تحمل على الإعجاب، فحاز بعض منهم علي ثقة الأمراء والخلفاء[9].

---

(1) الحجي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ص 24.

(2) عنان، محمد عبد الله: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ،القاهرة، مطبعة الخانجي، 1977م، ص 200.

(3) المصدر نفسه: ص 203.

(4) مريم، الطويل: مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح، الدار البيضاء، مكتبة الوحدة العربية1994 م ،ص65.

(5) الأوسي: أصول في الأدب الأندلسي ، ص 152.

(6) سالم، عبد العزيز: تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، لبنان، دار المعارف، 1962، ص 131.

(7) ابن حزم، الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تح: الطاهر أحمد مكي، دار الهلال، 1994م، ص 133.

(8) جوزيف، رينو: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا، تر: عن الفرنسية شكيب أرسلان، بيروت، 1966م ،ص 231-291.

(9) هيكل، أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، ،1985، ص 39.

أنهم تبوئوا مناصب كبيرة في الدولة، ومن أمثلة هؤلاء النصارى أرطباس[1]، الذي كان محل ثقة بعض ولاة الأندلس، فكانوا يستشيرونه في أمور البلاد، وكان موضع تكريم الأمير عبد الرحمن الداخل[2]، ومن أمثلة هؤلاء النصارى أيضاً حزرون[3] وعمل مترجماً للخليفة للغة الأسبانية[4]، وكذلك تمتع اليهود بالحرية وبالمناصب في الدولة ومن أمثلتهم حسداي بن شبروط[5] الطبيب الذي كان له نفوذ واضح عند المستنصر[6]، وشهد على هذا التسامح رجال منهم رين بول الذي قال: " وكان للأسبان أن يحتفظوا بشرائعهم وقضائهم، وعُين لهم حكام من أنفسهم يدبرون المقاطعات، ويجمعون الضرائب، ويقضون فيما شجر بينهم من خلاف، وكان التسامح الديني سائداً، فلم يدع للأسبان سبباً للشكوى"[7]، واعترف المؤرخ (سيمونت) بذلك عندما قال: " أنه فيما يتعلق بالقوانين المدنية والسياسية، فإن النصارى الأسبان احتفظوا في ظل الحكم الإسلامي بنوع من الحكومة الخاصة"[8]، كذلك وجدت جاليات اليهود من المسلمين كثيراً من التسامح، وحسن المعاملة، وأكثر من ذلك وجدوا في المسلمين خلاصاً لهم من الاضطهاد الذي عانوا منه تحت حكم القوط[9]، وبالرغم من التسامح الذي أبداه المسلمون إلا أن بعض رجال الكنيسة المتعصبين، كانوا يوقدون نار الفتنة، ويناصرون أعداء المسلمين[10].

وهكذا نرى الفرق الواضح بين معاملة المسلمين لمخالفيهم في الدين، حيث أطلقوا لهم الحرية في العبادة والسيادة في الدولة، بينما نجد بعض الحاقدين من غير المسلمين يتربصون بهم.

---

(1) أرطباس: وهو نصراني، عينه الأمير عبد الرحمن الداخل أول قومس مسؤول عن شؤون النصارى في البلاد(ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس،ص38).

(2) ابن القوطية، محمد بن عبد العزيز: تاريخ افتتاح الأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، بيروت، 1958م،ص38.

(3) حزرون: وكان قاضياً للنصارى بقرطبة في أيام حكم المستنصر، ومترجماً له(المقري: نفح الطيب،ج1،ص182).

(4) المقري: نفح الطيب،ج1،ص182.

(5) حسداي بن شبروط: وهو طبيب نصراني مقرب من المستنصر حيث كان يقدم له العلاج في حال المرض(ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء،ج2،ص50) .

(6) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء،ج2،ص50 .

(7) شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي،ج4،ص27.

(8) زيتون، محمد محمد: المسلمون في المغرب والأندلس، ص 187- 190، 1411هـ-1990م.

(9) هيكل، أحمد : الأدب الأندلسي، ص 29.

(10) بشتاوي، عادل سعيد: الأندلسيون المواركة، القاهرة، مصر، دار الكتب،ط1، 1951م،ص 38-40.

وعبر المسلمون عن مبادئ عقيدتهم السمحة التي تأمرهم بحسن المعاملة مع الآخرين، وإن اختلفوا معهم في الدين أو اللغة لقوله تعالي:{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم ْمِن ْذَكَر وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُم ْشُعُوبًا وَقَبَائِل َلِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم ْعِنْد َاللَّهِ أَتْقَاكُم ْإِنَ ّاللَّهَ عَلِيم ٌخَبِيرٌ**}[1].

وكنموذج للتسامح ما فعله أحمد بن غرسية[2][3]، وكان كاتباً عند مولاه مجاهد العامري ملك دانية، وصاحب الرسالة التي ذم فيها العرب، وفخر بقومه العجم، ورغم أنها لاقت معارضة شديدة من الكتاب، ومنهم أبو جعفر ابن الجزار الذي رد عليها برسالة مشابهة[4]، إلا أن مجاهد العامري أبقاه في منصبه حفاظاً منه على إشاعة روح التسامح والمحبة بين الديانات الثلاث[5].

هذه الروح المتسامحة والعادلة، جعلت الجميع يساهم في هذا التراث الحضاري والثقافي والفكري في الأندلس، ولو نظرنا أيضاً إلى إدارة الدولة، لم تكن بيد العرب وحدهم، بل شارك الجميع وخصوصاً أهل الذمة في إدارتها على قدم المساواة، ودون تمييز عنصري على أساس الدين أو القومية.

---

(1) سورة الحجرات: آية 49.

(2)أحمد بن غرسية: وهومن نصار بالبشكنس ،وهومن علماء النصارى وعمل موظفاً عند مجاهد العامري ملكدانية (ابن بسام، أبو الحسن على: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، بيروت، دار الثقافة، مج 3، 1978،ص 110).

(3)ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ص 110.

(4)ابن سعيد: اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تح: إبراهيم الأبياري، بيروت ،دار الكتب، 1985م،ص 116.

(5)مطلق، البير حبيب: الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الطوائف، المكتبة العصرية في بيروت، 1967م،ص25 ؛ابن الصاعد، أبو القاسم صاعد بن أحمد، : طبقات الأمم، تح: الأبلويسشيخو، بيروت، 1912م،ص 49.

المبحث الثالث

العلم

أولاً: مكانة العلماء في الإسلام:

دعا الدين الإسلامي إلى التمسك بالعلم، ولقد استمد أهل الأندلس نظرتهم إلى العلم من خلال تعاليم دينهم الحنيف، الذي قدر أهل العلم والعلماء، وأنزلهم منازل سامية، ودعا المسلمين إلى طلب التحصيل العلمي، فجاءت أولى كلمات الله تعالى التي أنزلت على نبيه قوله سبحانه :" {اقرأ باسم رَبِّك الَّذِي خَلَقَ}(1).

وأمرنا الله تعالى بالتزود بزاد العلم... فقال جل وعلا: **{فَتَعَالَى اللَّـهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ولا تعجل بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا}**(2).

ورفع الله تعالى من قدر أهل العلم، ومن مكانتهم حيث قرن العلم بالإيمان، وأمر المسلمين بالتأمل، والتفكر، والتدبر، والبحث، والتحليل والتفسير، لظواهر الكون فقال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَا فْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّـهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ا نشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّـهُ بِمَا تعْمَلُونَ خَبِيرٌ}**(3).

كما دعا الإسلام... إلى استعمال العقل والحواس في البحث العلمي في الوصول إلى الحقيقة العلمية فقال تعالى:**{وَلَاتَقفْ مَالَيْس لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَاد كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}**(4).

وكرم الإسلام العلماء بأن جعلهم الأقرب إلى معرفة الخالق، والأكثر خشية من الله فقال تعالى :**{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}**(5).

وعد الله تعالى المعرضين عن آيات الله بالنار، فقال سبحانه:**{وَلَقَدْ درأن لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُم قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُون بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَـٰئِكَ كَالْأَنْعَام بَلْ هُم أَضَلُّ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}**(6).

---

(1)سورة العلق: آية﴿1﴾

(2)سورة طه : آية﴿114﴾

(3)سورة المجادلة: آية﴿11﴾

(4)سورة الإسراء: آية﴿36﴾

(5)سورة فاطر : آية﴿28﴾

(6)سورة الأعراف: آية﴿١٧٩﴾

كما دعا الله تعالى- إلى إقامة الحجة والدليل والبرهان، والوصول إليها بكل تجرد ونزاهة في مواضع متعددة من القرآن الكريم فقال- تعالى-:{أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُم يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْض أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُل هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}(1).

ولم يساوي الله تعالى بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وهذا دليل أخر على ضرورة السعي وراء طلب العلم وتحصيله فقال تعالى: {قُلْ هَل يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَايَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّر أُولُو الْأَلْبَابِ}(2).

وأمر رسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) المسلمين ووجههم إلى طلب العلم فقال :"طلب العلم فريضة على كل مسلم "(3).

وقال صلى الله عليه وسلم: "من خرج في طلب العلم، كان في سبيل الله حتى يرجع"(4).

هكذا اهتم الإسلام بطلب العلم، بل وجعله فريضة على كل مسلم، لذلك لا عجب أن يتمسك أهل الأندلس بالعلم، الذي صنع لهم تلك الحضارة الراقية، التي أفادت البشرية كلها في ذلك الوقت، ولم يهتم بذلك العلماء فحسب، بل نجد الحكام الذين كانوا يحتفون بأهل العلم، ويوفرون لهم ما يحتاجونه... لكي يقوموا بدورهم الرائد في نهضة بلاد الأندلس.

---

(1)سورة النمل: آية ﴿٦٤﴾.

(2)سورة الزمر: آية﴿٩﴾ .

(3)الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار التراث العربي، رقم الحديث 2571، ج5،ص544.

(4)ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني: سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، رقم الحديث 220، ج1،ص260.

ثانيا: علاقة الحكام بأهل العلم:

لعلاقة الحكام الإيجابية بأهل العلم أثره البالغ على الإبداع في الأندلس، حيث تميزت العلاقة بينهم بالاحترام، وهناك مواقف للحكام في الأندلس تدل على ذلك ومنها موقف الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الذي كان يحترم الفقهاء وأهل العلم، ونستطيع أن نعرف هذا من خلال ما فعله مع الفقيه المحدث بقى بن مخلد (ت276هـ=889م) الذي جاء برسالة الإمام الشافعي، فثار ضده فقهاء المالكية، وثار العامة ضده، وكادوا أن يفتكوا به، لولا حماية الأمير له، وتشجيعه له على نشر علمه، إيماناً منه بحرية الرأي، و ذكر أن من أخلاق الأمراء التواضع أمام العلماء، واحترام أهل العلم[1]، ويتحدث المقري عن أخلاق الأمير عبد الرحمن الثاني، فيقول عنه: "وكان عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة، وبنيت في أيامه الجوامع بكور الأندلس، فكان رجل علم وورع "[2]، ونبغ في عهده علماء مرموقين مثل عباس بن فرناس (ت 274هـ =887 م)[3]، وهكذا نجد أن أخلاق الأمراء، واحتفائهم بأهل العلم ساهمت بشكل كبير في ازدهار الحكم الأموي في الأندلس[4]، وأيضاً كان للأمير عبد الرحمن الناصر (300 350 هـ = 912 – 961م) دور بارز ومهم في ازدهار الحضارة في الأندلس، ويعد عصره من أزهى عصور الأندلس[5]، فكان من أخلاقه أنه يحتفي بالعلم وأهله، وحفل بلاطه بالأدباء والشعراء، والأطباء وأهل العلم والمعرفة[6]، واتسم عهد المستنصر (250–366هـ=864م–976م)، بازدهار الحضارة، وهو الخليفة الأديب العالم الزاهد رائد الحركة العلمية[7].

وهكذا نجد اهتمام الأمراء بالعلم والتطور الحضاري، الذي شهدته عصور حكمهم، كان بفضل قيمهم الأخلاقية المستمدة من الإسلام، والمتمثلة بالتسامح والاحتفاء بالعلم وأهله، وإطلاق العنان لحرية الرأي والتفكير، ولقد ضربوا مثلاً رائعاً في الانتماء لدينهم وعقيدتهم الإسلامية.

---

(1)مكى: تاريخ الأندلس السياسي، ،ص 77، 92.

(2)المقري: نفح الطيب،ج1،ص154.

(3)المصدر نفسه: ج1،ص156.

(4)ليفي بروفنسال: حضارة العرب في الأندلس، تر: ذوقان قرموط، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، ص 58.

(5)المصدر نفسه: حضارة العرب في الأندلس، ص 21.

(6)مكي: تاريخ الأندلس السياسي، ص 89 .

(7)عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الأموية والدولة العامرية، القاهرة، مكتبة الخانجي،ط4، 1389 – 1969 م،ج2،ص701.

ولا بد من الإشارة إلى أن قوة الدفع التي كانت سائدة في عصر الخلافة كانت سبباً في استمرار مسيرة الثقافة الأندلسية[1]، وكان الفقهاء والعلماء يحملون إلى جانب العقيدة الدينية، الأخلاق والمبادئ القرآنية[2]، واهتم الفقهاء بالفقراء، فأنشئوا لهم مدارس خاصة، وكذلك لأصحاب العاهات، وكانوا أتقياء زهاد يحبون إهداء الكتب للناس، وأشياء أخرى للمساجد والمنشآت الخيرية، والتي كان يستفيد منها الطلاب وحدهم[3]، وكانت غايتهم في رحلاتهم سماع الأحاديث النبوية الشريفة من أفواه الرجال الذين عرفوا بالثقة، فكانوا يحتفون بالعلم، ويسعون له في أي مكان[4]، وكانت حلقات تدريس الفقه، والحديث، واللغة، والأدب تعقد في المساجد[5]، كما كانوا يحبون مجالس العلم والمناظرات العلمية التي كانت تعقد للفقهاء والعلماء والمتكلمين[6]، ومن العلماء الذين امتازوا بحسن الخلق والورع، أبو يعلي الموصلي (ت 307 هـ = 965 م)، والذي وصفه الذهبي بقوله: " إنه من أهل الصدق، والأمانة، والدين، والحلم"[7]، وكذلك وصفه ابن كثير بقوله: " حافظ خير حسن التصنيف، عدل فيما يرويه، ضابط لما حدث"[8]، و ذكر عن العالم أبي الحسن علي بن أبي بكر الموصلي أنه كان كثير الترحال (ت 611 هـ =1220م) و كان متسماً بالزهد وحسن الخلق، وأنه لم يترك براً، ولا سهلاً، ولا جبلاً من الأماكن التي اطلع عليها إلا وزارها[9]، و كانت كتابات العلماء مصدراً لكتابات المؤرخين الذين جاؤوا بعدهم[10].

---

(1)السامرائي: حضارة العرب في الأندلس، ص 330

(2)ريبري: التربية الإسلامية في الأندلس،ص24.

(3)المصدر نفسه: ص 32.

(4)الخفاف، مها سعيد: الحياة العلمية في الموصل منذ الفتح حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة الموصل، 2009 م)،ص 194.

(5)القرطبي، عريب بن سعيد: صلة تاريخ الطبري، تح: محمد بن أبي الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، 1982 م،ج1،ص 355.

(6)الخطيب، البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب اللبناني،ج1،ص 355.

(7)الذهبي: تذكرة الحفاظ،ج2،ص 707.

(8)ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر، : البداية والنهاية، بيروت، م كتبة المعارف، 1974م،ج1،ص130.

(9)ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3،ص30.

(10)الأزدي، أبو زكريا محمد بن إياس: تاريخ الموصل، تح: علي حبيبة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1967م،ص 6.

ولو نظرنا إلى ما كان عليه الولاة من الخلق الرفيع لأدرك الجميع سبب نهوض هذه الحضارة ومن أمثلة هؤلاء الولاة :

السرح بن مالك الخولاني[1] وعمبسة بن سحيح الكلبي[2]، وهذه نماذج لبعض الولاة الذين حكموا الأندلس، والذين عرفوا بالصلاح والورع، وحسن المعاملة والأخلاق الكريمة، تلك التي مكنتهم من أن يستمروا في هذه البلاد لمدة تصل إلى ثمانية قرون، ومَن يتأمل عامة المواطنين الأندلسيين بكافة طوائفهم يجد فيهم حب الانتماء لوطنهم الأندلس، فهم لا يعرفون بديلاً عن هذا الوطن الذي كان نموذجاً مثالياً للتعايش بمختلف عناصره[3].

وهذه النماذج بدورها تعبر عن الأخلاق الوطنية والتصاق الأندلسيون بأرضهم، والذود عنها بالغالي والنفيس فهي وطنهم الذي ولدوا وعاشوا فيه، وصنعوا حضارته التي أفادوا بها العالم بأسره في مختلف مناحي الحياة، فكيف لا يكون لدى الأندلسيين هذا الانتماء لهذا الوطن ؟!

وعن العلاقة الأخلاقية التي حكمت تعامل الخلفاء الأمويين، واهتمامهم وحفاوتهم بالعلماء، ما كانوا يلاقونه من الخلفاء مثلما حدث مع صفوان بن سليم(ت132 هـ=750 م)' حيث كان الخليفة سليمان بن عبد الملك (96-99 هـ=715-717م) يجله، ويقدره، ويحترمه صفوان، فعندما حج الخليفة سليمان بن عبد الملك، قدم المدينة وعامله عليها أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري(ت120هـ= 738 م)[4].

---

(1) (ت102 هـ =721 م)،قدم إلى الأندلس، وأوصاه عمر بن عبد العزيز بأن يأخذ الناس إلى طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرفق، وأن يخمس أراضي الأندلس وعقاراتها، ويجعلها مفيدة للمسلمين (زبيب، نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقديم: أحمد بن سوده، دارا لأمير،ج2،ص79).

(2)كان رجلاً صالحاً، قام بإصلاحات عمرانية كثيرة، استمرت ولايته (102 -107 هـ = 721 -725 م) (ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس،ج1،ص192).

(3)ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزبرى: الطبقات الكبرى، تح: محمد صامد السمخي، الطائف، مكتبة الصديق،ط1، 1993م،ص 324 ؛الأصبيانى، أبو الفرج عمر بن الحسين بن القرشي، : حمية الأولياء،،تح: ريمالأبياري،بيروت،ج2،ص158 ؛ابن عساكر، عمر بن الحسين بن عبد الله: تاريخ مدينة دمشق، تح: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي،ج6،ص435.

(4)ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري، : تاريخ ابن خياط، تح: ضياء العمري،الرياض،دارطيبة،ط2، 1985م،ص 314.

فرأى صفوان بن سليم فأعجبه سماته الأخلاقية، وعلمه، وخشوعه فأراد إكرامه، فأرسل إليه مالاً، ولكن صفوان رفض أخذ ذلك المال[1]، وهذا إن دل فإنما يدل على ورع صفوان بن سليم وعفته، وزهده، وكما يدل من جهة أخرى على اهتمام الخلفاء الأمويين بالعلماء، وتقديرهم، وإكرامهم لهم[2].

ثالثاً: التواصل الحضاري والعلمي:

عمل المسلمون منذ بداية الفتح الإسلامي للأندلس على خلق بيئة علمية ثقافية متسامحة، تحترم الآخر كيفما كان، وتقارع الفكر بالفكر، وكان لهذا أثره الكبير في استيعاب الحضارات السابقة.

بينما كانت أوروبا غارقة في دياجير الظلام، مثلت حضارة الأندلس تزاوجاً فكرياً بين الشرق والغرب، على نحو قل ما نجد له مثيلاً في بلد آخر من بلدان الإسلام[3]، و أظهر المسلمون وبوضوح التفوق الحضاري على الغرب، ومن ثم أوجد حالة من التنافس والصراع أحياناً بين المسلمين والنصارى[4]، وكان العامل الديني مؤثراً وفعالاً في هذا الصراع الطويل الذي استمر قرابة ثمانية قرون[5]، فكان الصراع الدائر بين المسلمين والصليبيين هو صراع حضارات، وعلى الرغم من كل هذه التحديات، بقي المسلمون في الأندلس ثمانية قرون[6]، هذا على الصعيد الخارجي، أما على الصعيد الداخلي، فكان الصراع دائراً بين المسلمين أنفسهم، وكان من أسبابه تعقد التركيبة الاجتماعية لسكان الأندلس، الذين انقسموا إلى فئات عديدة ومتنوعة من حيث الجنس، والعقيدة، والثقافة، ما بين عرب، وبربر، ومولدين، وأسبان، مسالمة، وأسبان مستعربين احتفظوا بديانتهم النصرانية، فضلاً عن طائفة اليهود[7]، هذا التنوع كان يتطلب من المسلمين الأندلسيين الحنكة السياسية، والقوة والحزم، والعدالة والإنصاف، لخلق جو ودي بين عناصر المجتمع المختلفة، واستيعاب تلك الحضارات القديمة، وكان الحل لهذا كله هو صهر هذه

---

(1)الأصبهانى، حلية الاولياء،ج3، ص 161.

(2)السائب الكلبي، هشام بن محمد بن السائب الكلبي، : جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، بيروت، عالم الكتب،ط1، 1993م،ص 191 -202.

(3)مؤنس: فجر الأندلس، المقدمة، ص هـ.

(4)العلياوي، حسين جبارمجيتل: الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، (96 -541)= (714 – 1146 م)، 2005م،ص 31.

(5)السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 130 -140 .

(6)لينبولستانلي: قصة العرب في أسبانيا، ترجمة على الجارم، مصر، دار المعارف، 1947م،ص 5-7؛ بيضون، إبراهيم: الدولةالعربيةفيأسبانيامنالفتححتىسقوطالخلافة،بيروت،دارالنهضةالعربية،ط3 1986م،ص 8 .

(7)سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وأثره في الأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1981م،ص 119 -134.

العناصر في بوتقة الدين الإسلامي الحنيف، وتقوية الرابطة الدينية التي كان يجب أن تطغي على أي رابطة أخرى في إطار التسامح الديني[1].

وبقراءة موضوعية دقيقة للواقع، نستطيع القول أنه عندما دخل العرب المسلمون إلى الأندلس فاتحين في العام (92 هـ = 711 م) لم يجدوا فيها حضارة عريقة يمكن الاستفادة منها في تطوير حضارتهم الجديدة القادمة معهم من المشرق العربي، ولذلك اتجهت الأندلس المسلمة إلى المشرق العربي، لتأخذ منه أساليب حضارية، وتستفيد مما وصلت إليه من تقدم وازدهار، حيث كانت أوروبا تعيش حالة من التخلف الحضاري والاجتماعي والسياسي[2]، وتم استيعاب المؤثرات المحلية، والتي نشأت في بيئة حكمها المسلمون[3]، وحرص المسلمون في الأندلس على إدامة الصلة الوثيقة بالتقاليد والتراث المجيد للأمة العربية في المشرق[4].

وشهد القرنان التاسع والعاشر الميلاديان من الحكم العربي الإسلامي في الأندلس إضافات علمية جديدة، تجاوزت المعرفة المشرقية العباسية[5]، مما دفع الراهبة السكسونية المعاصرة (هرسوثيا)إلى تسميتها " زينة الدنيا "، ودفع المقري المؤرخ العربي للقول:" تتفوق قرطبة على عواصم العالم بأربعة أشياء وهي: القنطرة فوق نهرها، والجامع، وهما أول اثنين، والثالث مدينة الزهراء، ولكن الرابع أعظمها وهو العلم "[6] وكان للاستقرار السياسي والنشاط الاقتصادي، وفتح أبواب الأندلس أمام التيارات العراقية أن برزت مظاهر الترف والرفاه في المجتمع الأندلسي، مما كان له أثر بالغ في استيعاب الحضارات الأخرى والتعايش معها[7]، ولقد حصل تواصل حضاري شيئا فشيئاً بين المسلمين والصليبيين، شمل قارة أوروبا برمتها[8].

وكانت طرق التواصل عبر محبي العلم الأوروبيين الذين توافدوا على بلاد الأندلس بحثاً عن المعرفة والثقافة العربية الإسلامية، وفي مقدمتها الراهب الفرنسي جربودت دي أورباك الذي وفد إلى الأندلس في عهد حكم المستنصر، وعني بدراسة العلوم الرياضية وبرع فيها، وأصبح فيما بعد

---

(1)مؤنس: فجر الأندلس،ص 68.

(2) معروف: المدخل في تاريخ الحضارة العربية ، بغداد ،مطبعة العاني، 1960 م، ص 240.

(3) السامرائي: حضارة العرب في الأندلس، ص 313.

(4) العاضيدي، خاشع: تاريخ العرب في الأندلس ، بغداد ، 1986، ص56.

(5) سانشير، اكسير اثيوتغاريثا: الزراعة في أسبانيا المسلمة، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت ،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 1998م، ص1367.

(6) روبرت هيلبراند: زينة الدنيا قرطبة القروسيطية، مركز ثقافي عالمي، ج1، ص 190.

(7) السامرائي: حضارة العرب في الأندلس، ص 318 .

(8) مارغرينا لوبيز غوميز: إسهامات حضارية للعالم الإسلامي، ج2، ص 1477.

بابا روما باسم البابا سيلفستر الثاني (390 – 394 هـ=1000–1004م)، وله دور بارز في نشر علوم العرب في أوروبا [1].

وبلغ التواصل الحضاري قمته في أواخر حكم الناصر، إذ أرسل إليه إمبراطور جرمانيا المقدسة (هوتو) ملك الصقالبة سفارة، واستقبلها الناصر في مدينة الزهراء، وأرسل إليه سفارة كونت برسلونة وطركونة، وأرسل إليه صاحب روما وهو البابا سفارة تخطب وده، هذا يدل على ما وصل إليه الناصر من عظمة في نظر ملوك الغرب[2]، وذكر ابن حيان وغيره " أن الملك الناصر في الأندلس كان في غاية الضخامة ورفعة الشأن، وهادنه الروم، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والفرنجة والمجوس، وسائر الأمم إلا وقد وفدت إليه خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية، ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى، الذي هاداه، ورغب في موادعته[3]، و جاءت السفارة من أوروبا إلى قرطبة، وكان يتم استقبالها في الزهراء، مثل سفارة (يوحنا الشمشق) إمبراطور بيزنطا إلى قرطبة وكذلك أرسل (اوتو الثاني) إمبراطور ألمانيا، سفارة لتجديد الصداقة مع قرطبة"[4].

وعاش المستعربون والمعروفون بتزمتهم الديني مع المسلمين في ظل أجواء التسامح مدة من الزمن، ثم هاجروا للعيش مع أخوانهم النصارى في شمال شبه الجزيرة الأيبيرية[5]، واهتم بالترجمة رهبان دير(سانتا ماريا دير يبول) أعداد كبيرة من المؤلفات العلمية العربية[6]، و أدى وجود مدارس للترجمة إلى اجتذاب مجموعة من رجال الفكر، ذوي الأصول الأوروبية المختلفة، المنتمين إلى الأديان التوحيدية الثلاثة في شبه الجزيرة الأيبيرية، وتعايشوا جنباً إلى جنب خلال أعمال الترجمة، وقاموا بنشر المخطوطات العربية في بلادهم[7]، وكان لعلاقات المصاهرة بين مسلمي الأندلس والفتيات المسيحيات وخصوصاً من الطبقة الأرستقراطية من ذوي الدم الملكي أثره في استيعاب الحضارات الأخرى، فكانت على سبيل المثال أم الخليفة هشام المؤيد (366 – 399 هـ)= (976 –1009 م) مسيحية[8].

---

(1) السامرائي: أثر الحضارة العربية في الأندلس، ص 474 –475 .

(2) مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 330 .

(3) المقري: نفح الطيب، ج1، ص 83.

(4) مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص 335

(5) مارغرينا لوبيز غوميز: إسهامات حضارية للعالم الإسلامي عبر الأندلس ، ص 1418.

(6) المصدر نفسه: ص 1478 .

(7) المصدر نفسه: ص 1479.

(8) ليفي بروفينسال: حضارة العرب في الأندلس، ص 81.

ومما لا شك فيه أن هذا التغلغل الحضاري المتبادل كان نتيجة لاستيعاب المسلمين للحضارات الأخرى، وتقبلهم لها دون محاولة طمسها أو محاربتها[1]، بل أفاد المسلمون الأوروبيون، وغير المسلمين في داخل الأندلس من هذه الحضارة في مختلف مظاهر الحياة[2]، وحتى اللغة الأسبانية استفادت من الاستعارات اللغوية من اللغة العربية[3]، والدليل على مدى استيعاب المسلمين للحضارات الأخرى، قيام بعض ملوك الأسبان بضرب عملاتهم، وهي تتضمن وجهين عربي وقشتالي، وارتدائهم الملابس على الطريقة الإسلامية، وهذا يدل على عمق التغلغل للحضارة الإسلامية في نفوس الأسبان النصارى على أعلى مستويات[4]، وأن إقرار أوروبا عن طيب نفس بأنها قد نقلت الحضارة العربية الإسلامية إليها لا يقلل من وجودها، ولم يمس الهوية الثقافية الأوروبية ذات الأصول الفكرية الإغريقية والرومانية، والمشربة بالأخلاق المسيحية[5].والدليل على استيعاب الحضارات، حالة المزج المجتمعي التي وصلت إلى أن بعض المسلمين أوصوا إلى النصارى برعاية أيتامهم بعد وفاتهم، و أجاز الفقهاء ذلك بشرط أن يرى السلطان لذلك وجهاً، و فسر الفقيه ابن رشدوجهة نظر السلطان في هذه المسألة في قوله: " الوجه في ذلك هو أن يكون قريبه أو مولاه أو زوجته، فيرى أنه إنما أوصى إليه لما رجاه من حسن نظرهم له، بسبب ما في الجبلة من العطف والمودة والإشفاق على ذوي الرحم والقربى "[6]، و خالف ابن رشد ما جاء في المدونة في أنه لا تجوز الوصية إلى المسخوط، ولا إلى الذمي[7].

---

(1) مارغريتا لوبيز غزميز: إسهامات حضارية للعالم الإسلامي في أوروبا عبر الأندلس، ص1481.

(2) ذنون: عهد الإمارة في الأندلس ، ص144.

(3) المصدر نفسه: ص 173 -174.

(4) المصدر نفسه: ص 174 .

(5) روجربواز: التأثير العربي في الشعر الغربي الأوروبي، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج1 ،ص 56.

(6) ابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت 1126 م=520هـ) من أبرز فقهاء المالكية في الأندلس خلال عصر (450 -520 هـ =1058-1126م)، وكان متقدما في مجال الفقه علي جميع علماء عصره، وتصفه المصادر أنه من أهل البراعة والعلم (أحمد بن يحيي بن أحمد: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1967م، ص 51؛ النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن: تاريخ قضاة الأندلس، بيروت، دار الآفاق الجديدة ، 1882 م، ج5، ص 98.

(7) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد: البيان والتحصيل والشرح والتعليل في مسائل المستخرجة، تح: أحمد الشرقاوي إقبال، ط2، دار الغرب الإسلامي،ص65

وما كان ذاك إلا نتيجة التمازج الاجتماعي والزواج و المصاهرة، ونشأ جيل من المسلمين عرفوا بالمولدين، حيث نشئوا على دين آبائهم مسلمين متأثرين بأمهاتهم الأسبانيات في لغتهم، وعاداتهم، وطرائق معيشتهم[1]، وكان لتشابك العلاقات الإنسانية بين أبناء العائلة الواحدة مختلفي الديانة، أن اتجه الفقهاء بإصدار فتوى بجواز وصاية النصراني على الأيتام المسلمين، وكان الفقيه المصري أصبغ بن الفرج[2] قال بجواز استخلاف المسلم إلى النصراني، إذا كان قريباً له، وقد استحسن ابن رشد هذا الرأي[3]، ومما زاد في قدرة العرب الأندلسيين على استيعاب الحضارات الأخرى الحرية الدينية، وعدم التدخل في عقائد الآخرين من غير المسلمين، وترك الجميع يمارس عبادته كما يشاء، بل وسمح للنصارى العيش في أديرتهم، وكان حول قرطبة وحدها في حقبة الحكم الإسلامي في الأندلس أكثر من خمسة عشر ديراً[4].

ولنا أن نتصور هذا النسيج الاجتماعي، وأثره على الحضارة الأندلسية، وما أحرزته الأندلس من تقدم في ظل التسامح الديني، وقدرة المسلمين على استيعاب غيرهم من الأجناس والديانات المختلفة، وهذا كله كان بفضل ما حمله الإسلام العظيم للناس من قيم إنسانية وأخلاقية.

ولكن على الجميع أن يقروا أن هذا الفردوس المفقود، وحضارته هي ثمرة تمازج فكري بين الشرق والغرب، ولكن استقرار السلطة في أيدي العرب المسلمين، كان لها الدور الكبير في النهضة العلمية والازدهار في الأندلس، مع مشاركة جميع أبناء الأندلس في والتنمية[5].

(1) عبد الواحد، بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم، محمد عزب، القاهرة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1944م، ص 44.

(2) هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب البيري (ت 225 هـ =840 م)، سكن قرطبة، وسمع من شيوخها، وأصبح له مكانة عظيمة في الأندلس وله مؤلفات كثيرة في الفقه والتاريخ، واللغة والطب (الازدي: تاريخ علماء الأندلس ، ص 272؛ ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف: المقتبس من أنباء اهل الأندلس، تح: محمود مكي، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1971م،ص182؛إبن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد على شويكا، ط1، مؤسسة عياض، ص 237).

(3) ابن رشد: البيان والتحصيل، ج4، ص486 .

(4) فروخ، عمر: تاريخ العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، بيروت،2 195م، ص 179.

(5) العلي: صالح أحمد وآخرون: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، (1395 هـ =1975 م)، ص263.

وأدى الاحتكاك الثقافي إلى ظهور تفاعلات ثقافية، أدت إلى انصهارات ثقافية مختلفة[1]، وكان أيضاً لسياسة الانفتاح على العراق، والترحيب بعلماء بغداد سبباً مهماً في إحداث هذا التقارب الثقافي والازدهار الحضاري[2]، كان سكان الأندلس المحليون تعودوا على نمط ديني تقليدي متمثل في الكتاب المقدس، والطقوس النصرانية تحت السلطة المطلقة لرجال الكنيسة، وكذلك اليهود الذين لم ينفتحوا على العالم، إلا بعد الفتح الإسلامي، فكان من نتائج حلول السلطة الإسلامية توثيق العلاقات بين الجالية اليهودية والمراكز التلمودية في العراق، وعندما دخل اليهود والنصارى في دين الاسلام، كان هذا دخول لعناصر تقليدية من هذين التراثيين الحضاريين، وهكذا نشأ هذا الطابع المحافظ المتشبث بالقديم، وهو الطابع الفريد للإسلام في الأندلس[3]، و كانت الصفة المدنية غالبة في الأندلس، بخلاف المغرب الذي كان يسود فيه النظام القبلي، و من أهم ما شجع على هذا الاندماج في الأندلس هو شريعة الإسلام[4]، ولكن هذا الاندماج كان لا يخلو من صراع بين المسلمين وبين بقايا القوط المتعصبين دينياً، الذين أرادوا تقويض الحكم الإسلامي، وإعادته إلى حظيرة النصرانية، وبالفعل كان التوحد والانسجام في المعسكر النصراني يواجهه تفكك في المعسكر الإسلامي مما أضعف المسلمين، و لهذا السبب تم وضع حد لحكم المسلمين في الأندلس[5]، هذا الصراع الذي اتسم أنه صراع وجود بين حضارة المسلمين التي نهضت بالبلاد وابتعدت، وبين الحضارة النصرانية المتربصة بها[6].

والملاحظ من خلال ما تقدم أن قدرة المسلمين على استيعاب الحضارات الأخرى واحترامها، كانت سببا في بقاء المسلمين لفترة طويلة في الأندلس، فالحرية والعلم اللذان ساهما في اندماج العناصر الاجتماعية المختلفة عقائدياً وحضارياً وقومياً في نسيج اجتماعي واحد، وكان نتيجته إبداع تلك الحضارة العريقة، ولنا أن نتعرف على إبداع الأندلسيين في المجال الفكري والعلمي والأدبي والطبي والتعليمي و مجال حقوق الإنسان، من خلال فصول الدراسة اللاحقة.

---

(1) لطفي، بركات أحمد: المعجم التربوي ،الرياض، دار الوطن، 1984م، ص 28.

(2) ابن عذارى البيان المغرب، ج2، ص135.

(3) الجيوسي: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، ص1179.

(4) المصدر نفسه: ص 1180.

(5) السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 131-159.

(6) 6- سالم: تاريخ المسلمين، ص 119-167.

الفصل الثاني
الإبداع الفكري والثقافي لمسلمي الأندلس

- المبحث الأول: الإبداع الفكري والعلمي لمسلمي الأندلس.
- المبحث الثاني: الإبداع الفقهي والأدبي لمسلمي الأندلس.
- المبحث الثالث: الإبداع الطبي والتعليمي لمسلمي الأندلس.

المبحث الأول

الإبداع الفكري والعلمي لمسلمي الأندلس

تميزت الحركة الفكرية في الأندلس بتنوعها، وتعدد مجالاتها، حيث نهضت في ميادين مختلفة، منها الأدب والشعر، والحديث والفقه، وغلبت على هذه النهضة في بداياتها الطابع الديني، ثم ما لبثت أن امتدت لتشمل كافة العلوم الأخرى التي أبدع فيها المسلمين، والتي سيتم دراستها بعناوينها المختلفة.

أولاً: الإبداع الفكري:

تضافرت عوامل عدة ساهمت في ازدهار الحركة الفكرية في بلاد الأندلس، ويمكن إجمال أهم تلك العوامل فيما يلي:

1. **استقرار الأوضاع في البلاد:** ولقد أدى إلى وجود كم ضخم ومتنوع من الإنتاج الفكري الأندلسي في مختلف فروع المعرفة البشرية وقت ذاك[1].
2. **تشجيع الخلفاء وولاة الأمر والعلماء:** حيث كان للعلماء مكانتهم المرموقة، ولقد كرم الخلفاء العلماء في كل تخصص، وشجعوهم وقربوهم إليهم، وهذا شجع العلماء على البحث والتأليف، و رفع من أقدارهم، وأكسبهم الغنى والثراء من جهة أخرى[2].
3. **الاتصالات العلمية والثقافية:** أحدثت تلك الاتصالات، والتي كانت بين علماء الأندلس وعلماء المشرق العربي ثوره علميه وفكرية وثقافية[3].
4. **انتشار التعليم:** حيث كان التعليم في الأندلس إجباريا وبالمجان، ولذلك أصبح معظم السكان يعرفون القراءة والكتابة[4]
5. **انتشار اللغة العربية:** فقد أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، وكانت الوسيلة للثقافة الإسلامية هي اللغة العربية، كما أن المناهج الدراسية في المؤسسات التعليمية كانت باللغة العربية التي هي لغة القران الكريم والدين[5]

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج1، ص220

(2) المصدر نفسه: ج1،ص220-221.

(3)دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس،ص30.

(4)المصدر نفسه:ص31.

(5)المصدر نفسه:ص31.

6. **انتشار حركة الترجمة:** وكانت من العربية إلى اللغات الأخرى والعكس، و اشتهرت مدينة طليطلة بذلك، وهي من أهم المدن التي كانت عامره بالمكتبات العريقة، وكذلك المدن الأخرى[1] و أسهم المسلمون بتوصيل هذه الثقافة للأمم الأخرى بكل أمانة[2].

وكان للفكر الإسلامي دوره المهم في الإبداع الحضاري، ذلك الدين الحنيف الذي لا غلو فيه أتاح للجميع أن يعملوا ويبدعوا في إنجاز الحضارة التي عادت بالنفع على جميع أفراد المجتمع.

وساهمت سياسة التسامح التي انتهجها المسلمون بعد فتح الأندلس في انتشار الإسلام بينهم، كما أخذت اللغة العربية في الذيوع، وقد استجابت طبقة العبيد الأسبان بشكل كبير للدين الجديد[3] كما نفذ الإسلام إلى الطبقة الوسطى[4] الذين دخلوا الإسلام عن قناعة وعقيدة[5]، وقد ساعدت علاقات المصاهرة بين العرب والبربر وأهل البلاد[6] على شد أزر الحركة الإسلامية وتقويتها، ولقد أدى هذا التصاهر إلى ظهور جيل من المولدين[7] الذين نشأوا على الإسلام، ولقد كثر أبناء هذا الجيل[8] من المولدين فأدى إلى انتشار اللغة الرومانية[9] بين الأندلسيين[10]

وكانت قد دخلت عن طريق هؤلاء المولدين اللغتان العربية والرومانية، وكذلك احتفظ عدد كبير من أهل البلاد بديانتهم النصرانية واليهودية[11]، ولكنهم تعلموا اللغة العربية، وأخذوا أسلوب العرب في تسيير حياتهم[12]، وهؤلاء عرفوا باسم المستعربة أو المستعربين، أي الذين تعربوا ولم يدخلوا الإسلام[13]، وسمحت لهم الدولة بحرية العقيدة[14]، فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم، ولم

---

(1)أبو رميلة: الأسبان والحضارة الإسلامية، مجلة معهد المخطوطات العربية،مج3،يوليو1986م، ج2، ص666.

(2)الحلوجي، عبد الستار: لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، القاهرة، دار الثقافة،1982م، ص30-34.

(3) أرنو لد: الدعوة إلى الإسلام،ص157؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج1،ص63.

(4) المصدر نفسه:ص157.

(5) المصدر نفسه:ص157.

(6) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي بكر الشيباني: الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، بولاق،1247م، ج5، ص9؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج2،ص23.

(7) أرنو لد: الدعوة إلى الإسلام،ص157؛ عنان: دوله الإسلام في الأندلس،ج1،ص203.

(8) المصدر نفسه: ج1، ص202.

(9) الرومانية: هي اللاتينية الحديثة ويسميها المؤرخون العرب "العجمية أو اللطيفة،(لطفي، عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، المكتبة التاريخية مكتبة النهضة المصرية،1041هـ=1633م، ص72).

(10) بالنيشا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص2.

(11) الحجى: أندلسيات،ج2،ص60 .

(12) بالنيشا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص2

(13) المصدر نفسه: ص2.

(14) الحجى: أندلسيات،ج2،ص59-60 .

تتعرض لهم بسوء[1]، ولعب الاستعراب[2] دوراً كبيراً في التأثير على المسلمين من غير العرب "من الأسبان وأصبحوا مولعين بالتراث العربي[3]

ويتضح لنا مما سبق ذكره أن المسلمين العرب الفاتحين استطاعوا أن يؤثروا فكرياً في المجتمع الأندلسي، بالرغم من وجود الإثنيات القومية المختلفة وكذلك الأديان، بل وفرضوا لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهذا دليل على قوة وأصالة الحضارة الإسلامية، وعلى إمكانية وصولها إلى غير العرب والمسلمين بسهولة ويسر.

و اهتم الأسبان من غير العرب بالأدب والشعر العربي، حتى إن المطران الفارو شكا من انتشار الثقافة العربية بين شباب النصارى[4]، وكان الفضل للمستعربين في نقل الحضارة العربية إلى أسبانيا[5] بل ولعبوا دوراً مهماً في تعزيز تلك الثقافة في نفوس الأسبان[6] فكانوا أداة الاتصال بين شطري أسبانيا، وذلك بحكم معرفتهم باللغتين العربية واللاتينية الحديثة[7]، وكان اليهود قد نقلوا الثقافة والفكر الإسلامي إلى غرب أوربا[8]، والجدير ذكره انه لم يكن هناك أي لون للحياة الفكرية في بداية الفتح الإسلامي للأندلس[9]، خصوصا في السنوات الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي لأسبانيا على يد طارق بن زياد[10]، فالأسبان لم يتركوا آثار تدل على حياتهم الفكرية طوال عصر الولاة (710–755 هـ)[11].

لأن الفاتحين انشغلوا في النزاع... الذي وقع بينهم، والخصام والحروب، وكان معظم الفاتحين من المحاربين، وهذا جعلهم ينصرفون عن الأدب والشعر والفكر[12]، إلا أن الأندلس عرفت في

(1) الدلائى: نصوص تاريخيه ، ص11.

(2) الاستعراب: ويعني تأثير الثقافة العربية في غير المسلمين من الأسبان الذين اعتنقوا الإسلام(أرنو لد: الدعوة إلى الإسلام، ص160).

(3) عبد البديع: الإسلام في أسبانيا،ص38.

(4) الحجى: أندلسيات، ج2وص59.

(5) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص203.

(6) أرنو لد: الدعوة إلى الإسلام ، ج1،ص160؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج1،ص203.

(7) عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص38؛ أرنو لد: الدعوة إلى الإسلام، ص160.

(8) أرنو لد: الدعوة إلى الإسلام،ص158.

(9) هيكل: تاريخ الأدب الأندلسي، ص71.

(10) بالنيثا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص1.

(11) المصدر نقسه: ص1.

(12)بالنيثا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص11.

فترة الولاة نوعا من الثقافة[1]، حيث دخل البلاد عدد من الصحابة والتابعين[2]، فكان لهؤلاء دورهم في نشر علم الدين، حيث كانوا يصحبون الجند معهم[3]، وكانوا هم الذين يفتون في جميع قضايا المسلمين، كتقسيم الغنائم، وتحديد الضرائب، وكذلك عملوا على تعليم الناس الفقه[4].

فهذا عمر بن عبد العزيز أُرسل إلى المغرب عشرة من التابعين، ورحل بعضهم إلى الأندلس، للاشتراك في الإفتاء أثناء ولاية السمح بن مالك الخولانى[5]، ولقد وضع هؤلاء نواة المدارس الأندلسية الأولى في مسجد إشبيلية، الذي أسسه عبد العزيز بن موسى بن نصير، ومسجد قرطبة[6].

وكان المعلمون في الأندلس يعتمدون في تدريسهم على الكتب التي تم جلبها من الشرق[7]، ولذلك نجد أن الذي أغنى الحياة الثقافية والفكرية هو جلب كتب المشارقة إلى الأندلس، ورحلات الأندلسيين إلى المشرق في طلب العلم[8]، وكان للأدب نصيب أكبر في الحياة الثقافية، حيث وفد إلى بلاد الأندلس في عهد الإمارة بعض الشعراء[9]، منهم: أبو الأجرب جعونة ابن العمة[10]، وأبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي[11]، أيضا من شعراء هذه الفترة، وهو من أشراف القحطانيين في الأندلس[12]، كذلك ظهر بعض الناثرين، لان الخطابة كانت ضرورية، بسبب ظروف الحرب والنزاع القبلي، وتتطلبها مناسبات سياسية ودينية مختلفة[13]، وكذلك اهتم الفاتحون بالكتابة، ومن أمثلة ذلك، العهد الذي أبرم بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وتدمير أحد حكام القوط، وكذلك جزء من رسالة يوسف الفهري آخر الولاة إلى عبد الرحمن بن معاوية

---

(1) هيكل: الأدب الأندلسي، ص70.

(2) المقري: نفح الطيب، ج1، ص130.

(3) أرسلان: تاريخ غزوات العرب ، ص 32.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب، ج1،ص48.

(5) المصدر نفسه: ج2، ص48.

(6) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص9.

(7) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، بيروت، دار الثقافة، ط1960،1م، ص29.

(8) هيكل: الأدب الأندلسي ، ص71؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، ج1،ص194.

(9) عباس: تاريخ الأدب ، ص33.

(10) وهو شاعر وفارس شجاع وكان يدعى عنترة الأندلس، لم يلحق دولة بني أمية، ومات قبل وقعة المصارة، التي كانت لعبد الرحمن علي يوسف(ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1955م، ط3، ج1، ص131).

(11) بحثت ولم أجد.

(12) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج1، ص65 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب ،ج1، ص50.

(13) المصدر نفسه: ج2، ص67.

حين علم بنزوله إلى الأندلس[1]، ولما قدم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس عمل على إحياء الإسلام في تلك البلاد[2]، وعمل على تحقيق الاستقرار وتوحيد الأندلس[3]، وبقيام الخلافة الأموية نهضت الثقافة والفكر الإسلامي[4]، وتميز هذا العهد بنمو فكري وثقافي مضطرد لمدن الأندلس[5].

وبخاصة مدينة قرطبة، والرصافة في الشمال الغربي منها[6]، وظهرت في هذه الفترة طبقة المولدين وهي تتألف من أبناء الأسبان الذين اعتنقوا الإسلام، حيث صُبغت الحياة الأندلسية بصبغة عربية إسلامية[7]، ومما أثر في حياة الأندلسيين تأثيراً كبيراً، هو تحولهم من مذهب الأوزاعي الذي كان منتشراً بالشام إلى مذهب الإمام مالك، ولقد دخل المذهب المالكي في عهد عبد الرحمن الداخل[8]، عن طريق طائفة من العلماء الأندلسيين المالكيين من الذين درسوا المذهب في المشرق، ثم عادوا إلى الأندلس، فأشاعوه وتمتعوا بنفوذ كبير، مكنهم من نشر المذهب المالكي وإعطائه الطابع الرسمي[9].

نلاحظ أن عوامل الوحدة والاستقرار والأمن ساهمت بشكل كبير في الازدهار الفكري والحضاري في الأندلس، بينما تراجعت في ظل الحروب والاضطرابات.

وتطورت مظاهر النهضة الثقافية والفكرية أيضاً في مجال علوم النحو واللغة، حيث كانوا في البداية يدرسون اللغة عن طريق قراءة النصوص فقط[10].

---

(1) هيكل: الأدب الأندلسي، ص77.

(2) ابن الكر دبوس: تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط، تح: أحمد مختار العبادي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية،1971م، ص567.

(3) بالنيثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص2.

(4) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص193

(5) المقري: نفح الطيب، ج1، ص217.

(6) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص163.

(7) المصدر نفسه: ص165.

(8) عبد البديع، لطفي: الإسلام في الأندلس، ص 40.

(9) هيكل: الأدب الأندلسي، ص 90.

(10) بلنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي،ص185.

ولـو نظرنـا بالمقابـل إلـى النشـاط الفكـري فـي أوروبـا، لوجـدناه اقتصـر علـى تـأثرهم بالأوضـاع الرومانيـة[1]، وأن اللغـة اللاتينيـة هـي اللغـة الرسـمية للـبلاد[2]، ويعـد عصـر شـارلمان مـن أعظـم عصور أوروبا في العصور الوسطى؛ لقيامه بإصلاحات شاملة، وعمل على رفع شأن الكنيسة، ورجالهـا، وتزعمـه للنهضـة الشـاملة[3]، ونجـد أن الفـرق بـين النهضـة العربيـة فـي الأنـدلس وبـين نهضـة أوروبـا، تكمـن فـي أن النهضـة الأوروبيـة كانـت مصـطنعة؛ لأنهـا حـدثت بفعـل رجـل واحـد وهو شارلمان[4].

فهي لم تكن آتية من مؤثرات حضارية كامنة، ولذلك نجد أنها ماتت، وخمدت جذوتها بسرعة[5]، وكان مركز النهضة العلمية الشاملة هو البلاط الملكي، حيث اجتذب الكتاب والعلماء من جميع أنحـاء الـبلاد[6]، ومـن أشـهر العلمـاء تـأثيراً فـي النهضـة الشـارلمانية، الكـوين الـذي قابـل شـارلمان سـنة(781م) فـي رومـا[7]، فاحتـل فـي بـلاط شـارلمان مركـزاً بـارزاً، بالإضـافة إلـى إشـرافه علـى شؤون الثقافة والتعليم في مملكته، فعلم رجال الدين والقساوسة والرهبان و ثقفهم، وأدى ذلك إلى تقوية التعليم في عهده[8]، وأصبحت الأديرة بوجه خاص مركزاً للنشاط العلمي والثقافي والفكري في أوروبا[9]، وكون لاكوين إنتاجه الفكري في الجوانب الدينية والفلسفية والأدبية والتاريخية، إلى جانـب إجادتـه للشـعر[10]، وكـان مـن أعـلام عهـد شـارلمان أجنهـا رد، فكـان مـن رجـال السياسـة، وحظي بمركز هام في القصر، ووضع كتاب (تاريخ شارلمان)، وهو من كتب التاريخ في تلك الفترة[11].

---

(1) عاشور: أروبا العصور الوسطى،ج1،ص197.

(2) عاشور: النهضة الأروبية في القرن الثاني عشر،ص42.

(3) المصدر نفسه:ص46.

(4) فيشر: تاريخ أروبا العصور الوسطى،ص75.

(5) المصدر نفسه: ص 75.

(6) عاشور: النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر، ص 47.

(7) فيشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص 90.

(8) المصدر نفسه : ص 92.

(9) كرستورفردوسن: تكوين أوروبا، تر: محمد مصطفى زيادة، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، مؤسسة كل العرب،1967م،ص277.

(10) فيشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى ،ص91.

(11) المصدر نفسه: ص 91.

وهكذا نجد أن شارلمان كان له أثر كبير في تشجيع العلماء، ونشر الثقافة[1]، وانتشرت في عصره الحركة العلمية إلى جميع أنحاء الإمبراطورية[2]، وفتح المدارس، واهتم بالكتب والمكتبات[3]، وكانت رعاية شارلمان للتعليم لرفع مستوى رجال الدين[4]، والاستفادة من المتعلمين في إدارة الدولة والحكومة[5] وترجع قوة الحركة الفكرية إلى تضافر قوتين وهما، الثقافة الديرية، والموهبة التنظيمية التي اتصفت بها الملكية الفرنجية[6].

وبالمقارنة بين النشاط الفكري لدى مسلمي الأندلس وبين أعدائهم، سنجد الفارق الكبير بين حضارة الإسلام التي قامت واستمدت زخمها وقوتها من روح العقيدة الإسلامية السمحة، فجعلت منها حضارة تقوم على أساس فكري متين، وبين حضارة أوروبا التي كانت مقوماتها مادية وأهدافها المجد الشخصي فلم تصمد طويلاً وسرعان ما انهارت، وتراجعت أمام قوة وصلابة الحضارة الإسلامية في الأندلس.

---

(1) زغريد هونكة: فضل العرب على أوروبا ،تر: فؤاد حسين علي، دار النهضة العربية، ص 167.

(2) فيشر: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، ص 90.

(3) عاشور: النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر،ص90.

(4) المرجع نفسه : ص 70.

(5) كرستوفردوسن: تكوين أوروبا، ص275.

(6) المصدر نفسه: ص275.

ثانياً: الإبداع العلمي:

يقصد بالإبداع العلمي ما حققه مسلمو الأندلس من ضروب التقدم والإبداع في مختلف ميادين العلوم والآداب والفنون، حيث حمل المسلمون مشعل العلم في تلك الحقبة التاريخية، وأفرزت الحركة العلمية والأدبية في الأندلس مجموعة من العلوم والمعارف لم تكن موجودة من ذي قبل، وهذا تتويج للنشاط الفكري الذي عم البلاد، والذي سيتم التطرق لجانب منه بالتفصيل.

كان الحكام يستقدمون الكثيرين ممن برزوا في مجالات العلوم المختلفة ليستمعوا إليهم، و ليكلفونهم بالتأليف والتصنيف، سواء كانوا أندلسيين أوغير أندلسيين، أي من الشام والعراق، ومصر، والمغرب، وصقلية وغيرها[1]، وأحاط الأندلسيون بمعارف شتى، في العلوم الإنسانية، و الاجتماعية، والعلوم البحتة، والتطبيقية[2]، وكان من أهم تلك العلوم:

أولًا: العلوم اللغوية والدينية:

حيث قامت النهضة العلمية في الأندلس بفضل اللغة العربية، التي كانت هي اللغة الرسمية، وهي لغة التعليم في جميع المؤسسات العلمية المختلفة، ولقد قاد أبو علي القالي البغدادي[3]نهضة لغوية ونحوية كبيرة، وجاء بعده رجل من أمثال أبي بكر القوطية[4]، ومحمد بن الحسن الزبيدي صاحب كتاب (طبقات النحويين) وهما من تلاميذ القالي[5]، واهتم الأندلسيون بالنحو البصري الذي كان يجنح إليه أبو علي القالي بدلاً من النحو الكوفي[6]

ونجد أنه كان هناك اهتمام بالأدب والشعر الأندلسي المنثور والمنظوم، ولقد استحدثوا الموشحات وجعلوها نوعاً من أنواع الشعر[7]، و كان لكل ملك أو أمير في الأندلس شعراؤه الذين يتبارون

(1) ابن الفرضي، عبد الله محمد بن يوسف الأزدي: العلماء والرواة للعلم بالأندلس، القاهرة، الناشر: عزت العطار الحسيني، 1954م، ج1 ،ص777.

(2) بدر، أحمد: تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري عصر الخلافة ،دمشق،1974، ص159.

(3) وهو مولى عبد الملك بن مروان، ولدبمنازجرد من ديار بكر ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة، ومات بقرطبة سنة ست وخمسين وثلاثمائة، (الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن بن عبد الله الرومي: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1991م، ج2، ص303).

(4) وهو من الموالي البربر ، وسكن قرطبة، وكان فقيها، ونبغ في الأدب والحديث، ومن كتبه: تصاريف الأفعال، وشرح الرسالة، والمقصور والممدود(المالكي، إبراهيم بن محمد بن فرحون اليعمري: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج1، ص262).

(5) المصدر نفسه: ص 157.

(6) شوقي ضيف: المدارس النحوية ،القاهرة ، دار المعارف ، ط4 ،1979م، ص 288-292.

(7) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة ، تح: حجر عاصي، بيروت، دار ومكتبة الهلال،1988 م، ص 362.

في نظم القصائد في مدحه والإشادة به، فمن شعراء المعتمد بن عباد ملك إشبيلية: ابن عمارة[1]، ومن شعراء المعتصم بن صمادح[2] ابن الحداد[3][4].

وكانت في الأندلس شاعرات منهن حسناء التميمية، وأم العلاء بنت يوسف الحجازية، وأم الكرام أم بنت المعتصم بن صمادح، وأشهرهن كانت الشاعرة ولادة بنت المستكفي بالله[5].

ومما أبدعه الأندلسيون في علم اللغة أن تركوا لنا تراثا ثقافيا ضخما، نجده في كتب عدد من العلماء الذين كتبوا في علم اللغة ومنهم:

أبو بكر الزبيدى الذى اختصر كتاب العين، وألف كتاب طبقات النحويين واللغويين، وكتاب تحسين العامة، وكتاب الأبنية في النحو، وكتاب الواضح في العربية[6]، وكذلك اشتهر أبو بكر محمد بن عبد العزيز المشهور بابن القوطية (ت367هـ=977م)، وبرع في الفقه والتاريخ أيضا، ومن أهم مؤلفاته :كتاب تصاريف الأفعال، وكتاب المقصور والممدود وغيره[7]

ويقول عنه الحميدى :"كان إماماً في العربية، وله كتاب الأفعال لم يؤلف مثله"[8]، وكذلك ظهر صاعد البغدادي[9]، وساهم في تنشيط الحركة اللغوية والأدبية، وله كتاب الخصوص[10].

---

(1) وهو شيخ القراءة، أبو عمارة التيمي، مولاهم الكوفي الزيات مولى عكرمة بن ربعي، تلا عليه حمران بن أعين، والأعشى، وحدث عن ابن ثابت، والحكم وعمرو بن مرة(الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص90).

(2) وهو محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صمادح بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميرة الداخل إلى الأندلس(القضاعي: الحلة السيراء، ج2، ص78).

(3) وهو العلامة الحافظ ، شيخ عصره، صاحب المولدات المشهورة، لازم النسائي وتخرج به، وله أدب الفضاء، مات سنة أربع وأربعين وثلاثمائة عن ثمانين سنة(السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات الحفاظ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، ج1، ص368).

(4) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 295.

(5) المقري، نفح الطيب: مج4، ص 166-205.

(6) ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، سلسلة تراثنا، المكتبة الأندلسية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م، ج2،ص69.

(7) المصدر نفسه: ج2، ص69.

(8) الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، سلسلة تراثنا المكتبية الأندلسية، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،1966م، ص76.

(9) وفد إلى الأندلس زمن المنصور بن أبى عامر سنة(380هـ=990م)، فأكرمه وكان صاعد عالماً في اللغة والأدب والأخبار، وحسن الشعر(المراكشي: المعجب، ص19).

(10) المراكشي، عبد الواحد بن على التميمي،: المعجب في تلخيص أخبار العرب، القاهرة، مطبعة السعادة، نشر محمد سعيد العريان، ومحمد العلي،1949م، ص19.

إن الإبداع في اللغة ساهم في تطور العلوم الدينية مثل علوم القرآن والتفسير، وصنفوا فيها الكتب، وكان من أهم العلماء محمد بن وضاح[1] وبفضل جهوده وجهود بقى بن مخلد القوطى (ت276هـ=889م)، أصبحت الأندلس دار حديث[2]، وعمل بقى بن مخلد على ملء الأندلس بالحديث والرواية، وصنف عددا من الكتب[3] وأيضاً كان من كبار علماء الحديث عبد الناصر قاسم بن أصبع البيالي[4]، وعبد الله القرطبى[5]، و ظهر في علم القراءات عثمان بن سعيد القرطبي[6] الذي بلغ الغاية في القراءات[7]، وأبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي(ت393هـ=1003م)، المعروف بالورشي[8]، وفي تفسير القران الكريم بقي بن مخلد أكبر المفسرين للقرآن الكريم في الأندلس، وصاحب التواليف التي لم يؤلف مثلها في الإسلام[9].

وأيضا أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي[10]، وأبو عبد الله بن أحمد القرطبي[11]، و ظهر في الأندلس علماء في أصول الفقه والمذاهب الأربعة ومنهم: يحيى بن يحي الليثي (ت234هـ=848م)[12]، وأستاذه زياد بن عبد الرحمن اللخمي[1]

---

(1))(ت287هـ=900م)، مولى عبد الرحمن بن معاوية، الذي برع في علم الحديث(ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص16).

(2) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس،ج2،ص16.

(3) المصدر نفسه:ص92.

(4) و صنف كتاباً في الحديث سماه المجتبى، وهو من كبار علماء الحديث(المقري: نفح الطيب، ج2، ص254).

(5))(ت348هـ=959م) وله مصنفات عدة في فقه الحديث منها فقه الحسن البصري في سبعة مجلدات، وكتاب فقه الزهري(المقري: نفح الطيب، ج2، ص418).

(6) بحثت ولم أجد.

(7) المقري: نفح الطيب، ج2،ص254.

(8) جنثالث بالنيثيا: تاريخ الفكر الإسلامي، تر: حسين مؤنس، القاهرة ،1955م،ص400؛ لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، القاهرة ،المكتبة التاريخية ، 1958م، ص44.

(9) المقري: نفح الطيب،ج2،ص414.

(10) (ت601هـ=1204م)، وله شرح على تفسير ابن عطي (جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الإسلامي، ص409).

(11) مفسر (ت671هـ=1272م) الذي جمع تفسير القرآن في كتاب من خمسة عشر مجلداً، وشرح أسماء الله الحسنى في مجلدين، وصنف كتاباً بعنوان التذكرة في أمور الآخرة في مجلدين (المقري:نفح الطيب، ج2،ص409).

(12) بحثت ولم أجد.

وكان يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبى(ت259هـ=873م) من دعائم الفقه في عصر أمراء بنى أمية، حيث صنف كتباً منها: (تفسير الموطأ، وكتاب تسمية الرجال المذكورين فيه، وكتاب المستقصية، وكتاب في فضائل العلم)[2]، ومن العلماء البارزين أيضا هارون بن نصر(ت302هـ=914م)، والذي كان يميل إلى المذهب الشافعي، فعنى بحفظ كتبه وتفقه فيها، وكان من أهل النظر والحجة[3] ومن أكبر فقهاء قرطبة أيضاً منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي (ت355هـ=966م)[4]، وأبو الخطاب عمر بن الحسن بن دحية(ت633هـ=1236م)[5].

وهذا يسير من كثير، إن هذا العدد الكبير من المبدعين ليدل على التراث العلمي الذي خلفوه، وعلى مدى اهتمام الأندلسيين بالعلوم الدينية في ذلك الوقت، ومقدار ما أحدثه الأندلسيون من إبداع في مختلف المجالات، وهذا جعل تلك المرحلة المضيئة في التاريخ الإسلامي مرحلة نهوض حقيقية، مما كان له أثره البالغ على الحضارة والتقدم في الأندلس، وكان هذا نتيجة للاحترام والحفاوة، التي كان يتمتع بها العلماء والمبدعون في الأندلس من قبل الأمراء والخلفاء وأولي الأمر.

---

(1) ويعرف بشبطون وهو أول من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس (المقري: نفح الطيب، ج2. ص422).

(2) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص181

(3) المصدر نفسه: ص168.

(4) المصدر نفسه: ص144.

(5) المقري: نفح الطيب، ج2، ص301– 30

ثانياً: العلوم العقلية:

أبـدع المسـلمون فـي إنتـاج تراثـاً مهمـاً فـي مجـال العلـوم العقليـة، فـي علـم التـاريخ، والفلـك، والرياضيات، والفلسفة فلم يقتصر إبداعهم على العلوم الدينية فحسب ومن أهم تلك العلوم:

أولا: التاريخ:

تطور التأليف في التاريخ وخاصة في عصر الخلافة (138-420هـ=755-1029م)، حيث بلـغ مرحلـة النضـج، وظهرت مؤلفات أصبحت من أمهات الكتب في التاريخ، وتمثل مصـادر أساسية معتمدة في تاريخ الأندلس، وتأثر المؤرخون المحليون باللغة اللاتينية، ومكنهم ذلك من الاطلاع على بعض الكتب التاريخية المكتوبة بها[1]، ولقد تعصب أهل المدن الأندلسية لمدنهم فكانوا يذكرون فضائل مدنهم[2].

ويعد عبد الملك بن حبيب السلمي (ت238هـ=852م) أول مؤرخ أندلسي يتعرض لتاريخ بلاده، وكانت لـه مؤلفات عن الفقه والتواريخ والآداب[3]، وأنجبت قرطبة عددا من كبار المؤرخين في الأندلس، من أقدمهم ثلاثة يحملون اسم الرازي، اشتغلوا جميعا بالكتابة التاريخية، وأولهم محمد بن موسى الرازي[4]، وثانيهم أحمد بن محمد بن موسى الرازي[5] والثالث هو أحمد بن موسى الرازي[6] وظهر أيضـاً فـي عصـر الخلافـة أبـو بكـر محمـد بـن عمـرو المعـروف بـابن القوطيـة القرطبي(ت367هـ=977م)، الذي كان حافظاً لأخبار الأندلس، وله كتب عدة في التاريخ منها كتاب تاريخ افتتاح الأندلس، وكذلك نبغ عريب بن سعد (ت 369هـ=979م)، من قرطبة وهو نصـراني، ولـه كتـاب مختصـر لتـاريخ الطبـري، يتعلـق بأخبـار المشـرق مـن سـنة (289-319هـ)=(902-931م)، ضم أخبار المغرب والأندلس[7].

---

(1) بدر، أحمد: تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري عصر الخلافة ، دمشق ،1974م، ص 176.

(2) أمين: ظهر الإسلام ،ج 3، ص8-10.

(3) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ،ج 1، ص 269 .

(4) (ت 273هـ=886م) الذي صنف كتاب الرايات، وهو كتاب تاريخي وجغرافي (المقري: نفح الطيب ، ج4، ص 108).

(5) الملقب بالتاريخي (ت324هـ=936م)، وألف كتابين أحدهما في وصف قرطبة، والثاني في أخبار ملوك الأندلس، (المقري: نفح الطيب، ج4، ص 166) .

(6) الذي ألف كتباً في التاريخ الأندلسي، ومنها تاريخ الأندلس وحجاب خلفاء الأندلس (جنثالث بالنيثا: تاريخ الفكر الأندلسي ، ص 198).

(7) المصدر نفسه: ص 206.

وأعظم ما أنجبته قرطبة في عصري الخلافة والطوائف من المؤرخين بلا منازع هو أبو مروان حيان بن خلف بن حيان المعروف بابن حيان (ت469هـ=1076م)، ويعد إمام مؤرخي الأندلس وشيخهم، ومن أهم كتبه: المقتبس، والمتين، وأخبار الدولة العامرية، والبطشة الكبرى، وعرفت هذه الكتب باسم التاريخ الكبير لابن حيان، الذي كان موضع اعتزاز ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس[1]، وكذلك المؤرخ الكبير أبو محمد علي بن حزم القرطبي (ت454هـ=1062م)، ومن أهم مصنفاته: كتاب جمهرة أنساب العرب، وكتاب نقط العروس[2]

وغيرهم من العلماء الذين أبدعوا في هذا المجال، فتركوا لنا تراثاً مهماً نتعرف من خلاله على تاريخ الأندلس، وعلى تلك الحقبة التاريخية المهمة من التاريخ الإسلامي .

ثانياً: علم الفلك والرياضيات:

أبدع الأندلسيون في علم الفلك، وفي علم الرياضيات، ولقد نبغ في هذه العلوم عدد من العلماء الذين تركوا لنا تراثاً كبيراً ومبدعاً وكان من أهم هؤلاء العلماء:

العالم الرياضي الفلكي أبو القاسم المجريطي(ت394هـ=1004م)، ومن مؤلفاته: رسالة في الإسطرلاب، وأبو قاسم إصبع بن السمح، ومن مؤلفاته المدخل إلى الهندسة في تفسير إقليدس، وكتاب الإسطرلاب، وأبو القاسم المهري (الزهراوي)[3]، ويعد أحمد بن أبي عبيدة الليثي القرطبي من أقدم علماء الحساب والنجوم بقرطبة (ت 395هـ=1005م)[4]، وكذلك يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة القرطبي (ت315هـ=927م)، وكان بصيراً بالحساب والنجوم والطب متصرفا بالعلوم[5]، ومن أعظم علماء الرياضة بقرطبة في عصر الخلافة الأموية: أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (ت398هـ=1008م) كان في زمن الحكم، وعرف علم الأفلاك وحركات النجوم، واهتم بأرصاد الكواكب، وشغف بدارسة كتاب بطليموس، وتتلمذ على يديه ابن الصفار المهندس المنجم، والزهراوي القرطبي المهندس الطبيب،، وغيرهم ممن درسوا على يديه الهندسة والعدد[6]، وألف الزهراوي كتاب الأركان، وهو في المعاملات عن طريق البرهان[7].

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج4، ص 167.

(2) جنثالث بالنيثا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص267.

(3) المصدر نفسه: ص 267.

(4) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس،ص126.

(5) المصدر نفسه: ص188.

(6) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 484.

(7) المصدر نفسه: ص 484.

والكرماني، أبو الحكم عمرو الكرماني القرطبي (ت458هـ=1066م) الذي كان عالما في الهندسة وعلم العدد، حيث لم يكن أحد يجاريه في علم الهندسة[1]، وأما ابن الخياط(ت447هـ=1055م) فقد برع في علم النجوم واشتهر بها، وكان في زمن الخليفة الناصر [2].

أولئك هم أبرز علماء الفلك والرياضيات، وهؤلاء نماذج حية يمثلون حالة التطور والإبداع في هذه العلوم المهمة التي أفادوا بها البشرية كلها آنذاك.

ثالثاً: علم الفلسفة:

اهتم المسلمون بجميع العلوم وطوروها ومن بين تلك العلوم التي أبدعوا فيها علم الفلسفة بالرغم من عدم تقبل العلماء لها، إلا أنها نالت نصيباً من الإبداع الحضاري على النحو التالي:

لقد كان الاهتمام منصبا على العلوم الدينية واللغوية في العصر الأموي، وكانت الفلسفة موضع خلاف ونفور عند جميع العلماء، بل كانوا يطلقون على العاملين في الفلسفة(الزنادقة)، وكثيراً ما كانت تحرق كتبهم[3]، وأول من عرف بالاشتغال بالفلسفة بالأندلس وهو أشهر الفلاسفة، أبو عبد الله القرطبي الباطني (ت 319هـ=931م)[4]، وكان قد تأثر بأفكار ميلول السكندري، وأفلاطون، وعرفت و نسبت إليه (أنبذو قليس)، وتعتمد على وجود مادة روحانية يشترك فيها جميع الكائنات عدا الذات الإلهية، وتعد هذه أول صورة برزت للعالم العقلي الذي يتألف من الجواهر الخمسة الروحانية[5]، واتهم ابن مرة[6] بالزندقة، وأحرقت كتبه بعد أن تبين سوء معتقده[7]، وخلف ابن مرة تلاميذه الذين حملوا لواءه من بعده[8]، ولكن الحملة ازدادت ضد ابن مرة وتلاميذه، ومنهم خليل بن عبد الملك، و وإليس بن يوسف الطليطلي[9].لكن علم الفلسفة

---

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 484 .

(2)ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 484 ؛ جنثالث بالنيثا : تاريخ الفكر الأندلسي، ص 450.

(3) المقري: نفح الطيب، ج1، ص 205.

(4) جنثالث بالنيثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 329–330.

(5) المصدر نفسه: ص 330 .

(6) ويكنى أبا يقظة، وأمه محشية ابنة شيبان بن محارب، بن فهر، برع في علم الفلسفة،(ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، تح: عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ، ج1، ص559).

(7) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص 40.

(8) المصدر نفسه: ص 47.

(9) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي، المكتبة الأندلسية، بيروت، 1960 م، ج 2، ص85.

ازدهر أكثر في زمن الموحدين، وبرز في قرطبة فيلسوف عظيم هو أبو الوليد محمد بن رشد القرطبي الحفيد، وكان أبو يعقوب يوسف محبا للفلسفة، فجمع كثيراً من مؤلفاتها، واحتضن من الفلاسفة ابن رشد وابن الطفيل(1).

ويعد ابن رشد من أجل الفلاسفة في الإسلام، فهو الذي لخص فلسفة أرسطو، وشرحها، وقد كانت شروحاته لكتاب أرسطو في المنطق، وما وراء الطبيعة، هو الأساس الذي قامت عليه الأفكار الفلسفية الأوروبية في عصر النهضة(2)، وألف ابن رشد ما يقرب من سبعة وثمانين كتاباً في الفقه والفلسفة والطب ومن أهمها: شروح مؤلفات أرسطو، وقد ترجمت إلى اللاتينية، وكتاب تهافت التهافت، وكتاب المقدمات في الفلسفة، وهو محفوظ في مكتبة الأسكوريال، وكتاب اتصال العقل الفعال بالإنسان، ونشره الأدباء مرات مع ترجمة له بالأسبانية سنة(1923م=1341هـ)(3)، ولكن أراء ابن رشد اصطدمت بمعارضة شديدة من رجال الأكليروس، وكان من أشد خصومها القديس توما الأكويني(4)، وريمون مرتيني(5)، ودانتي(6).

ويتضح لنا أن المسلمين في الأندلس أبدعوا في مختلف مجالات العلم، وطرقوا حتى بعض العلوم التي كانت لا تستهوي عامة الناس مثل الفلسفة، واستطاعوا أن يقدموا للعالم تراثا رائعا ومبدعا في علم الفلك والرياضيات والتاريخ، وكذلك في الأدب، الذي سوف نتحدث عنه بشيء من التفصيل ليظهر الإبداع الأندلسي في هذا الجانب.

---

(1) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 314 .

(2) الركابي، جودت: في الأدب الأندلسي، مصر، دار المعارف،ط2 ،1966م، ص 72.

(3) جنثالث بالنيثا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 356،357.

(4) أرنو ست رينان: ابن رشد والرشيدية، تر: عادل زعيتر، القاهرة ،1957م ، ص248-257.

(5) المصدر نفسه: 258.

(6) المصدر نفسه: ص 260.

المبحث الثاني

الإبداع الفقهي والأدبي لمسلمي الأندلس

أولاً: الإبداع الفقهي:

من المؤكد أن المسلمين في الأندلس أبدعوا في مجال الفقه، وذلك لأنهم اهتموا بشكل كبير في العلوم الدينية كمدخل للتطور في مختلف المجالات الأخرى.

فكان مذهب الإمام الأوزاعي إمام الشام(157هـ=744م)، هو المذهب المعمول به في الأندلس، ثم دخل مذهب الإمام مالك منذ عصر الأمير هشام بن عبد الرحمن، الملقب بالرضي (172هـ=788م)[1]، والذي كان له الفضل في نشر مذهب الإمام الأوزاعي هو الفقيه صعصعة بن سلام الشامي قاضي قرطبة، وصاحب الصلاة فيها(ت192هـ=808م)[2].

وذهب البعض إلى أن شبطون[3] هو أول من أدخل المذهب المالكي في الأندلس[4]، و سبب اعتناق الناس لهذا المذهب هو فضائل الإمام مالك، وحسن سيرته، وعدله في حكمه[5]، بالإضافة إلى أن مذهب مالك يتسم بالموضوعية والعلمية والواقعية، وهو مذهب أهل المدينة ويراعي مصالح المسلمين[6]، وأرجع البعض اتباع هذا المذهب إلى أسباب سياسية، أي إلى النفور والخصومة الشديدة بين العباسيين والأمويين، حيث كان العباسيون على المذهب الحنفي، لأن الإمام لم يكن يستريح لسياسة العباسيين[7]، و كان لقدوم الفاتحين البربر لبلاد المغرب الذي ينتشر فيها هذا المذهب، سبب في انتشاره، فبدا هذا المذهب بمثابة الهوية بالنسبة للسكان في المغرب والأندلس[8].وقد أبدع الإمام مالك كتابه الموطأ، و يعد أول من أدخله إلى الأندلس هو الفقيه شبطون[9]، و تعصب أهل الأندلس لهذا المذهب، فبعضهم ألف كتبا دفاعا عنه[10].

---

(1) حسن: تاريخ الإسلام،ج2،ص333.

(2) ليفي بروفنسال: الحضارة العربية ، ص 59-158؛المقري : نفح الطيب، ج1،ص103.

(3) وهو زياد بن عبد الرحمن اللخمي الملقب بشبطون (ت193هـ=809م)، هو أول من أدخل المذهب المالكي في الأندلس، وكان معاصرا للأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل(ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص34).

(4) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص34.

(5) المقري: نفح الطيب، ج1،ص328.

(6) المصدر نفسه،ج2،ص218.

(7) المصدر نفسه: ص232.

(8) حسن علي حسن: الحياة الدينية في المغرب ، القاهرة، مكتبة الخانجي،1980م، ص108،107.

(9) شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي ،القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،1970م، ج4،ص44.

(10)الشكعة: الأدب الأندلسي، ص74.

وبالرغم من تعصب الأندلسيين لهذا المذهب، إلا أن هناك أناساً اعتنقوا مذاهب أخرى، وكان هؤلاء أمراء تحرروا من نفوذ الفقهاء المالكية، مثل الأمير الحكم الربضي، وشجعوا دخول تيارات مذهبية أخرى، لكي يتنوع الفكر، وتتعدد الثقافة بما لا يمس الدين والحكم[1]، وكان لسيادة المذهب المالكي، وتعصب الناس له، أن قلل من وجود المذاهب الأخرى المخالفة لأهل السنة عموماً، ووحد الأندلسيين سواء أكانوا علماء أو عامة الناس على رأي وعاطفة واحدة[2].

وكان أهل الأندلس يقولون: إننا لا نعرف سوى كتاب الله عز وجل وموطأ مالك، فإن ظهر شافعي أو حنفي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي وغيرهما ربما قتلوه[3]، وقصر الأندلسيون التعليم في الأندلس على المذهب المالكي، أما المذاهب الأخرى، فقد فشلوا أن يجدوا لهم أنصارا كثيرين مثل المذهب المالكي[4]، وكان للفقهاء دورٌ مهمٌ في التربية والتعليم، حيث حملوا العقيدة الدينية، والأخلاق والمبادئ القرآنية، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك كان الناس يجلون الفقهاء[5]، وكان لاتباع المذهب المالكي موقف معادٍ حتى من المستقلين؛ أي غير التابعين للمذاهب الفقهية، مثل بقي بن مخلد الذي كان له رأيه الخاص بالفتوى، حيث اعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية مباشرة[6]، ولكن ظل المذهب المالكي وحده الذي يُدرس، وإن كان هناك من يقرأ أو يدرس كتبا في مذاهب أخرى فهذا لا يتجاوز حد الدرس، ومن ثم فشلت كل المحاولات لإدخال أية مذاهب أخرى في المجال العلمي[7].

واتسمت تلك الحقبة بطغيان المذهب والعسكر، وكان يحاكم ويلاحق كل من يخرج عن ذلك[8].

---

(1) ليفني بروفنسال: الحضارة العربية في أسبانيا ، ص154.

(2) ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر: نثير فرائد الجمان، تح: رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، 1967م، ص45.

(3) المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تح: يغويه، ليدن، 1906م، ص236.

(4) ريبرا: التربية الإسلامية في الأندلس، تر: الطاهر المكي، دار المعارف،1981، ص25.

(5) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص19.

(6) المقري: نفح الطيب، ج1، ص812؛ ابن الفرضي: الترجمة، ص281.

(7) جذوة المقتبس، ص122.

(8) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري: سراج الملوك، تح: شوقي ضيف، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط11414هـ=1994م، ص 167.

ونجد أنه في عصر الخلافة قد قل التعصب الشعبي، وأصبح الملوك أكثر تحرراً في آرائهم[1]، و الذي عزز المذهب المالكي أكثر هو أن المرابطين وجدوا في المالكية أداة صالحة لهم ولخدمة أغراضهم، فأحاطوا أنفسهم بكبار فقهاء المذهب دون بقية المذاهب الأخرى، وكان حكمهم طبقاً للفقه المالكي، واعتمدوا على دراسته، واقتصروا عليها، ووقفوا عندها وأهملوا دراسة القرآن والسنة تماماً[2].

ولكن بمجيء الموحدين إلى أسبانيا، وفي صحبتهم مذهبهم الجديد الذي اعتمدوا فيه على الرجال الأتقياء الصالحين، وبعد أن أدركوا أن الفتوى التي تصدر عن فقهاء شبه الجزيرة الأيبيرية لا تعتمد على القرآن والسنة مباشرة، وإنما فقط على مذهب الإمام مالك أدى ذلك إلى منع دراسة كتب الفقه المالكي، وفيما بعد أمروا بإحراق كل ما وجد منها[3].

والملاحظ أنه كان للفقهاء دور مهم وبارز في المجتمع الأندلسي، حيث ساهموا في صياغة فكره وثقافته بتعزيز العقيدة في النفوس، وبالرغم من الاختلاف بين المذاهب وتعصب الأندلسيين للمذهب المالكي فقد أدى ذلك إلى توحيد الآراء داخل المجتمع الأندلسي، وبالتالي ساهم في وحدة المجتمع حول منظومة فكرية واحدة، استخدمت في إدارة الدولة وأبدعت في التعليم وفي الأحكام الفقهية، مما جعل الفقهاء هم المعلمين والمؤدبين، فسما هذا بمكانتهم وأكسبهم احترام مجتمعهم، وهذا بدوره الذي ساهم في الإنتاج الحضاري والتطور المجتمعي، حيث تحقق الاستقرار والوحدة بفضل جهود الفقهاء.

---

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، ص121.

(2) المراكشي: المعجب، ص123.

(3) ابن الآبار: تكملة الصلة، ص2.

ثانياً:الإبداع الأدبي:

خلف المسلمون في الأندلس تراثاً عريقاً في الأدب، حيث أبدعوا في هذا المجال، فكان هناك عدداً كبيراً من الشعراء والأدباء الذين طوروا هذا العلم.

كان المسلمون في الأندلس منشغلين بالفتح في بداية خلافتهم، وهذا يفسر لنا عدم الاهتمام بالأدب والشعر بشكل كبير[1]، ولكن بدأت الأندلس تشهد في عصر الإمارة(138-300هـ=755-912م)، أولى الخطوات نحو أدب الأندلس الذي أصبح له سماته الخاصة، ومنها التجديد والموضوعية، ووضوح العاطفة وصدقها[2]، وكان من أهم الشعراء في هذه الفترة أبو المخشى عاصم بن زيد العبادي، وهو صاحب المعاني الحسنة، والنوادر الكثيرة، والعقول الغزيرة، ولم يصلنا من شعره إلا القليل[3]، وأيضا عباس بن ناصح الثقفي الذي نال حظاً من علم الفقه والحديث والأدب[4]، ويتسم شعره بنزعة بدوية واضحة، فيه الكثير من الخشونة وقلة الصقل، والسذاجة في الأفكار، والصور والقلق في الألفاظ[5].

ولكن سرعان ما تطور الشعر عندما تأثر الشعراء بجمال الطبيعة الساحرة بالأندلس وهي التي رققت من مشاعر أهل الأندلس، وارتبط الشعر بالمغنيين والمغنيات، والجواري المشرقية من أمثال قمر والجعفاء وزرياب[6]، ولقد تعلق الشعراء بهذه البلاد الجميلة طوال تاريخها الإسلامي، واحتفوا بجمالها[7]، و أبدع الأندلسيون نوعاً جديداً من الشعر الشعبي يسهل التغني به، وهو الموشحات والأزجال، ثم ظهر شعر الزهد ومن الشعراء الذين اهتموا به: أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين، وابن الفرضي[8].

وأقدم من اشتهر بالشعر في قرطبة هو أحمد بن محمد بن عبد ربه، صاحب العقد الفريد، الذي يعد ركناً من أركان الأدب الأندلسي[9].

---

(1) أمين: ظهر الإسلام ، ج3، ص99.

(2) هيكل: الأدب الأندلسي، ص 78.

(3) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 35؛ إبن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص 124.

(4) ابن الآبار: الصلة السيراء، ج1،ص37.

(5) هيكل: الأدب الأندلسي، ص 105.

(6) غرسيا غومس: الشعر الأندلسي، تر: حسين مؤنس ، القاهرة ، 1956م، ص 20 .

(7) المقري: نفح الطيب، ص 148.

(8) جنثالث بالنيثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 71.

(9) ابن الآبار: الصلة، ج1، ص124.

أصبحت قرطبة في عصر الدولة الأموية مركز الحركة الأدبية والعلمية في الأندلس[1] وفي عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط برز عدد من كبار الشعراء منهم: عبد الله بن قرلمان، وعبد الله بن الشمر[2]، وغيرهم من الشعراء من أمثال حسانة التميمية[3]، ، ولكن الملاحظ أن هذه النهضة الأدبية استقت أصولها من المشرق، ثم تطورت تدريجيا بحكم البيئة الأندلسية[4].

وتجلى اختلاط الأجناس بعضها ببعض، وأصبح هناك جوٌ جميل إنساني شفاف، هو ذاك الجو الحضاري الذي نعرفه في بغداد أيام ألف ليلة[5]، وكان الشعراء في عصر أبو عمر بن عبد ربه القرطبي(246-328هـ)=(860-940م) قد برعوا في شعر الغزل، والزهديات، وحفل عهد المنصور بن أبي عامر بكبار الشعراء، ونهض الشعر الأندلسي نهضة كبيرة، وذلك لميل المنصور إلى الأدب والشعر بوجه خاص[6]، وأقبل الشعراء على وصف قصوره بالزاهيه، ومنية العامرية، وعلى بساتينه ومنيانه[7]، وكان من أعظم شعراء المنصور أحمد بن دراج القسطلي الذي يشبه غرسية غومس بحنجرة الشاعر الأسباني[8]، وواصل ابن دراج البربري، ولكنه يعد أندلسياً خالصاً[9]، وكان الشعر ينشد في الحروب، حيث كان الشاعر يتقدم الصفوف، ويتغني بالشعر، فيبعث على الاستماتة في صفوف الجيش، وكان يسمى بغناء " طاسوكايت"[10].

كذلك وُجِدَ في الأندلس الشعر والنثر القصصيان منذ وقت مبكر[11]، ومن فحول الشعراء في قرطبة في عصر الخلافة الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون القرطبي المعروف بالرمادي (ت403هـ=1012م)[12]، وهو الذي قال عنه الشعراء ومؤرخو الأدب أنه فتح الشعر لكبده،

---

(1) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس،ص35.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس،ج2،ص121-128؛ ابن سعيد: اختصار، ج1،ص124.

(3) غرسيه غومس: الشعر الأندلسي، ص31.

(4) المقري: نفح الطيب، ج2،ص66.

(5) غرسية غومس: الشعر الأندلسي،ص35.

(6) جنثالث بالنيثا :تاريخ الفكر الأندلسي ،ص35.

(7) الشكعة: الأدب الأندلسي، ص38.

(8) غرسيه غومس: الشعر الأندلسي، ص38.

(9) مكي، محمود علي: ديوان ابن دراج القسطلي، دمشق، 1961م، ص22.

(10) خوان فيرنيث: فضل الأندلس على ثقافة الغرب، تر: نهاد رضا، فاضل السباعي، دمشق، دار إشبيلية للدراسات والنشر،1997م، ص394.

(11) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، تح: درويش الجديدي، بيروت، المكتبة العصرية ،1995م، ص 237،

(12) ابن بشكوال، القاضي أبي عبد الله الصوفي: الصلة ، القاهرة ،1966م، ج2 ، ص 674.

وكان الرمادي شاعرا كثير الشعر سريع القول[1]، و هناك شعر الغزل، حيث روي أن ابن حزم في طوق الحمامة أحب جارية اسمها خلوة فتغزل بها بأشعاره[2].

وبرغم العواصف والكوارث السياسية، إلا أنه بقي في الأندلس شعراؤها المجيدون الذين آثروا البقاء فيها، منهم الشاعر القرطبي وأبو عامر أحمد بن أبي مروان بن شهيد (427هـ=1036م) صاحب رسالة التوابع والزوابع، التي صور فيها رحلة شاعر الراكبة، و سبق في ذلك أبا العلاء المعري في رسالة الغفران، ودانتي في جحيمه[3].

كان ابن شهيد يمثل الرقة الحضارية والترف الذهني الذي بلغته الأندلس في عهده[4]، وقد مدحه ابن حيان، وابن بسام وأشادوا ببلاغته[5]، ومن أعظم شعراء الأندلس الذين عاصروا فترة سقوط الخلافة، الفيلسوف الأديب أبو محمد علي بن حزم القرطبي وله كتاب طوق الحمامة، ويعد هذا الكتاب من أعظم الكتب الأدبية[6]، وكان يحلق في شعره عند قمم الخيال، وهو أمر غير مألوف في الشعر الأندلسي[7]، وساعد على نهضة الأدب الأندلسي نهضة عظيمة توحيد الأندلس سياسيا بالقضاء على الفتن والثورات، ورقي الأندلس اجتماعياً وثقافياً، وتم في تلك الفترة وفرة في الإنتاج الأدبي، حيث شاع الأدب بين العامة وكان أحيانا يحل محل الجدل والمناظرات[8].

ووصل الأمر أن جعله بعضهم على ألسنة الطيور، مثلما روي عن زوجة الخليفة الناصر، حيث أحضرت زرزوراً وعلمته أبياتاً من الشعر، وعندما قعد الناصر في بهو قصره بمدينة الزهراء، وقف الزرزور على إناء من ذهب، وأخذ يردد أبياتاً من الشعر[9]، وهذا يدل على إبداع الأندلسيين في هذا الجانب، حيث أصبح الشعر أساسياً، وظاهرة من ظواهر البيئة في الأندلس[10]، و كثر الشعراء في الأندلس، فكان منهم الخلفاء كالخليفة الناصر والمستنصر،

---

(1) ابن حزم: طوق الحمامة، ص 36، 37.
(2) الحميدي: جذوة المقتبس، ص 371.
(3) جنثالث بالنيثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 23.
(4)عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص 82.
(5) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،مج1،ج1،ص161، 162.
(6) ابن حزم: طوق الحمامة، ص 92.
(7) غرسية غومس: الشعر الأندلسي، ص42،41.
(8) هيكل: الأدب الأندلسي، ص 230.
(9) المقري: نفح الطيب، ج1، ص 168.
(10) هيكل: الأدب الأندلسي ،ص230؛ مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي، ص 23.

ومنهم الوزراء كابن جهبور وابن شهيد، ومنهم العلماء كالزبيدي، ومنهم القضاة كمنذر بن سعيد البلوطي، ومنهم الأدباء كابن عبد ربه، وابن هانئ الأندلسي، وابن دراج القسطلي[1].

ولم يكن النثر بمنأى عن التطور الذي شهده الشعر فقد لقيت الكتابة الرسمية عناية كبيرة، حيث وصل بعض الكتاب إلى درجة كبيرة في الدولة، فوصلوا إلى مرتبة الوزراء والحجابة[2]، وكذلك شاركت النساء في هذا التطور من أمثال مزينة فقد كانت كاتبة الخليفة الناصر، وذلك (ت: 358هـ=969م)، ولبنى كاتبة الخليفة المستنصر (ت 374هـ=984م)[3].

وهكذا نرى التنوع في أبواب الشعر، وإبداع أساليب جديدة لتطوير لغة النثر والخطابة، وكما نلاحظ مشاركة النساء في هذا الإبداع الأدبي الرائع وهو يؤشر إلى مدى التحضر والتقدم والإبداع الذي وصل إليه الأندلسيون في تلك المرحلة.

---

(1) المقري: نفح الطيب،ج2، ص189.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2،ص 234.

(3) الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، القاهرة، سلسلة تراثنا المكتبية الأندلسية، دار الكاتب العربي، 1967م، ص546.

المبحث الثالث

الإبداع الطبي والتعليمي لمسلمي الأندلس

أولاً: الإبداع الطبي:

لقد أبدع الأندلسيون في مجال الطب، وترك أطبائهم بصماتهم الواضحة في هذا المجال، ومن أهم الأطباء الذين برزوا وعرفوا بإبداعهم:

كان الطبيب الوليد المذحجي برفقة عبد الرحمن الداخل عندما عبر إلى الأندلس ، حيث كان الطبيب الخاص للأمير يقوم على علاجه وحفظ صحته[1]، وكانت الأندلس في البداية تعتمد على كتاب مترجم من كتب النصارى يقال له (الأبريشم)؛ لأنه لم يكن لهم دراية بصناعة الطب[2]، ولكن سرعان ما تطور الطب منذ عهد الخلافة في الأندلس، فكان أطباء الأندلس يجمعون شتى العلوم، وساعدهم على ذلك إلمامهم باللغة العربية، وظهرت النهضة العلمية في الطب في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر(300-350هـ= 912-961م)[3]، الذي استقرت الأوضاع في عهده فانعكس ذلك على مختلف العلوم، وكذلك نشطت الرحلات الفكرية والعلمية بين المشرق والأندلس في عهده[4]، وكان من الوافدين من المشرق إلى الأندلس أبو بكر سليمان بن باج الذي كان عارفاً بالأمراض وصناعة الأدوية، وقد عالج الخليفة من رمد أصيب به[5].و أحدث الأندلسيون منصب رئيس الصناعة الطبية لمراقبة أعمال الأطباء الصيادلة[6]، ووضعوا شروطاً على كل من يمارس مهنة الطب من بينها: منع ممارسة الطب أو الجراحة للذين ليس لديهم خبرة أو كفاءة فيه، ومنع تدريس الطب بغير علم أو تجربة في الاختصاص، اقتصار

---

(1) ابن الآبار: أبو عبد الله محمد بن أبي القضاعي، التكملة لكتاب الصلة ، تح: عبد السلام الهراس، بيروت ،دار الفكر 1995م، ج4،ص151.

(2) ابن جلجل، أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي: طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد سيد، القاهرة ، دار الكتب والوثائق القومية، 2005م، ص 92.

(3) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ص 493، 494.

(4) المصدر نفسه: ص 490.

(5) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص 102،103.

(6) ابن الآبار: التكملة، ج1،ص268.

عملية تحضير الأدوية على الأطباء الصيادلة الخبراء فقط[1]. وهكذا نجد أن علم الطب حظي باهتمام الحكام، لهذا هيأ الحكام المناخ المناسب للإبداع فيه، وتطويره علميا ومهنيا[2]

ومن أهم من برزوا في هذا العلم هو أبو بكر بن طفيل، وعبد الملك بن زهر (ت596هـ=1199م)[3]، كما اهتم الأندلسيون بعلاج المرضى[4] حيث اهتم بني أمية في الأندلس بتأسيس البيمارستنات[5]، والدليل على وجود البيمارستنات في الأندلس بروز أطباء نالوا شهرة فائقة في علم الطب، كالطبيب الجراح أبي القاسم خلف الزهراوي، والذي أبدع في الجراحة[6].

و أبدع الأندلسيون العيادات، فكان للأطباء الأندلسيين عيادات خاصة لاستقبال المرضى، ويذكر أن الطبيب أبا جعفر أحمد بن إبراهيم القيرواني(285-369هـ=898-980م) كان يستقبل المرضى في عيادته[7]، واستخدمت مصطلحات أخرى تعبر عن معنى العيادات منها: الدكان أو الحانوت أو بيت الطبيب[8].

ومن أهم الإبداع في هذا المجال، هو تطور تعلم الطب وتطور مؤسساته، فكان المسجد ليس للعبادة فقط، ولكن أيضاً يقصده الطلبة للعلوم الأخرى مثل الطب[9]، وكذلك المدارس لعبت دوراً مهماً في تلقي الطلبة للعلم، و لعبت المجالس الخاصة هي الأخرى دورا كبيرا في تدريس الطب وتطوره إلى جانب المساجد والمدارس، والتي كانت تنظم في قصور الأمراء، وبيوت الأطباء، وهذه اللقاءات عبارة عن مناظرات يعرض الأطباء فيها قدراتهم العلمية[10].

---

(1) نور الدين: الطب والخدمات الطبية في الأندلس، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ص 47.

(2) المرجع نفسه: ص 49.

(3) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 531.

(4) أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة ،دار الفكر العربي، 1991م،ط1، ص169.

(5) نور الدين: الطب والخدمات الطبية في الأندلس ، ص 92.

(6) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص 501.

(7) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء ، ص 89.

(8) نور الدين: الطب والخدمات الطبية في الأندلس ، ص 97.

(9) المنوني، محمد: التاريخ الأندلسي من خلال النصوص ، الدار البيضاء ، المغرب،ط1، 1991م، ص33.

(10) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس، ج4،ص45.

و ساهمت حركة الترجمة بقسط كبير في تطور هذا العلم بعدما كان الأندلسيون يعتمدون على أهل الشرق في الطب[1].

وبدأ الأطباء الأندلسيون خلال القرن الرابع الهجري يساهمون في ترجمة أمهات الكتب الطبية الشهيرة، ويرجع الفضل في ذلك إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، الذي كون هيئة علمية من الأطباء والصيادلة العارفين بالأعشاب، والتي تعلموها من خلال ترجمة كتاب الحشائش للعالم ديسقوريدس، وكانت الهيئة تتألف من الراهب نيقولا العارف باللغة الإغريقية واللاتينية، والطبيب حسداي بن إسحاق بن شبروط، ومحمد الشجار، ومحمد سعيد الطبيب وغيرهم[2]، الذين عملوا على ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية[3]، و استفاد الطبيب ابن جلجل(ت384هـ= 994م)، من علم الترجمة فألف مقالة في الأدوية لم يسبق لديسقوريدس ذكرها في صناعة الطب[4]، و قام الوليد بن رشد الحفيد (ت595هـ=1198م) أيضاً بتوجيه نقد لمؤلفات جالينوس الطبية في التشريح، و صحح ما جاء به الطبيب الإغريقي[5]، و برع أطباء الأندلس في علم النباتات منهم أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكر (405-487هـ)= (1014-1094م)[6]، فبحث في النباتات ومنافعها وأسمائها، وألف فيها كتاباً حول أعشاب الأندلس، باسم النباتات والشجيرات الأندلسية[7]، وبرع النباتي الجغرافي محمد بن محمد بن الشريف الإدريسي (ت560هـ=1164م)، وألف كتاباً في الأعشاب سماه الجامع لصفات أشتات النباتات[8]، والطبيب أبو العباس أحمد بن محمد ابن الرومية (ت637هـ=1239م)، حيث شرح أدوية ديسقوريدس وجالينوس[9].

---

(1) نور الدين: الطب والخدمات الطبية في الأندلس، ص 39.

(2) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص 21، 22.

(3) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 494.

(4) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص 22،23 ؛ نور الدين: الطب والخدمات الطبية في الأندلس ، ص 35.

(5) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 495؛ حمزة ،آمنة عودة : الصيادلة والعشابون في الأندلس ، ص 110، رسالة ماجستير، بغداد، 2007م.

(6) البكري، ابو عبد الله بن عزيز: المسالك والممالك، تح: عبد الرحمن علي الحجي، لبنان، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط1، 1968م، ص26.

(7) ابن بشكوال: ابو القاسم خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة ،الدار المصرية ، القاهرة، 1966م،ج1 ،ص 287، 288.

(8) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص 496؛ حمزة: الصيادلة والعشامون في الأندلس ،ص 236.

(9) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السليماني: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله، القاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مج1،ط2 ، 1974م، ص212

ويرجع الفضل للأندلسيين في تطور علم الصيدلة، فكانوا لا يزاولون هذه المهنة إلا بعد الترخيص لهم، فافتتحوا الصيدليات العامة في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، كما ألحقوا بكل بيمارستان صيدلية خاصة بها، وكانت الصيدليات منذ عهد المأمون تحت إشراف الدولة[1].

ويعود السبب في تطور هذا العلم إلى أنه كان تابعاً لعلم الكيمياء، الذي نضج كثيراً على أيدي العرب الذين اخترعوا الأشربة، والكحول، والمستحلبات، والخلاصات الطبية المختلفة[2]، وبعض العقاقير ظلت على أسمائها العربية مثل الحبوب، والأقراص، والسعوف، والمعاجين والدهون، والكحول، والأفيون، والترياق، والحقنة، والضماد وغيرها[3].

وأبدع العرب في معرفة خواص العقاقير سواء أكانت من أصل نباتي أم معدني أم حيواني وكانوا لا يرون التداوي بالأدوية ما أمكن التداوي بالأغذية[4]، وكان العرب يعرفون جيداً أن علم الصحة يعلمنا الوقاية من الأمراض، لذلك اهتموا بالتغذية الجيدة، ويدل على ذلك ما قاله طبيب عربي في القرن الثالث الهجري: "ليس شيء أضر بالشيخ من أن تكون له جارية حسناء، وطباخ ماهر"[5].وقد صدر من بلاد الأندلس إلى أوروبا سيل من العقاقير العربية عن طريق البندقية وصقلية والأندلس، وتدفقت معها كتب كثيرة في الأدوية، كما انتقلت إلى أروبا من المشرق أعشاب ونباتات لا حصر لها[6]، وكان الطبيب الصيدلي هو الذي يجمع الأدوية، ويختار أنواعها التي وضع أسسها أفضل الأطباء والعشابين[7].

ويبدو أن الأندلسيين عرفوا مهنة الطب، بل وتركوا لهم أثراً تاريخياً يتحدث عن إبداعهم، وقدرتهم على تطوير تلك المهنة، بحيث أصبحوا يصدرون لأوروبا العقاقير الطبية، وأصبحت كثيراً من الأدوية تحتفظ بأسمائها العربية، وهذا دليل على مدى الاهتمام بتلك المهنة الهامة.

وكان لا يعرف بهذه الصنعة إلا المتخصص بها، فلقد حاول بعض أصدقاء الصيدلي أحمد بن يونس الحوراني الذي وفد من المشرق إلى الأندلس أن يقلدوه في تركيب الأدوية ففشلوا لأن الحوراني اكتسب شهرة واسعة[8] وفي عصر الإمارة كانت قرطبة مركز الدراسة الصيدلانية، ففيها

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج1،ص156.

(2) المصدر نفسه: ص 100.

(3) ماجد، عبد المنعم: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ط3، 1973م، ص49،50.

(4) بالنيثيا،: تاريخ الفكر الأندلسي ، تر: حسين مؤنس، القاهرة ، 1955م، ص 468.

(5) لبون، غوستاف: حضارة العرب، القاهرة، 1956م، ص492.

(6) ابن جلجل، طبقات الاطباء والحكماء ، ص100.

(7) السامرائي: دراسات في تاريخ المغرب العربي، ص 325.

(8) ابن جلجل: طبقات الاطباء، ص46.

اشتهر أبرع الصيادلة المشاهير[1]، والطب مدين للعرب بعقاقير كثيرة كالسليخة والسنة المكي، والراوند والتمر الهندي وجوز القيء وغيرها، ومدين لهم أيضا بفن الصيدلية، وبكثير من المستحضرات التي لا تزال تستعمل إلى الآن[2].

وأبدع الأندلسيون نظام مراقبة الأدوية عن طريق الحسبة، وفرض على الأطباء أن يكتبوا ما يصفون للمريض من دواء على ورقة كانت تسمى (الدستور) في بلاد الشام، والنسخة في بلاد المغرب والأندلس، ويكتبون على الأدوية طريقة الاستعمال[3]، وكان أول من اشتغل في الطب جماعة كان أكثرهم من المعاهدين الذين احترفوا تلك المهنة، منهم: خالد بن يزيد النصراني، زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن(238-273هـ)=(852-886م)، وكان يصنع بيده الأدوية الشجارية[4]، وجواد النصراني وينسب إليه اللعوق ودواء الراهب والبونات[5].

وكان من أوائل النباتيين أحمد بن إياس رائد الحركة الطبية والصيدلانية في الأندلس[6]، ومنهم محمد بن فتح الذي برز في عمل المراهم لعلاج الحروق[7]، وقد وصل علم النبات قمته في بلاد الأندلس، في كتاب (عمدة الطبيب في معرفة النباتات لكل لبيب) الذي دونه كاتب مجهول هويته في أواخر القرن الخامس الهجري، ويتضمن نظام تصنيف النباتات حسب الجنس والنوع[8].

وفي أواخر عصر الخلافة برز ابن الجزار أحمد بن إبراهيم القيرواني (ت400هـ=1009م)، وكان طبيباً وصيدلياً[9]، و فرق ابن الجزار بين مكان صنع الأدوية (بيت العبادة) وهو بيت الوصفات الطبية وبين بيت صرف الدواء، وبذلك بدا تاريخ الصيدلة، وألف ابن الجزار عدداً من الكتب منها: كتاب في علاج الأمراض، ويعرف زاد السفر وهو في مجلدين، ورسالة في إبدال

---

(1)أمين: ظهر الإسلام، القاهرة، 1962م، ص 233.

(2) لوبون: حضارة العرب، ص 487.

(3) المصدر نفسه، ص328.

(4) بالنيثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص462.

(5) ابن بشكوال: ابو القاسم خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة ،الدار المصرية ، القاهرة، 1966م،ج1 ،ص 287، 288.

(6) السامرائي: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 321.

(7) المصدر نفسه: ص 485.

(8) فيرنيه، خوان: العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ،بيروت، ط2،1999م، ص1304.

(9) فروخ، عمر: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون ،بيروت ،ط2، 1979م، ص588.

الأدويـة[1]، وكتـاب الاعتمـاد فـي الأدويـة المنفـردة، وكتـاب العطـور، وكتـاب البغيـة فـي الأدويـة المركبة[2].

كذلك بـرز ابـن وافـد الـوزير أبـو المطـرف بـن عبـد الكبيـر (387هـ-466هـ=997-1074م)، واشتهر بعلم الأدوية، وترجم كتابه إلى لغات النصرانية الاتينية، والقطلونية بعنوان كتاب العقاقير المفردة، وهو من السلف الصالح[3]، وكذلك عُرف أبو جعفر أحمد بن محمد الغافقي وهو أعظم صيادلة الأنـدلس، وعكف علـى دراسـة النباتـات[4]، ثم قام بتصنيفها وسجلها بأسمائها العربيـة، والبربريـة، واللاتينيـة[5]، ولـه كتـاب الأدويـة المفردة[6]، وعُرف أيضـاً الإدريسـي أبـو عبد الله محمد القرطبي المعروف بالشريف الإدريسي (ت560هـ=1182م)، وهذا أعظم جغرافي فـي الإسـلام، وكـان عالمـاً بقوى الأدويـة المفردة ومنافعها ومنايتها ولـه كتـاب الأدويـة المفـردة[7]، ويشـير ابـن البيطـار كثيراً فـي الأدويـة المفردة للإدريسي[8]، وللإدريسـي كتـاب آخـر أسـماه (الصـيدلة)، يميز فيه بين الاصطلاحات الطبيـة البيزنطيـة والإغريقيـة القديمـة[9]، ونبـغ فـي هـذا العلـم ابـن الروميـة، وكان يلقب بالنباتي، ويعرف بالعشاب[10]، وتفقه بالمذهب المالكي[11].

ومما أبدعـه ابن الروميـة أنـه عمل الترياق الكبير وركبـه، وسافر إلـى الحجاز، ثم إلـى المغرب، وأقام في اشبيلية[12]، وكان ابن الرومية عارفا بالأعشاب والنباتات، ويجلس في دكانه في إشبيلية ليبيع الحشائش والنباتات[13]، و تصانيفه في النبات كثيرة منها شرح حشائش ديسقوريدس وأدويـة جالينوس، ونبه إلى أغلاط الغافقي، وكان معجزة في فنه[14]، كما عُرِفَ أبو محمد عبد الله بن

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ج3 ، ص61.

(2) المصدر نفسه: ج3،ص61.

(3) المصدر نفسه: ج3، ص79.

(4) فيرنيه: العلوم الفيزيائية ، ص 1306.

(5) علام، عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، القاهرة ، 1971م، ص363.

(6) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج3، ص85.

(7) المصدر نفسه: ج3،ص85.

(8) بالنيثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص 474.

(9) مرحبا: الموجز ،ص102.

(10) ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السليماني: الإحاطة في أخبار غرناطة ،تح: .يوسف علي الطويل، بيروت ، 2003م، ج1 ، ص8.

(11) المقري: نفح الطيب، ج3، ص198.

(12) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء،ج3،ص133.

(13) المصدر نفسه:ج3، ص133.

(14) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص87.

البيطار، وكان أوحد زمانه في معرفة النبات[1]، و استخلص ابن البيطار الأدوية والعقاقير المتنوعة، بعد قراءته لكتب ديسقوريدس وجالينوس[2]، وألف ابن البيطار كثيراً من الكتب وأشهرها الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، وهو معجم طبي علاجي، واعتمد في تأليفه على كتب عديدة أكثر من مائة وخمسين مؤلفاً لمؤلفين سابقين، ومنهم ابن جلجل والغافقي وغيرهما، وصف في كتابه أكثر من ألف وأربعمائة عقار بين معدني ونباتي وحيواني[3]، وبين في هذا الكتاب الفوائد الطبية لجميع النباتات التي ذكرها، وكيفية استعمالها، و تُرجم الكتاب إلى اللاتينية والفرنسية والألمانية[4]، وذكر ابن البيطار في كتابه هذا ما يربو على ثلاثة آلاف عقار مفرد، والتي أغناها في ملاحظاته الخاصة[5].

يتضح مما تقدم أن الأندلسيين أبدعوا في علم الطب، بل وطوروا هذا العلم حتى بلغ قمته في تلك الحقبة التاريخية بعدما كانوا يعتمدون على غيرهم في هذا العلم، وأصبحوا بفضل جهدهم واجتهادهم يتقدمون على غيرهم في هذا المجال، والدليل على ذلك أن الغرب قاموا بترجمة كتبهم للاستفادة منها لما راو أن تلك الكتب زاخرة بالعلم الجديد، الذي استحدثه علماء الأندلس، سواء في الطب أو صناعة الأدوية، وكذلك نلاحظ أن الأندلسيين هم من وضعوا أسس علم الصيدلة لمعرفتهم الكبيرة بعلم النبات، واهتماماتهم بذلك لصنع الأدوية، ويعد هذا إبداع وإضافة نوعية، أضيفت لهذا العلم في تلك العصور.

---

(1) المقري: نفح الطيب ،ج3،ص277،276.

(2) الصوفي خالد: تاريخ العرب في أسبانيا –عصر المنصور الأندلسي، منشورات: الجامعة الليبية ،كلية الآداب، ص205.

(3) ابن ابي أصيبعة: عيون الأنباء،ج2،ص133.

(4) بالنيثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص179.

(5) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج2،ص133.

ثانياً: الإبداع التعليمي:

كان للتعليم دوراَ مهماَ في الإبداع الحضاري لدى مسلمي الأندلس، حيث أننا لا يمكن أن نتصور حضارة دون التقدم في مجال التعليم، ومن هنا اهتم المسلمون بالتعليم.

تقدم الأندلسيون حضارياً، وذلك لشيوع التعليم في الأندلس في ذلك العصر، وأصبح التعليم يشمل الجنسين الذكر والأنثى، وجعل هشام بن عبد الرحمن الداخل اللغة العربية، هي لغة التدريس في معاهد أهل الذمة ومؤسساتهم، وكان لهذا دوره الكبير في انتشارها، وفي اعتناق الكثيرين للإسلام[1]، وكان للمساجد والمكتبات في عهد الخليفة المستنصر دور كبير، حيث تحولت إلى مكاتب رسمية تابعة للدولة، بعد أن كان المؤدبون يتخذونها في بيوتهم[2]، فكان محمد بن حزم يساعده ابنه وابنته في تعليم الصبيان والبنات في مكتبه بقرطبة، وكذلك سعيد بن سلمون بن سيد أبيه كان له كتاب يؤدب فيه[3]، و من مؤدبي أبناء الأمراء والخاصة هشام بن الوليد الغافقي كان مؤدب الأمير عبد الرحمن الأوسط، وأبو محمد بن سابق الكلاعي كان عالماً بالنحو واللغة مبرزاً في الشعر، وأدب أبناء الأمير عبد الرحمن الأوسط، وابن أرقم مؤدب عبد الرحمن الناصر[4]، وكذلك عثمان بن نصر بن عبد الله القرطبي (ت325هـ=937م)، مؤدب الحكم المستنصر[5].

واتخذ هؤلاء المؤدبون من التعليم حرفة يتكسبون منها، وكان المعلم يتقاضى مكافأة كلما بلغ أحد تلاميذه مرحلة الإتقان والحذق، ولذلك عرفت هذه المكافأة باسم "الحذقة"[6]، أما عن معلمي أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة، فقد باؤوا مكانة عالية، حيث كانوا من مشاهير العلماء، وأغدق عليهم المال الكثير[7]، وقال الزبيدي: في طبيعة التحصيل العلمي عند هؤلاء المؤدبين: "ولم يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم ممن عني بالنحو كبير علم..."[8]،

---

(1) الحجي: التاريخ الأندلسي، ص278؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ص229.

(2) الحجي: التاريخ الأندلسي، ص 279.

(3) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ص526.

(4) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954م، ص293-299،؛ابن حيان: المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تح: محمود مكي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1971م، دار الكتاب العربي، بيروت،1973م ص351؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلا المغرب، تح: شوقي ظرف، مصر، دار المعارف، ط1، 1954، ص113.

(5) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس،ص898.

(6) الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، ص 278.

(7) خوليان ريبرا: التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، تر: الطاهر المكي، مصر، دار المعارف، 1984م، ص 121.

(8) الزبيدي: طبقات اللغويين والنحويين، ص 236.

غير أن الحكم العام على جميع المؤدبين يكون جائراً ومجحفاً في حق الكثير منهم، من الذين بلغوا مراتب علمية عالية، وكان لهم منزلة كبيرة في نفوس الناس[1]، إن المنهج الذي سار عليه الأندلسيين في تعليم أولادهم مدار الصبي عندهم، إذا عقل سلكوا به أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله عز وجل، فإذا حذقه نقلوه إلى الأدب، فإذا نهض منه حفظوه الموطأ، فإذا أتقنه نقلوه إلى المدونة، ثم ينقلونه إلى وثائق ابن العطار، ثم يختمون له بأحكام ابن سهل "[2]، ولكن بعضهم اتجه إلى طريقة مختلفة في تحفيظ الأطفال، حيث يبدأ الطفل يحفظ القرآن الكريم أولاً ولو من غير فهم، ثم يتعلم العربية، ثم يعود إلى القرآن مرة أخرى، وقد استطاع الفهم[3].

وأصبح منح الأستاذ الإجازة لطلابه أمراً شائعاً بعد أن يتتلمذوا على يديه، وكانت تسجل في وثيقة من الرق أو الكاغد (الورق)، أو في الكتب التي درسها الطالب بخط أستاذه نفسه[4]، ومن أمثلة هذه الإجازات ما ذكره ابن الفرضي من أن يوسف بن محمد بن الهمذاني الشذوني الذي رحل إلى المشرق، وسمع الكثيرين به، أجاز له جميع ما رواه، وتوفي سنة(383هـ=993م)[5]، ولم تكن الإجازات مقصورة على الرجال فقط بل نالتها بعض النساء أيضاً[6].

وكانوا يبعثون بالفتيات إلى المدارس الأولية منذ الصغر؛ لكي يتعلمن المواد نفسها التي تدرس للصبيان[7]، وبعضهن كن يواصلن التعليم العالي، ويحصلن على الإجازات نفسها التي يحصل عليها الرجال[8]، وبعضهن درسن الفقه والقراءات والسنة[9]، وهي دراسات كان بعضها يؤهل صاحبه بأن يحترف التعليم، ويمارسه مهنة يعتاش منها ويرتزق[10].

وأخريات يدرسن الأدب، ومواد أخرى يمكن أن تنفعهن أحياناً، لكي يتبوأن مناصب في ديوان الكتابة الملكية[11]، وبعضهن نافسن الرجال بذكائهن، وفصاحتهن، ومهارتهن في الشعر وغيره[1]،

---

(1) إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة) ،بيروت، دار الثقافة، ط1، ص64.

(2) خوليان ربيرا: التربية الإسلامية في الأندلس ،ص176.

(3)أمين: ظهر الإسلام ، ج3، ص8.

(4)ربيرا: التربية الإسلامية في الأندلس، ص 148.

(5) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ،ج2،ص1636.

(6) الضبي: بغية الملتمس ، القاهرة، دار الكاتب العربي ، 1967م،ص1186.

(7) ابن بشكوال: الصلة ، ص 218-299.

(8) المصدر نفسه: ص1420.

(9) المصدر نفسه:ص1419.

(10) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص156.

(11) ابن بشكوال: الصلة، ص1413.

وغيره[1]، و بلغت المرأة المسلمة في الأندلس قدراً عالياً من التعليم دون تفرقة بين الجنسين[2]، و من بين هؤلاء: إشراقه، وعرفت بين العامة باسم العروضية، وفي دراسة عن المرأة العربية الأسبانية، تبين أنها امرأة لها مكانتها وقدرها[3].

كما رحلت النساء إلى الخارج ليتعلمن كالرجال، فقد ذهبت خديجة بنت أبي محمد عبد الله الشنتجيالي إلى المشرق مع أبيها، وحصلت على الإجازات التي شهد بها الأساتذة لصالحها[4]، وفي المشرق درست أيضا فاطمة بنت سعد الخبر من محمد، حيث ذهبت مع والدها وحضرت دروس كبار العلماء[5]، و تميزت بعض النساء في علم التوحيد، إلا أنهن بصفة عامة اتجهن إلى علم الأدب والموسيقى والشعر وذلك لتجعل من زوجها رجلاً سعيداً[6].

وهكذا يتضح مما تقدم أن التعليم في الأندلس لقي اهتماماً كبيراً من حيث المنهج الذي كان يخرج طلبة متخصصين في مختلف العلوم، وربما ما يلفت أكثر في هذا الأمر اهتمام الخلفاء والأمراء بتأديب أبنائهم، وتعليمهم علوم الدين والأدب والشعر واللغة وغيرها، وهذا يشير إلى ما كان يتمتع به هؤلاء الحكام من رجاحة العقل والحكمة، وكانوا يحرصون على تطوير أبنائهم، وأعدادهم وتربيتهم تربية حسنة تواكب تطور العصر آنذاك، وكذلك الذي يجعلنا نعجب بهذه التجربة اهتمام الأندلسيين المسلمين بتعليم المرأة جنباً إلى جنب مع الرجال دون تمييز بين الجنسين، من حيث المكانة أو اللون، وكان التعليم متوفرا للجميع، ولذلك نجد المرأة المسلمة أبدعت في شتى المجالات، بل ونافست الرجال، وتفوقت في بعض المجالات عليهم، وهذا ساهم بدور مهم في بذر بذور التطور الحضاري والتقدم المجتمعي في الأندلس على سائر المجتمعات الأخرى في ذلك العصر.

---

(1) المصدر نفسه: ص1418،1416.

(2) ابن الآبار: التكملة ، ص 312.

(3) المصدر نفسه: ص 154.

(4) ابن بشكوال: الصلة،ص1539.

(5) ابن الآبار: التكملة، ص2122.

(6) ريبيرا: نصوص عجمية، ص99-105.

الفصل الثالث
الإبداع الفني و الاجتماعي لمسلمي الأندلس

المبحث الأول: الإبداع في فن العمارة والبناء لمسلمي الأندلس.

المبحث الثاني: الإبداع في فن الموسيقى والغناء لمسلمي الأندلس.

المبحث الثالث: الإبداع في العادات والتقاليد.

المبحث الأول
الإبداع في فن العمارة والبناء لمسلمي الأندلس

ذكرنا سابقاً أن الحقبة التي حكم بها المسلمون تميزت بتطور كبير في مختلف مناحي الحياة، وخصوصا في فن الهندسة والعمارة والبناء، وعلى صعيد التطور الاجتماعي، حيث سيتم التطرق إلى أهم ما أبدعه الأندلسيون في هذا المجال، وهو على النحو التالي:

تطور الفن الأندلسي، واتخذ له طابعا أصيلاً مميزاً، وكان للاتصال بالشرق بين القرنين الثاني والتاسع الهجريين أثره في هذا التطور[1]، وهناك بعض الآثار التي تدل على هذه الأصالة التي لا نجدها في أي بلد إسلامي آخر[2]، و اتسم عصر الإمارة الأموية في الأندلس والذي استمر نحو (178سنة) بالاستقرار السياسي في غالب المدن الأندلسية، فساعد هذا كثيرا في تطور حركة العمران التي أظهرت مدى التقدم الحضاري في الأندلس[3]، وما حققه المسلمون في الأندلس من تطور بفضل فكرهم المبدع، ولم تستطع شعوباً كثيرة أخرى أن تحققه[4]، فكان للفن المعماري الإسلامي طابعه المميز الذي يستطيع الإنسان معرفته وتمييزه بسهولة[5][6](7)، ومن أبرز مظاهر هذا الفن المعماري ما يأتي:

برج فلهرة، و صرح يسمى بالنصر، كان قلعة في أيام المسلمين، ثم حوله الأسبان إلى مقام ملكي حصين، وهذا البناء يوجد في مدينة ألش، وهي بقرب تدمير[7]، وكذلك اختط المسلمون مدينة تطيلة الحصينة عسكريا، والتي يوجد بها كتدرائية جميلة، أقيمت على أنقاض مسجد أقيم في القرن التاسع الميلادي[8].

---

(1) ج.س.كولان: الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية – إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ص 151.

(2) المصدر نفسه: ص151.

(3) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، ص378.

(4) زغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب ،تر: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ص354 ؛ بدر، أحمد: دراسة في تاريخ الأندلس وحضارتها، ص 167.

(5) فراج، عز الدين: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية ،دار الفكر العربي، 1978م، ص273.

(7) عنان : محمد عبد الله : الآثار الباقية في أسبانيا والبرتغال ،القاهرة ، مكتبة الخانجي،ط2، 1997م، ص151.

(8) المرجع نفسه: ص151.

واختط الأمير عبد الرحمن بن الحكم(206-238هـ=822-852م) مدينة أبدة، والتي عرفت بآبدة العرب[1]، ولكنها اكتملت في عصر ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن، الذي كان شغوفا بتشييد المباني حباً منه في البنيان والإتقان فيه، ساخيا في الإنفاق عليه[2].

ومن المدن التي تم تشييدها، مدينة مرسية، وهي مدينة محدثة إسلامية، تعد قاعدة تدمير[3]، وتقع في شرق الأندلس، و أمر ببنائها الأمير عبد الرحمن بن الحكم[4]، وكان لمدينة مرسية عدة متنزهات، ومنها جبل أيل تحت البساتين، وهي تشبه في هذا الوصف مدينة اشبيلية في غرب الأندلس[5]، و كانت مبانيها منخفضة ذات طبقتين أو ثلاث، وهي في مستوى من الأرض تحيط بها الحدائق من كل جانب، وفي جنوبها سلسلة من التلال العالية، ولها حصون وقلاع، وبينها وبين قرطبة عشر مراحل[6]، وكان من أكبر مبانيها هو ميدان الدستور الجميل[7].

وكما اختط المسلمون مدينة مجريط، التي تم بناؤها في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ)=(852-886م)[8].

(1) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، تح: محمد سعيد العريان، بيروت، دار الفكر، ج5، ص218 ؛ الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبد الله: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ،تح: إبراهيم الأبياري ، القاهرة، دار الكتاب المصري،بيروت ،دار الكتاب اللبناني،ط1، 1989م، ص39.

(2) ابن حيان القرطبي، أبو مروان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد: المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تح : محمود علي مكي، بيروت ، لبنان، دار الكتاب العربي، 1973م، ص226.

(3) تدمير: كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة حيان، وهي شرقي قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ورساتيق، بينهما وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد (الحموي، ياقوت: أبو عبد الله شهاب الدين، معجم البلدان، بيروت ، دار الفكر، ج2، ص19) .

(4) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص539؛ ابو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل بن علي: تقويم البلدان، تصحيح: رينود وال بارون ماك، توكين ديلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1850م، ص179.

(5) أبو الفداء: تقويم البلدان ، ص179.

(6) شكيب، أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، بيروت، دار مكتبة الحياة، ج1،ص202.

(7) عنان: الآثار الباقية في أسبانيا، ص99.

(8) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص218.

وهي حصن دفاعي أنشئ لأغراض عسكرية، ثم تحول إلى مدينة جميلة عظيمة الإنشاء[1]، ووصف المؤرخون تلك المدينة بأنها قلعة منيعة وحصينة، وكان لها مسجد جامع وخطبة قائمة[2]، وكذلك بنيت قلعة رباح، وهي من أهم أعمال ابن عبد الرحمن، وهي بين قرطبة وطليطلة، وأمر ببنائها الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة(241هـ=855م)[3] ، وهي مدينة جميلة، و وبها حصن حصين على نهر آنة، و تميزت بزيادة مبانيها الفخمة التي انتقل إليها كثير من الناس، وسكنوها بعد خراب مدينة أوريط[4]، وتم بناء مدينة بطليوس التي أمر ببنائها الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ)=(888-912م)[5]، وكان فيها مسجد تم بناؤه باللبن والطابية، وبنيت صومعته بالحجر، وبني مسجداً خاصاً داخل الحصن الذي اتخذه له[6]، وكان سور مدينة بطليوس مبنياً بالتراب، ولها ربض كبير، أكبر من المدينة، وهي على ضفة نهر كبير يسمى الفؤور[7]، وكذلك أمر عبد الله بن محمد ببناء مدينة مصر قرية الأندلس القريبة من قرطبة[8]، وتميزت مبانيها بأنها رفيعة وفخمة وجميلة وفاخرة[9].

وشهدت الأندلس في عهد الخلافة تقدماً كبيراً في الإعمار، فتم إنشاء المنشآت المعمارية والقصور الفخمة، وبناء المزيد من المدن والضواحي الزاهرة التي ما زال بعضها قائماً إلى وقتنا هذا[10][11]، كما تميز عصر الخلافة بالرخاء الاقتصادي الذي ساعد كثيراً في بناء العديد من المدن، إذ كانت جباية الأندلس في عهد الخليفة الناصر (5480000دينار) من الكور والقرى،

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص523.

(2)الأدريسي: :نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص552.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص 469.

(4) المصدر نفسه: ص469.

(5) الضبي: بغية الملتمس ، ج1،ص38؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج5، ص222؛ الحميري: جذوة المقتبس، ج1 ، ص41.

(6) المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج2، ص102.

(7) الإدريسي: نزهة المشتاق ،ج2،ص452،455.

(8) الحميدي: جذوة المقتبس وص84.

(9) الحميري: الروض المعطار، ص584.

(10) المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م، ص457.

(11) ينظر: ملحق رقم(5)،(8)(9).

ومن المستخلص والأسواق(765000دينار)، وكذلك أخماس الغنائم الكثيرة[1]، لذلك تم اختطاط المدن الجميلة، التي تدل على حجم التطور في الفن المعماري، منها: مدينة الزهراء، وهي مدينة عربية إسلامية بارعة الجمال، أمر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله)(316-350هـ=929-961م)، واستغرق بناؤها أعواماً عديدة، وتقع غربي قرطبة على سفح جبل العروس[2]، وأراد الخليفة من بنائها أن تكون له منتزهاً خاصاً[3][4]، لذلك أمر باستدعاء المهرة من المهندسين والعمال للعمل فيها، فكان بناؤها على أحسن صورة وأبهاها[5]، هذه المدينة تعكس ملامح العصر الذهبي للأسرة الأموية في الأندلس، وتدلل على مدى الإبداع المعماري الذي وصلت إليه الحضارة الأندلسية في ذلك العصر[6]، وتم تقسيم هذه المدينة لطبقات، الدنيا فيها بساتين وحدائق، والوسطى فيها دور الموظفين، وفي الطبقة العليا قصر الخليفة، وقاعته الكبيرة التي تزينها أعمدة الرخام وحليها الذهبية، وجوهرة كبيرة تتلألأ في وسطها[7].

وساهم في بناء هذه المدينة مهندسون من بغداد والقسطنطينية، وكان عدد العمال الذين عملوا في مدينة الزهراء عشرة آلاف عامل[8]، كما تم جلب الرخام الأبيض والأخضر الوردي من مدن المرية وقرطاجنة وتونس والشام والقسطنطينية، وكان يصرف في كل يوم من الصخر المجور ستة آلاف صخرة سوى التبليط في الأسوس[9]،

---

(1) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني: أزهار الرياض وأخبار عياض، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة ، 1940م، ج2، ص271.

(2) جبل العروس: ويعرف بمرتفعات سيرامونيا (أبو الفداء: تقويم البلدان، ص175).

(3) طقوش، محمد سهيل: تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفاش ، ط1، 2005م، ص344.

(4) ينظر: ملحق رقم(11)،(30)،(31).

(5) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص175.

(6) ابن خاقان، أبو الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الاشبيلي: مطمح الأنفس ومسرح التآنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي شوابكة، بيروت، دار عمار مؤسسة الرسالة،ط1 ص245.

(7) شوقي، ضيف: عصر الدول والإمارات في الأندلس ،دار المعارف،ط3، ص145؛ طقوش: تاريخ المسلمين، ص344،

(8) ابن خاقان: مطمح الأنفس،ص246،245.

(9) المصدر نفسه: ص247.

وتتألف مدينة الزهراء من قصور وحدائق ملكية، تدل على الذوق الرفيع، كالحمامات والمعامل والثكنات العسكرية[1]، كما يوجد فيها عدد من المساجد، من أهمها: المسجد الجامع المشهور فيها، ويوجد على سورها سبعة أبواب حديد[2]، أما على القصر الخاص بالخليفة، والذي أطلق عليه اسم المؤنس، فقد كان من أبهى قصور المدينة في طريقة بنائه وسعته وزخرفته، وكان يبدو على أنه تحفة رائعة من الفخامة والجلال، وكانت تحيط به الحدائق من كل جانب، وأنشئ فيه مجلس ملوكي جليل، سمي بقصر الخلافة، خصص له جناح خاص محمي من الغرف والدهاليز، وهذا كله من أجل حماية وتحصين الخليفة[3].

وأمر الخليفة بتحويل الجزء الأسفل من المدينة إلى حي تجاري، وتم إنشاء عدد من الأسواق، ومنح التجار الذين يزاولون نشاطهم التجاري فيها حوافز مالية[4]، وبذلك نجد في مدينة الزهراء جميع المباني والأسواق، لتصبح مدينة ليست للنزهة فحسب، ولكنها مدينة تجارية[5].

وأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر ببناء مدينة المرية، وهي مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس، وتقع على ساحل البحر المتوسط، ولها قلعة منيعة تعرف بقلعة خيران[6]، وكانت هذه المدينة مزدهرة تجارياً، وتتميز بوفرة الأموال بيدي أهلها[7].

وكانت مرسى الأسطول الأندلسي الإسلامي الذي بلغ أوج قوته وعظمته في أيام الخليفة الناصر[8]، وهي من أشهر المدن وأعمرها، ويوجد فيها سور حصين منيع أمر ببنائه الخليفة الناصر، وتتميز أسوارها بكونها عالية، وقلعتها منيعة[9].

ويوجد فيها صناعات كثيرة، من أبرزها الحرير، كما يصنع بها صنوف الآلات من الحديد والنحاس والزجاج، ما لا يمكننا وصفه[10]، وعلى أبواب مدينة المرية العقاب، فيوجد عليها صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر، ولها وادي طوله أربعون ميلاً، وعلى طوله توجد أنواع

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب، ج2 ،ص231.
(2)شكيب: الحلل السندسية ،ج1، ص202.
(3) المصدر نفسه: ص 345،346.
(4) المصدر نفسه: ص346.
(5) الإدريسي: نزهة المشتاق ، ج2،ص580؛ الحميري: الروض المعطار، ص295.
(6) الحميري: الروض المعطار، ص 537.
(7) المراكشي: المغرب في حلى المغرب ،ج2، ص192.
(8)شكيب: الحلل السندسية ،ج1،ص202.
(9) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 169-177.
(10) الحميري: الروض المعطار ،ص538.

البساتين والجنات والأنهار[1]، وفيها من الحمامات والفنادق نحو ألف، وبها من الضياع الكثير[2].

وكانت مدينة المرية في أصلها جبلان بينهما خندق معمور، وكان على الجبل الأول قصبتها المشهورة بالحصانة، وفي الجبل الثاني ربضها والسور الذي يحيط بالمدينة والربض، ولها أبواب متعددة[3]، وأصبحت المرية أكبر مرفأ للأسطول الإسلامي الأندلسي، الذي ازداد قوة ومناعة في ذلك العهد[4]، ولا زالت المرية وفي العصر الحديث تعد من أجمل الثغور الإسبانية، فهي مدينة أنيقة، يشقها من الوسط شارع عظيم محاط بالأشجار الباسقة من الجانبين، ويسمى (متنزه الجنرال الأعظم)، وتقع فيه معظم المتاجر والمقاهي والفنادق الكبيرة[5].

ومن المدن المتصلة بقرطبة التي بناها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر المعافري، مدينة الزاهرة[6]، وهي تقع على نهر الوادي الكبير، وتم بناؤها خلال عامين لتنافس بذلك مدينة الزهراء، ونقلت إليها دواوين الدولة، وانتقل إليها المنصور للسكنى هو وحاشيته فيها[7]، وبنيت مدينة الزاهرة على أكمل صورة من الفخامة والأبهة، و أنفق المنصور مالاً كثيراً في بنائها، واستعمل فيها الصناع والعمال الكثيرين، وزينها بالذهب والأزورد، وجلب إليها الآلات الجليلة، وتوسع في اختطاطها، وبالغ في رفع أسوارها، وأوثق أبوابها، وأتقن مضايقها[8]، وهذا الوصف يؤكد مدى حرص المنصور بن عامر على ملكه من الزوال، بعد أن أصبح أشهر شخصية في عصره، لذلك قرر أن يبني قصرا في مدينة الزاهرة، ليكون سكنه له ولأهله وحاشيته[9].

---

(1) أبو الفداء تقويم البلدان، ص 164.

(2)شكيب: الحلل السندسية ، ج 1،ص203.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص538.

(4) الحجي: التاريخ الأندلسي،ص317.

(5) عنان، محمد بن عبد الله: الآثار الباقية في أسبانيا والبرتغال ،القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، ص 265.

(6) الحاجب المنصور: هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، جده عبد الملك المعافري أحد الوجوه الذين دخلوا الأندلس مع جيش القائد طارق بن زياد (ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،تح: إحسان عباس، ليبيا وتونس، الدار العربية للكتاب ، 1975م، ج4، ص39،).

(7) ابن خلدون: العبر في خبر من عبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، 1960م، ص148؛ المقري: نفح الطيب، ج1، ص466-578.

(8) الحميري: الروض المعطار، ص 284؛ ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2،ص 375.

(9) المصدر نفسه: ص 284.

وأمر المنصور باتخاذ الدواوين للعمال في مدينته، ثم أقطع وزراءه وكتابه وقواده وحجابه القطائع الواسعة، فبنوا فيها كبار الدور، والقصور فاتسعت بذلك المدينة، وكانت فيها الأسواق، وكثرت فيها الأرزاق، وتنافس الناس في النزول بأرضها والسكن فيها، لشدة جمالها وبهاء معمارها[1]. وفي سنة (370هـ) كان الفراغ من المدينة، فنزل بها المنصور هو وخاصته، ورتب فيها جلوس وزرائه وأمرائه، وكتب إلى كافة المدن الأندلسية أن تحمل إليه الأموال والجبايات، وأن يقصدها أصحاب الولايات، فجاءه الناس من كل مكان للسكنة بها[2]، ولقد شهدت الأندلس بناء المنيات وهي (قصور ريفية) خارج قرطبة، مثل قصر الرصافة، الذي بناه الداخل على سفح جبل قرطبة، وكذلك القصر الذي بناه ابنه عبد الله في مدينة بلنسيا[3].

و حرص الداخل على جعل قرطبة صورة من دمشق في منازلها البيضاء ذات الأحراش الداخلية، المزينة بالأزهار والورود ونافورات المياه[4]، و ساعد على هذا النهوض في مجال العمران تقدم الصناعة مثل إنشاء دور الصناعة في إشبيلية[5]، وأنشأت الأخرى في قرطبة[6]، والثالثة تم إنشاؤها بقرمونة[7].

وفي عصر عبد الرحمن الناصر أنشئت دور الصناعة في المرية[8]، وطرطوشة، حيث كانت تصنع فيها المراكب الكبار من خشب جبال طرطوشة، الذي يمتاز بطوله وغلظه، ليصنع منه القرى والصواري[9]، وتحولت تلك الصناعات لبعدها عن الساحل لصناعة التحف المعدنية والآلات، ويذكر أن عبد الرحمن الناصر أمر بصناعة اثنا عشر تمثالاً من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس، تمثل أسداً وغزالاً وتمساحاً ونسراً تمج جميعها الماء من أفواهها[10].

---

(1)الحميري: الروض المعطار، ص 284؛ ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2،ص 375: ص284.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2، ص376؛ الحميري: الروض المعطار، ص284.

(3) بدر: دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها،،ص158،دمشق،1972م.

(4) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج1،ص37.

(5) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص67.

(6) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2،ص155.

(7) الحميري: الروض المعطار، ص 15.

(8) ابن غالب، الأندلسي: فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، القاهرة، نشر: لطفي عبد البديع، مجلة المخطوطات العربية،1959م، ص 14.

(9) الإدريسي: ابو عبد الله محمد بن إدريس: نزهة المشتاق، مطبعة روما ، 1975م، ج2، ص190.

(10) المقري: نفح الطيب ، ج2 ، ص112.

وكانت هذه الصناعات تزين بها المنشآت والمباني، خاصة بعد التوسع في أعمال البناء والعمران في الزهراء[1]، كذلك لو نظرنا إلى قرطبة بمسجدها الذي بناه عبد الرحمن الأول، ثم زاد فيه على التوالي عبد الرحمن الأوسط، والحكم الثاني (المستنصر)، ثم المنصور بن أبي عامر، وقد هدم قسم من وسطه، لتبنى مكانه كنيسة مسيحية، ولكن القسم الأقدم منه يدل على تراث معماري جديد، له طابع أندلسي، ويعتقد أن ذروة الإنجاز الفني فيه قد تحققت في القسم الذي أضافه الحكم الثاني بعقوده البالغة التنميق، وزخرفته المتقنة، وبخاصة حول المحراب أو المشكاة التي تحدد الاتجاه إلى مكة[2][3].

ويوجد آثار من فن سورية الجديدة، مآذن سورية الأموية، بكل ما حملته من مؤثرات، فالناظر إلى مئذنة جامع قرطبة الجديدة مربعة المقطع، مثل مآذن سورية التي صممت على غرار أبراج الكنائس[4]، وكذلك تأثرت بالفن المعماري في بغداد، وهذا دليل على استيعاب ثقافة المشرق، وامتزاجها مع الثقافة الأسبانية، أي تزين أسبانيا بثوب إسلامي[5]، وكذلك هناك تراث عظيم من الآثار التي تدل على فن البناء والمعمار الأندلسي، مثل قصر الجعفرية في سرقسطة، الذي يمتاز بإبداع عجيب، وبذخ في زخرفته، والذي يجري العمل في الوقت الحاضر لاستعادة بنائه، وبرج الخيرالدة، وهو منارة أثرية تعد من أجمل الآثار في العالم الإسلامي[6]، وكذلك قصر الحمراء في غرناطة، ذلك القصر الضخم الذي لا يزال محتفظاً بهندسته على نحو عجيب، بالرغم من قدم بنائه، و تجمع فيه فن العمارة، وبدع الطبيعة من ماء جار وخضرة يانعة، لتجعل منه مشهداً من أعظم مشاهد العالم المهمة[7][8].

يظهر مما تقدم أن الفن المعماري، وحركة البناء تطورت، واتسمت بأن لها طابعاً أندلسياً إسلامياً، كما أنها كانت مزيجاً من حضارة المشرق العربي وأوروبا، وربما هذا الذي أعطى لهذه الحضارة ميزة جعلها تختلف عن غيرها، و كان لعوامل الاستقرار والأمن، والحراك الاقتصادي، ووحدة المجتمع الأندلسي إسهامه الكبير في نمو تلك الحركة العمرانية و اللافت أن الأندلسيين

---

(1)) المقري: نفح الطيب ، ج2 ، ص112.

(2) مونتغمري وات: في تاريخ أسبانيا الإسلامية مع فصل في الأدب بقلم ليير كاكيا، تر: محمد رضا المصري، بيروت، لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2، 1998م، ص 89.

(3) ينظر: ملحق رقم(19)،(20)،(37)،(35).

(4) المصدر نفسه: ص 90.

(5) مونتغمري وات: في تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص90.

(6) ج.س. كولان: الأندلس، ص 151 .

(7) المصدر نفسه: ص 152 .

(8) ينظر: ملحق رقم(16)(39).

اعتمدوا على أنفسهم في كثير من هذه الإنجازات المعمارية، فأبدعوا في بناء المصانع التي مولت حركة البناء، وكذلك استقدموا الخبراء في الهندسة من أماكن متعددة، وهذا دليل آخر يدل على مدى اهتمام حكام المسلمين في الأندلس بهذا التطور والتقدم في فن العمارة والبناء في تلك الحقبة التي استطاعت فيها حضارة الأندلس أن تنافس الحضارة الأوروبية في هذا المجال، بل وتتفوق عليها، ولذلك يجب أن نفخر بما تركه لنا المسلمون في الأندلس من آثار رائعة وبصمات لا زال بعضها حتى يومنا هذا شاهداً على ما أبدعه أولئك المسلمون في تلك الحقبة.

المبحث الثاني

الإبداع في الموسيقى والغناء لمسلمي الأندلس

الموسيقى والغناء:

أبدع المسلمون في الأندلس بفن الموسيقى والغناء، بل وطوروه وأضافوا إليه الكثير من الجديد على هذا الفن يعكس الذوق الأندلسي وأهم إبداعاتهم في هذا المجال:

شارك الأمراء والأدباء، وبعض الشخصيات البارزة في الغناء مثل مشاركة الأمير أبي القاسم المطرف بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، الذي كان عالما بالغناء[(1)]، وكذلك أسلم بن أحمد بن سعيد بن القاضي أسلم، كان شاعراً وأديباً وعالماً بالغناء، وألف كتاباً خصصه لأغاني زرياب[(2)]، و كانت ولادة بنت المستكفي قديرة في صنعة الغناء[(3)]، وأبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر مغرماً بالغناء[(4)]، وكان عبيد الله بن محمد الرشيد من أبناء المعتمد بن عباد ملك إشبيلية يجيد ضرب العود[(5)]، وكذلك الحسين بن أبي جعفر الرقشي كان عالماً بالموسيقى، ومجيداً للغناء، ويعد عبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب أوحد عصره في الغناء الرائق، والأدب الرائع، والشعر الرقيق، واللفظ الأنيق، وكان أعلم الناس بضرب العود، باللحون[(6)].

ويعد عصر بني أمية في الأندلس هو العصر الذهبي للفنون و الغناء والموسيقى، كالرقص والتهريج والألعاب والفكاهة، وصحب هذا الفن ازدهاراً واضح في الأدب والشعر[(7)]، و حرص عبد الرحمن الداخل على أن يجعل من قرطبة دمشق أجداده، وبغداد عصره، فبعث إلى الحجاز تجاراً يشترون له الجواري ممن ذاعت شهرتهن في فن الغناء والموسيقى، وأغدق عليهن الأموال، وأولى تلك المغنيات كانت (فضل المدينة)، والتي عرفت بأنها حاذقة في الغناء وكانت لإحدى

---

(1) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج1 ،ص128.

(2) ابن حزم القرطبي: طوق الحمامة، ص186.

(3) المقري: نفح الطيب،ج5،ص123.

(4) المصدر نفسه: ج5،ص123.

(5) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج2،ص68.

(6) المقري: نفح الطيب، ج5، ص269، 270.

(7) المصدر نفسه: ج5، ص270.

بنات هارون الرشيد، وتعلمت الفن في المدينـة، وكذلك فعلت (علم)، وكانت أندلسية الأصل، وتعلمت الغناء أيضا في المدينة فكانت محذقة ومهتمة[1].

كذلك هناك جارية سوداء اللون من رقيق المدينة، وفدت على الأندلس في هذه المرحلة[2]، وكان اسمها (غزلان)أم المطرف بن عبد الرحمن الأوسط، مغنية بديعة محسنة وعوادة أديبة[3]، و اشترى عبد الرحمن الداخل جارية مدنية تعد من أحسن المغنيات اسمها (الجعفاء)، وهي جارية مسلم بن يحيى الزهري[4]، وكما أحب الداخل جارية اسمها (دعجاء)[5].

وفي عهد الحكم بن هشام فتحت الأندلس أبوابها لكل من ضاق المشرق بمواهبهم من أهل الغناء والموسيقى، فأول من دخل الأندلس المغنيان (علون وزرقون)، وكانا محسنين في صنعتهما، ولكن غنائهما تلاشى بغلبة غناء زرياب[6]، وظهر في عهد الحكم بن هشام أيضاً موسيقي بارز، وهو (عباس بن النسائي) الذي غنى للأمير قصائد من شعره[7].

ورفع الأمير عبد الرحمن بن الحكم من مكانة المغنين والموسيقيين، ولأنه فنان رقيق المشاعر، مرهف الإحساس، وأحسن إليهم وأكرمهم، وفتح قرطبة لكل فنان وافد، ورحب بهم في بلاطه لتصبح قرطبة في عصره محط أهل الفن والأدب والموسيقى، وأشهر من قدم إلى قرطبة من بغداد المغني البغدادي المشهور علي بن نافع المعروف (بزرياب)، والمغني المصري المعروف باسم عبد الواحد الإسكندراني[8]، والذي أحدث ثورة في الفن بدخوله إلى الأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط[9].

وأحدث زرياب تجديداً في تلك الفنون الأندلسية، وهو صاحب مدرسة تسمى مدرسة إسحاق الموصلي في بغداد، وأصبح له طريقته الخاصة بالغناء والموسيقى، وأخذت عنه أصوات

---

(1) ابن بسام: الذخيرة ،ج1، ص205،206.

(2) المقري: نفح الطيب ، ج4 ، ص136.

(3) المصدر نفسه: ج5، ص 120.

(4) المصدر نفسه: ج5 ، ص136.

(5) ابن حزم: طوق الحمامة، ص11.

(6) المقري: نفح الطيب، ج4،ص121.

(7) فارمر: تاريخ الموسيقى العربية، ص154.

(8) ابن حيان: المقتبس،ص169.

(9) الحميدي: جذوة المقتبس،ص172،102.

استفادت منه، وألفت الكتب بها، وعلا عند الملوك بضاعته وحسابه في الفن و علا علو مفرطا[1].

وصنف أسلم بن أحمد بن سعيد ابن القاضي كتاباً في أغانيه، وفي طرائق غنائه وأخباره[2]، وكثر الحديث عن زرياب منذ أن كان تلميذاً لإسحاق الموصلي في بغداد، يلقي إليه كل خبراته وتجاربه، ويختلس من أغانيه وألحانه، و تفوق زرياب على أستاذه وبعدها ذهب إلى قرطبة، حيث احتضنه الأمير عبد الرحمن الأوسط[3]، وهكذا لقي وفود زرياب إلى الأندلس ترحيباً رسمياً وشعبياً، وأمر الأمير عماله في البلاد أن يحسنوا إلى زرياب أينما كان، و أسكنه الأمير في أحسن وأفخم دور قرطبة، وأعطاه جميع ما يحتاجه، وأجرى له رزقاً شهرياً معلوماً، ومنحة بمناسبة الأعياد منحة تقدر بثلاثة آلاف دينار في العام، ويقطع من دور قرطبة ومستغلاتها وضياعها ما يقدر بأربعين ألف دينار[4]، كل هذه الظروف هيأها الأمير لزرياب حتى يبدع ويتقن ويجيد في صنعته وفنه، و استدعاه وجالسه، وسمع غناءه، فأعجب به، وطرح كل غناء سواه، وأحبه حباً شديداً[5].

وكان زرياب يلَحن أشعاره بنفسه، وادعى أن الجن كانت تعلمه كل ليلة، وأنه كان عندما يصحو من نومه يدعو جاريته غزلان وهنيدة فيأخذان عودهما، ويتناول عوده فيطارحهما ليلته، ثم يكتب الشعر، ويعود إلى مضجعه[6]، وكان زرياب مع ذلك يغني أشعار غيره، وخاصة المشارقة في بعض الأحيان من أمثال أبي العتاهيه[7]، ومن أهم ما أبدعه زرياب وابتكره على صعيد الفن ما يأتي:

1. لقد ابتكر وتراً خامساً متوسطاً للعود، وضعه فوق المثنى، وتحت المثلث، واتخذ له بالأندلس مضرباً للعود من قوادم النسر[8].

---

(1) المصدر نفسه: ص104-172.

(2) ابن حزم: طوق الحمامة، ص186.

(3) الحفني، محمود: زرياب موسيقار الأندلس، ص 54، مجموعة إعلام العرب؛ جنثالث بالنيثا: تاريخ الفكر الأندلسي،ص52-55؛ الحجي: تاريخ الموسيقى الأندلسية،ص28-37؛ سالم، عبد العزيز: فن الغناء والموسيقى بالأندلس، ص 99 – 105 .

(4) المقري: نفح الطيب،ص127.

(5) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص 69.

(6) المقري: نفح الطيب، ج5،ص121.

(7) المصدر نفسه: ج5،ص149 .

(8) ابن دحية، الكمبي: المطرب في أشعار أهل المغرب ،تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخران، الأميرية،1954 م، ص137.

2. ترجم كتاب الموسيقى لبطليموس، وحفظ عشرة آلاف لحنٍ، فكان يفتتح الغناء بالنشيد ويختمه بالحركات والأهازيج[1].

3. أسس مدرسة لتعليم الغناء، ومعالجة الأصوات على اختلافها، واكتشاف الموهوبين، ولذلك نجح تلاميذه في نشر الوعي الموسيقي عند العامة والخاصة، وهيأ الأجواء لظهور الموشحات في الأزجال[2].

وتعددت مجالس الأنس والطرب لحبهم للفن والغناء والموسيقى، والتي كانت تجمع العديد من المغنيين والمغنيات، يضربون بمختلف الآلات من عيدان وطنابير[3].

وهذه الشهرة التي وصل إليها زرياب، واستئثاره بصحبه الأمير دون غيره أهاجت عليه حسد زملائه من المغنين المغمورين، والذي تضاءلوا عند ظهوره، وكذلك الفريق الذي كان ينعم بصحبة الأمير ومنادمته، الذي ضعفت مكانته عنده بعد أن تعلق بصوت زرياب، وعلى رأس هؤلاء الحاسدين شاعر البلاط، والممثل الشخصي للأمير، ومبعوثه الخاص إلى الإمبراطور البيزنطي تيوفيل سنة (226هـ=841م)[4]، وهو يحيى بن حكم الغزال (ت 250هـ=864م)، وهو أحد الشخصيات البارزة في بلاط الأمير[5].

وهجا الغزال زرياب، وعندها شكاه زرياب للأمير، الذي أمر بنفيه من الأندلس، فرحل إلى العراق[6] ومن أبرز تلاميذ زرياب الذين نبغوا في قرطبة أبناؤه الذكور الثمانية، وجميعهم تعلموا الغناء، ومارسوا هذه الصنعة، وكان أعلاهم شأناً ابنه عبيد الله، ويليه في المكانة عبد الرحمن الابن الأكبر لزرياب[7]، ولكنه اغتر بنفسه فتجرأ على الملوك، واستخف بالكبراء[8]، أما محمد فكان مخنثاً، وأما قاسم فكان أحذقهم بالغناء والموسيقى[9].

كذلك كانت حمدونة بنت زرياب تتفوق على أختها في الغناء والموسيقى، و اشتهرت كثيراً في هذا المجال، وتزوجها الوزير هشام بن عبد العزيز وزير الأمير محمد بن عبد الرضا كذلك نبغت

---

(1) المقري: نفح الطيب، ج5، ص 122.
(2) الحفني: زرياب موسيقار الأندلس ، ص114.
(3) المصدر نفسه: ص114.
(4) العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 158، 159.
(5) ابن دحية: المطرب في أشعار أهل المغرب، ص 136.
(6) المصدر نفسه:ص137.
(7) ابن خلدون: المقدمة،ج4،ص278.
(8) المقري: نفح الطيب، ج4،ص26.
(9) المصدر نفسه: ج4،ص126.

جاريته متعة التي أهداها إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط[1]، وطروب أم ولده عبد الله، وضرتها فجر [2]، وقد أقامت متعة بعد أن أصبحت محظية الأمير مسجداً عرف باسمها[3]، وكذلك نبغت في الفن مصابيح التي تعلمت الغناء عن زرياب، وكان صوتها عذباً وأغانيها جميلة، فأعجب بها الكاتب الأديب ابن عبد ربه، الذي تمتع بسماع صوتها[4].

وعلى أيدي هؤلاء نبغ جيلٌ من المغنيات، ظهرن في عهدي الأميرين المنذر وعبد الله، ومنهن الجارية طرب التي أهداها أحد التجار إلى الأمير المنذر، وكانت جميلة ومتقنة لصنعة الغناء وحسنة الأداء[5]، ومنهن جيحان جارية الأمير عبد الله[6]، وأكثر ما وصل من تلاميذ زرياب هو المغنيات، وظل المشرق الإسلامي هو الموطن الأساسي للغناء والطرب، الذي يزود بلاد الأندلس مثلما قدمت المغنية قمر من بغداد إلى إشبيلية، واستقرت في بلاط الأمير عبد الله[7]، كذلك بعث الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر سنة (344هـ=955م) سفينة إلى المشرق لشراء عدد من المغنيات من الإسكندرية، وعادت السفينة وبها عدد من الجواري والمغنيات[8]، وذاعت شهرة المغنية أنس في عهد الحاجب المنصور[9]، وبرع في فن الغناء من أبناء الأمراء والخلفاء وبناتهم، الأمير أبو القاسم المطرف بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط[10]، وكذلك ابنه الأمير أبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر[11].

كذلك الأميرة ولادة بنت المستكفي، وكانت بارعة بالغناء[12]، ومن مغنياتها واحدة اسمها هنية[13]، ونبغ في مجال الموسيقى، موسيقيان بقرطبة في عهد الحكم المستنصرهما أبو مقيم الزامر[14]،

---

(1) المقري: نفح الطيب ، ج4 ،ص127.

(2) ابن حيان: المقتبس ،ص150.

(3) سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس،ص299.

(4) المقري: نفح الطيب،ص128.

(5) المصدر نفسه: ج5، ص106-117.

(6) ابن حيان: المقتبس ،ص30.

(7) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج2 ،ص194.

(8) ابن الأثير: الكامل،ج8،ص513.

(9) المقري: نفح الطيب،ج2،ص146.

(10) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج1 ،ص128.

(11) المقري: نفح الطيب،ج5،ص122.

(12) ابن بسام: الذخيرة، مجلد واحد، ص 377.

(13) المصدر نفسه: ص377.

(14) الحميدي: جذوة المقتبس، ص 398.

والثاني النكوري الزامر[1]، وما يدل على ازدهار فن الغناء والموسيقى والرقص في عصر الخلافة هي النقوش المحفورة في العلب والصناديق العاجية، التي كانت تنتجها دار الصناعة بقرطبة[2]، ومن أهم العوامل التي ساعدت على تقدم الفن والغناء ما أبدعه الأندلسيون من ابتكار الموشحات والأزجال، فقد كان المغنون في عصري الإمارة والخلافة يأخذون من القصائد ما يتلاءم منها مع الألحان، ولكن بابتكار الموشحات وهي أشعار تصلح للغناء وتدور حول الغزل، ووصف الطبيعة، وتربط بين اللحن و الطرب[3]، وهي مبنية على أغاني شعبية بالرومانسية، أي اللاتينية الدارجة[4]، وكان الموشح ينظم أغصاناً أغصاناً، ويكثر منها ومن أعاريضها المختلفة، والمقطع الأخير منها يعرف بالخرجة[5].

وتتسم الموشحات بعذوبة مقاطع الكلمات، وكذلك سهولة الألفاظ، وحسن الإيقاع الصوتي، لكي تصلح للغناء، ويجاد توقيعها، ويجمل ترديدها[6]، ويجمع مؤرخو الأدب الأندلسي القدامى أن فن التوشيح نشأ في الأندلس، وأول أوزان الموشحات، هو مقدم بن معافي القبري، وهو أحد شعراء الأمير عبد الله بن محمد[7].

يبدو لنا أن التطور والتقدم في مجال فن الغناء والموسيقى جاء مع تطور المجتمع اقتصاديا ووحدته واستقراره اجتماعياً، إذ أن حياة التمدن المجتمعي دائماً ما يواكبها انفتاح وتحرر أكثر في المجتمع، لذلك نلاحظ أن الأمراء والخلفاء اهتموا بشكل كبير في الفن والموسيقى،

بل وطوروه، وكان لبناتهم وأبنائهم دورفيه، وهذا يدل على أصالة هذا الفن الرفيع الذي لم يكن يقتصر على شريحة معينة في المجتمع، ولم يكن مبتذلاً أو منبوذاً على الرغم من اختلاف بعض الفقهاء مع الفن والموسيقى، وبدعوى عدم موافقتها للشريعة الإسلامية إلا أن هذا لم يكن ليحد من تطور الفن حتى أصبح سمة من سمات الحضارة الأندلسية في المجتمع الإسلامي بما أبدعه المسلمون من أشكال وألحان فنية جميلة، لم تكن معروفة من قبل، مثل الموشحات والأزجال، التي بمجرد سماعها وذكرها نذكر تلك الحقبة التاريخية من الحضارة الأندلسية الزاهرة.

---

(1) المصدر نفسه: ص143.

(2) محمد مرزوق: الفنون الزخرفة الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، 1972م، ص197.

(3) مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده ، بيروت، 1972م، ص403.

(4) أنجيل جنثالث بالنيثا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص142.

(5) لطفي عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، القاهرة ،1958م، ص79.

(6)الشكعة: الأدب الأندلسي،ص370.

(7) ابن خلدون: المقدمة، ص1139.

المبحث الثالث
الإبداع في العادات والتقاليد

الإبداع في المأكل والمشرب والملبس:

للأندلسيين ذوقهم الخاص في المأكل والمشرب والملبس الذي ميزهم عن غيرهم من الناس، لذلك أبدع المسلمون في الأندلس وأضافوا الكثير في هذا المجال.

كان الطعام الأندلسي عبارة عن مزيج مختلط من التأثيرات المشرقية والبربرية، والموروث الأندلسي القوطي[1]، وكان لزواج المسلمين بالأسبانيات دورفي معرفة أنواع مختلفة من الأكلات الأسبانية التي عرفت طريقها للمائدة الإسلامية[2]، حيث كانت اللحوم تستخدم في الطبخ، كلحوم البقر[3]، وكذلك استخدموا الطيور والأسماك المختلفة في الطبخ[4]، وكان للأندلسيين ذوقهم الخاص في الطعام، حيث عرفوا مختلف أنواع الأطعمة، خصوصاً الفاخرة منها كالثريد الذي يتكون من أنواع عدة من اللحوم، التي كانت تقدم بشكل منسق ومنمق في طبق كبير، مما حذا بالناس لوصفها بأحد أطباق الملوك والوزراء[5]، وبدأ البذخ في الطعام واضحاً، حتى كان بعض الخلفاء والخاصة إذا جلس إلى الطعام يقف الأطباء بين يديه، ومعهم الأدوية الهاضمة، إلى جانب أنواع الشراب الأخرى[6].

ومما يدل على مدى التقدم والتطور والإبداع في هذا المجال هو وجود أفران عامة في ذلك العصر يجهز فيها الناس طعامهم كما في عصرنا الحاضر، فقد ذكر ابن حيان: "أن سعيد بن سليمان القاضي صلى صلاة الجمعة في المسجد الجامع بقرطبة، ثم خرج متوجهاً إلى داره، فلما انتهى إلى باب الفرن الذي كان يطبخ فيه قال لصاحبه: أطبخت خبزتي، قال: نعم، فأخذها تحت إبطه، وسار إلى منزله، ومعه جماعة أخروا دوابهم إجلالاً له حتى أوصلوه "[7].

---

(1) بو لعراس خميس: الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، (رسالة ماجستير غير منشورة) باتنة ، جامعة الحاج الخضر ، 1428-2007م،ص 99 .

(2) دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص288.

(3) دافيد وينز: فنون الطبخ في الأندلس، من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ،بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1، 1998م، ج2،ص1030.

(4) المقري: نفح الطيب،ج1، ص567.

(5) وينز: فنون الطبخ في الأندلس،ج2،ص1021.

(6) طه: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص101.

(7) ابن حيان: المقتبس،ص190.

ومن الطريف ما ذكره السقطي: "أنهم لم يميزوا بين أنواع الطعام الجاهزة في كثير من الأحيان، فقد كان بعض الطهاة يستخدمون لحوماً فاسدة في طبخهم، مثل استخدام كلاب وفرس ميتة، ولم تكن مثل تلك الأمور تخفى عن السلطات، حيث كانوا يكتشفونها"[1].

وتميزت عهود المسلمين في الأندلس بتنوع الطعام بأشكاله وألوانه وأنواعه، وكان لكل عصر ما يميزه عن غيره، إلا أن المشترك في ذلك كله هو النوعية الفاخرة للطعام، فمع قدوم المسلمين الفاتحين للأندلس كان اعتمادهم في الطعام على تلك الوجبات التي اعتادوا عليها في بلادهم[2].

ولقد أولى الأمويين الطعام عناية خاصة، فانتشر في زمانهم كثيراً من الأكلات التي تعتمد على اللحوم بمختلف أنواعها، وكان الاستهلاك اليومي منها في قصر الزهراء لوحده يفوق ثلاثة عشرة ألف رطل[3].

ومع قدوم زرياب للأندلس سنة(207هـ=822م)[4]، استحدث أطعمة جديدة على الأندلسيين لم تكن معروفة عندهم من قبل، فهو أول من اجتنى بقلة الهليون[5]، وفي محاضرة لليفي بروفنسال بعنوان الشرق الإسلامي والحضارة العربية الأندلسية أشار فيها إلى أن زرياب علم أهل قرطبة أرقى أنواع الطهي البغدادي[6]، وعرفت الحلوى التي اسمها (بالزلابيا) وتعرف كذلك حتى يومنا هذا بعد تحريفها من زريابيا[7]، ويبدو أن الأمويين قد نقلوا للأندلس عادة الاهتمام بالحلوى تشبها بأجدادهم في الشام، فمعاوية ابن أبي سفيان كان يأكل يومياً الحلوى بشكل كبير[8]، وذكر من أصناف الحلوى التي كانت تباع هناك، الفلوذج[9]، والجينص[10]،

---

(1) السقطي: في آداب الحسبة، ص 36

(2) دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي،ص288.

(3) المقري: نفح الطيب ،ج1، ص567.

(4) الزركلي، خير الدين: الأعلام ، بيروت، دار العلم للملايين، ط5،2002م، ج5، ص28.

(5) الهليون: هو عبارة عن نبات معروف ومشهور في ذلك الوقت وهو حار ورطب (الزبيدي : تاج العروس،ج36،ص284).

(6) الزركلي: الأعلام ،ج5،ص28.

(7) أمين: ظهر الإسلام ، ج3،ص23.

(8) ابن كثير: البداية والنهاية ،ج8،ص119.

(9) وصفه الحسن البصري بأنه: لباب البر ولعاب النحل بخالص السمن (الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: كتاب خاص الخاص ،تح: حسن الأمين، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.ط ، ص125).

(10) الجينص: وهي حلوى تصنع من التمر والسمن ، وسميت بالجينص لأنهما يخصبان أي يقلبان ويخلطان (الزبيدي: تاج العروس ،ج17،ص542).

والزلابية وغيرها[1]، ويلاحظ أن التطور في هذا المجال كان يعبر عن رغد العيش والترف، الذي جعل من أهل الأندلس يبدعون حتى في طعامهم وشرابهم، واللافت أيضا أن الأندلسيين استفادوا من جميع مكونات المجتمع في الداخل، وكذلك ما أتاهم من بغداد، ليصبح لديهم أفران عامة لكافة الناس، ويصبح الطعام والشراب مهنة يعمل بها بعض المتخصصين بها، وهذا التطور في الطعام والشراب يعبر عن حالة تميز المجتمع الأندلسي بذوقه الرفيع الخاص الذي ينسجم مع حالة التطور المجتمعي .

ولم يكن الترف في الطعام لدى الأندلسيين يقتصر على الطعام نفسه، بل تعداه ليصل إلى التقدم في صنع الأواني والأدوات المستخدمة في الطعام، ومن ذلك اتخاذ آنية الزجاج والفضة، واستخدام فرش أنطاع[2] الأديم اللينة الناعمة، وسفر الأديم لتقديم الطعام، بدلاً من تقديم الطعام على الموائد المصنوعة من الخشب، ويعود الفضل في هذا التطور إلى زرياب[3].

وابتكر زرياب تقاليد جديدة في الطعام، ومنها أن يبتدئ الطعام بالحساء، ومن ثم ينتقل إلى اللحوم، وبعد الانتهاء من الطعام يقوم بتناول الحلوى[4]، ولذلك نجد أن أمراء الأندلس وخلفاءهم اتخذوا من زرياب قدوة لهم بما ابتدعه من آداب المائدة، وأنواع الطعام المنسوب إليه[5]،

وكانت دكاكين بيع الحلوى منتشرة تبيع الحلوى الجاهزة، حيث كانت تباع حسب أوزانها، وربما تكون الحلوى لديهم رخيصة الثمن، لذلك كان كثير من الناس يشترونها ويكثرون منها[6].

ويبدو أن عادة الإكثار من الطعام خصوصاً أطيبه كانت معروفة ومنتشرة في هذا العهد الأموي، ومعها انتشرت بعض الأمراض الناجمة عنها، وكان هذا دافعا لشعراء الهجاء لاغتنام الفرصة من أجل هجاء كل من يمارس هذه العادة[7].

---

(1) الزلابية: حلواء تصنع من عجين رقيق، تصب في الزيت، وتقلى ثم تعقد بالدبس (مصطفى إبراهيم وآخرون :المعجم الوسيط ،ج1،ص397).

(2) أنطاع: بساط مكون من الجلد (مصطفى ، إبراهيم وآخرون : المعجم الوسيط ،ج2،ص930).

(3) المقري: نفح الطيب ، ج3 ،ص128.

(4) حسن: تاريخ الإسلام، ج2 ،ص348.

(5) المصدر نفسه: ج4 ،ص598.

(6) زيارة، نادر فرج: الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي،(رسالة ماجستير) الجامعة الإسلامية (92هـ=711م)(668هـ =1269م، ص107.

(7) الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك: الوافي بالوفيات ،تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث ،1420هـ=2000م، ج13، ص225.

ساعد ازدهار الاقتصاد في الأندلس على التقدم في مجال الرقي الاجتماعي والحضاري برغبة من الأمراء والحكام في الإصلاح والانفتاح، وأدى ذلك إلى بروز مظاهر الترف، والرفاه، وإدخال البضائع العراقية، كالملابس وأدوات الزينة[1]، وكان الأندلسيون أشد خلق الله اعتناءً بملابسهم، ونظافتها وفرشهم وغير ذلك، وكان الذي لا يجد قوت يومه فيهم يصوم ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه[2]، وتميزوا بكشف رؤوسهم، وعدم لبس العمائم ونحوها، كما كان يفعل المشارقة، واقتصرت العمائم فقط على القضاة والفقهاء، إذ يلبسون عمائم مختلفة عن أهل المشرق، حيث كانت بيضاء اللون بدلاً من السواد في الحداد[3]، ويذكر أن رجل أتى إلى الخشني[4]، ولم يكن يعرفه، فلما نظر إلى زيه من الجمه المفرقة، والرداء المعصفر، والكحل والخضاب، والحناء في يديه، اعتقد انه ليس القاضي[5] وعُرف أهل الأندلس بحسن اللباس، فكانت ثيابهم مصنوعة من الصوف والكتان[6]، وكذلك راجت الملابس الحريرية التي استخدمها الأندلسيون في صناعة الملابس[7]، وتنوعت الملابس ما بين الكتان، أو القطن، أو الديباج[8]، وهناك الملابس الفخمة مثل الوشي واليوسفي[9]، ولقد تحدث ابن الخطيب عن التنوع في ارتداء الملابس بين أهل الأندلس، واختلافها حسب المقدرة المالية للشخص، وعن اختلاف ألوانها بقوله: " ولبسهم الغلاب على طرقاتهم الفاشي بينهم، والملف"[10].

المصبوغ شتاء، وتتفاضل أجناس البز[11]، والمقدار والكتان والحرير، والقطن والأردية[1]، والمازر والمازر المشفوعة صيفاً، فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المتفتحة في البطاح

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2،ص91.

(2) المقري: نفح الطيب ،ج1،ص104.

(3) المصدر نفسه: ج1،ص111.

(4) بحثت ولم أجد تعريفاً.

(5) ابن عذارى: البيان المغرب،ج1،ص79-81.

(6) القلشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الأنشى ، تح: يوسف علي الطويل، دمشق، دار الفكر، ط1987،1م، ج5،ص261.

(7) السقطي، أبو عبد الله محمد بن بني محمد المالقي الأندلسي(ت القرن السابع الهجري=القرن الثالث عشر الميلادي):في آداب الحسبة، ترجمة: ليفي بروفنسال، باريس، المعهد المتوسط الوطني المغربي،1931م،ص67.

(8) دويدار: المجتمع الأندلسي، ص296.

(9) ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص161.

(10) الملف: هو عبارة عن لحاف يلتف به الإنسان كغطاء (الزبيدي: تاج العروس،ج24،ص392).

(11) البز: ضرب من الثياب الفاخرة (الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي ، وإبراهيم السامرائي، بيروت، دار ومكتبة الهلال، د.ت.ط.ج7،ص353).

الكريمة، تحت الأهوية المعتدلة[2]، وكان الشيوخ والمعظمون يغطون رؤوسهم بغطاء الطيلسان إذا لبسوه، أما العامة فيتركونه متدلياً خلف رقبتهم، كما كان يصنع بعضهم القلانس من الخز، وكانوا يغطيون بها رؤوسهم، مثلما فعل محمد بن بشير، الذي كان يصلي الجمعة بالناس في جامع قرطبة وعليه قلنسوة خز[3].وكان كثير من العلماء يرخون ذؤابات عمائمهم إذا ما تعمموا، ولم يكونوا يجعلونه بين الأكتاف، وإنما يسدلونها تحت أذنهم اليسرى[4]، وعرف البرنس وخاصة بين البربر، البرنس الذين تعودوا عليه في بلادهم، ويبدو أنهم نقلوه إلى الأندلس وانتشر فيها[5].

وكان الأندلسيون يطلقون على الثوب اسم الحلة، وتتكون من قطعتين الرداء والإزار، وتصنع من القطن والديباج، أو الكتان، أو الحرير الموشى بخيوط ذهبية، وكان الخلفاء يلبسون الثياب الفاخرة، مثل الوشى اليوسفي، والوشى الهاشمي، وذكر ابن حيان: "أن الأمير عبد الرحمن الأوسط أراد أن يركب للنزهة مع بعض كرائمه على العادة، فطلب من الراشدة أن تدخل إلى خزانة الكسوة لتأتي برداء يوسفي فاخر، وترسل به إلى عريف الخياطين بالقصر، ليصنعه ثوباً فاخراً يلبسه في النزهة في اليوم التالي[6].

وهذه الملابس تصنع في الأندلس، وتصدر للمشرق وأوروبا التي شغف كثير من أمرائها وملوكها بها، حتى إن بعضهم طلب أن يكفن في ثياب أندلسية من صنع هذه المدينة، مثل الأمير دون فيليب وزوجته[7].

وكان الأندلسيون يلبسون الجباب والثياب، ويتخذون الخفاف، ويطلقون كلمة الغفارة على البرنس، وكلمة الأرجوان على الصوف الأحمر[8]، وتميزت ملابس النساء بالرقة والأناقة والترف، فكن يلبسن المصبوغ من الملابس، والمذهب منها، ويبالغن في زينتهن[9].واتخذ بنو أمية في الأندلس

---

(1) الأردية: وهي جمع رداء، والرداء هو الغطاء الكبير للإنسان (ابن منظور: لسان العرب ،ج14، ص316).

(2) ابن الخطيب :الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج1، ص35.

(3) الخشني: قضاة قرطبة ، ص18–29.

(4) الشكعة: الأدب الأندلسي،ص84.

(5) سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس،ص19.

(6) ابن حيان: المقتبس،ص162،161.

(7) الشكعة: الأدب الأندلسي، ص84؛السيد سالم: تاريخ مدينة المرية،ص160.

(8) هيكل: الأدب الأندلسي، ص35؛ عبد البديع: الإسلام في أسبانيا، ص116.

(9) دويدار: المجتمع الأندلسي،ص298.

في بيوتهم خياطين، وعينوا لهم عريفاً في القصر، مهمته حياكة الثياب للخليفة وأهل القصر، وكانت توضع الملابس في خزانة تسمى خزانة الكسوة[1].

وهكذا نجد أن أهل الأندلس أبدعوا في صناعة الملابس والثياب بكافة أنواعها، وكذلك أجادوا الحياكة، وصدروا هذه الملابس إلى خارج الأندلس في دلالة واضحة على جودتها وتميزها، فاحتفى بها الملوك والأمراء في الغرب والشرق في ذلك الوقت.

وفي العهد الأموي تنوعت ملابس الترف، بين ما يرتديه الإنسان من ملابس على جسمه، أو ما يعتم به على رأسه، وذكر ابن الفرضي هذه الملابس عندما تحدث عن السليماني عبد الملك بن محمد بن عبد الملك[2]، بقوله : " قدم الأندلس نحو الستين مائة، فتوسع له المستنصر بالله رحمه الله، وأجرى عليه العطاء مع قريش، وكان حليماً أديباً لبيباً للثياب، يلبس الخز ويعتم به"[3]، وتميز أهل الأندلس بما يرتدونه من ثياب، فاتخذوا اللون الأبيض لونا للحزن، و أورد النباهي ذكراً لحادثة الاستسقاء في عهد المنصور ابن أبي عامر(ت393هـ=1003م)، حيث خرج للاستسقاء لابساً ثيابه البيضاء على شكل أهل المصائب بالأندلس قديما[4]، وطور زرياب الزي بالأندلس، حيث أ دخل عليه كثيراً من التقاليد، ومنها أنه جعل لكل فصل من فصول السنة ملابس مناسبة، وعدل في هيئات الثياب وتفصيلها فقصرها، وضيق أكمامها بعد أن كانت واسعة، وأعطاها هيئة جميلة[5]، كما ابتكر زرياب أنماطاً جديدة لترتيب الشعر، فكان يقصر شعره هو وأولاده ونساؤه، دون جباههم وسووها مع حواجبهم وأداروها[6].

---

(1) ابن حيان: المقتبس،ص161،162.

(2) يكنى أبو مروان، وهو مقدسي (ابن الفرضي: تاريخ العلماء في الأندلس،ص318).

(3) ابن الفرضي: تاريخ العلماء في الأندلس،ص318.

(4) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس،ص79.

(5) المصدر نفسه: ص121.

(6) دياب: تاريخ العرب في أسبانيا،ج1،ص16.

كما أنه ابتكر أنواعا من العطور، وابتعد عن العطور الثقيلة، كالعنبر والدهن، ومال إلى العطور المستخرجة من الزهور[1]، فكان لزرياب دور كبير من حيث تحكمه في تصميم الملبس والأزياء والزينة[2]، وكان للإبداع في تطوير الملابس أثره في الترف الذي وصفه ابن بسام: "بترف مبارك والمظفر موليا المنصور بن أبي عامر اللذان أحسنا في اللباس أثناء موكبهما للجمعة " وكان للنعمان وارث حجابه الخلافة، في فخر لباسه، ووفد عدد من أصحابه، وأحسن خدمتهم له، وأن كلاً منهم كان يظاهر الوشى على الخز ويستشعر[3] الدبيقي[4]، ويتقلنس[5] الوشى[6].

---

(1) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، ص79.

(2) بروفنسال: الحضارة الغربية في أسبانيا،ص710، 70 .

(3) استشعر القوم: تداعوا بالشعار في الحرب (الزبيدي: تاج العروس ،ج12،ص198).

(4) الدبيقي: هي عبارة عن ثياب معروفة ومشهورة ويرجع نسبها إلى دبيق في مصر (ابن منظور: لسان العرب،ج10،ص94).

(5) التقلنس: من يلبس القلنسوة على رأسه (الفراهيدي: كتاب العين،ج5،ص79).

(6) ابن بسام: الذخيرة،ج5،ص18.

ثانياً: الإبداع في العادات والتقاليد الأخرى:

تميز الأندلسيون بعاداتهم الخاصة في الأعياد، والاحتفالات، والزواج، وغيرها من العادات التي أبدعها أهل الأندلس، لكي تعكس هويتهم الثقافية المتميزة.

حيث أشاع الأندلسيون في احتفالاتهم مختلف ألوان المرح واللهو على مدار سنين حكم المسلمين للأندلس، وبقيت عاداتهم وتقاليدهم خالدة في هذا المجال[1]، ولم يقتصر الأندلسيون بالاحتفال بعيدي الأضحى والفطر، بل تعددت المناسبات السعيدة التي استحدثوها، منها: عاشوراء، ونصف شعبان، وخميس أبريل، والسابع والعشرين من رمضان وعيد العصير الذي أقيم عند جني المحصول الأساسي في البلد، وهو العنبة، فكان من عادتهم أن يقيموا عدة أيام يجمعون خلالها المحصول، ويعملون في جو من الرقص والغناء والفرح[2]، وكانوا يحتفلون أيضا بالمولد النبوي الشريف بعد أن نقلوا هذا التقليد عن المشرق، وخاصة في مصر في زمن الفاطميين[3]، وإلى جانب الأعياد والمناسبات الإسلامية، كانت هناك أعياد مسيحية شارك الأندلسيون الأسبان في الاحتفال بها، مثل عيد الميلاد، وعيد النصرة، وخميس العهد، أو خميس أبريل الذي يسبق عيد الفصح بثلاثة أيام[4]، وهناك أيضا أعياد قومية وشعبية أخرى مثل عيد العصير الذي تم ذكره سابقاً، والذي لا يزال عادة موجودة في أسبانيا إلى يومنا هذا[5].

ومن العادات التي كانت معروفة آنذاك مشاركة النساء للرجال في الاحتفال بهذه الأعياد، حيث يشير كثير من المؤرخين إلى خروج المرأة للفرحة بأيام الأعياد وليس للصلاة[6]، وكن يلبسن الخف على الأمد المرموق، ويسفرن عن الخد المعشوق، وينعشن قلب المشوق، بالطيب المنشوق[7]، وواضح مما سبق مقدار تحرر المرأة في المجتمع الأندلسي، وربما كان ذلك بحكم تأثير الجوار من المسيحيين، وبحكم إرغام الأسبان لهم على التنصر، وممارسة العادات والتقاليد المسيحية[8].

---

(1) ابن خلدون: المقدمة ، ص178.

(2) المصدر نفسه: ص179.

(3) السندوي: تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي،، القاهرة مطبعة الاستقامة، 1948م، ص62.

(4) مجلة المختار من عالم الفكر،ص140.

(5) المختار من عالم الفكر،ص140.

(6) المصدر نفسه: ص140.

(7) العبادي: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس،ص96-100.

(8) دويدار: المجتمع الأندلسي،ص305.

ومع تولي الأمويين للحكم، اتبعوا كثيراً من العادات والتقاليد المبهجة في أعراسهم، واحتفالاتهم، فكان يتواجد في أعراسهم الأدباء والملهيون، ويتم عمل مناقشات أدبية، والسماع للمزامير [1]، ومن الاحتفالات المشهودة في الأندلس الاحتفال بتولي الخلافة، والتي كان لها تقاليد خاصة يتم من خلالها الانتهاء من دفن الخليفة المتوفى، وأخذ البيعة للخليفة الذي بعده[2].

وجرت العادة في احتفالات الحكام إحضار الشعراء والخطباء لكي يتلو الخطب والقصائد في مديح السلطان ومناقبه، ومما يؤكد ذلك أن الناصر عند قدوم رسل ملك الروم إليه أمر:" أن يقيم الخطباء والشعراء بين يديه ليذكروا جلاله وقدره، ويصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة في دولته، وتقدم إلى الأمير الحكم ابنه وولي عهده بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء، ويقدمه أمام نشيد الشعراء، فأمر الحكم صنيعته الفقيه محمد بن عبد البر الكسنياني[3]، بالتأهب لذلك وإعداد خطبة بليغة، يقدمها بين يدي الخليفة، وحضر المجلس السلطاني، فلما قام يحاول التكلم بما رواه بهره هول المقام وأبهة الخلافة، فلم يهتدِ إلى لفظ، وأغشي عليه وسقط على الأرض"[4].

وكانت احتفالات الحكام بالزواج في غاية الإبداع والترف، يقول المقري:" بأن أعظم عرس قام في بلاد الأندلس هو عرس ابن أبي عامر (ت392هـ =1002م)، حين تزوج من أسماء بنت غالب صاحب مدينة سالم"[5]، ويبدو أن من عادتهم الانفاق الكثير في الأعراس[6]، ومن بين احتفالاتهم المترفة كانت حفلات الختان، كاحتفال ختان شنشول[7]، عام (380هـ=990م)، حيث أنفق عليه خمسمائة ألف دينار [8].

---

(1) الحميدي: جذوة المقتبس ،ص360.

(2) المقري: نفح الطيب ،ج1،ص387.

(3) بحثت ولم أجد له ترجمة .

(4) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس،ص66.

(5) المقري: نفح الطيب ،ج1 ،ص400.

(6) المصدر نفسه: ج3 ، ص88.

(7) شنشول: هو عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر صاحب الأندلس (ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني: نزهة الألباب في الألقاب، تح: عبد العزيز محمد بن صالح السيديري ، الرياض، مكتبة الرشد، 1409هـ= 1989م ، ج1 ،ص407).

(8) الذهبي: سير النبلاء،ج17،ص128.

وعادتهم في الأعراس إقامة الولائم، فقد قام ابن القطاع[1]، بتزويج ابنه ويكنى بأبي عامر من أخت عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الصفري عام (396هـ=1006م)، واحتفل لذلك بوليمة عظيمة[2].

من الواضح أن الأندلسيين تميزوا بعادات وتقاليد خاصة، جعلت لمجتمعهم سماته الخاصة، وإن كان هناك بعض المؤثرات التي أسست لتلك العادات، مثل اختلاطهم بمجتمع جزء كبير منهم من النصارى والذميين، إلا أن الأندلسيين بقوا يتمتعون بعادات مختلفة، سواء في مناسباتهم الرسمية كالأعياد، والمناسبات الاجتماعية كالأعراس، أو الرسمية كتولي الخلافة مثلاً، وهذا التميز كان ينسجم مع تطور المجتمع الأندلسي في تلك البلاد، ويؤكد على حالة الاندماج بين أطيافه، ويدل على حالة التسامح والعدالة التي تحققت في ظل حكم المسلمين للأندلس.

واحتفلوا بعاشوراء بالصيام والتوسعة على أنفسهم، وأولادهم في هذا اليوم[3]، واحتفل الأندلسيون بعيد النيروز والمهرجان[4] وإلى جانب الأعياد كان هناك ما يعرف بالإجازة الرسمية، فقد كان يوم الأحد من كل أسبوع بمثابة عطلة للموظفين، وذكر ابن حسان (ت469هـ=1076م)، في ترجمته لعومس (ابن انتنيسيان) كاتب الأمير محمد بن عبد الرحمن، وكان نصرانياً فاسلم في آخر حياته "أنه كان أول من سن لكتاب السلطان، وأهل الخدمة تعطيل الخدمة في يوم واحد من الأسبوع، والتخلف عن حضور قصره، ودعا إلى ذلك لتنسكه فيه، فتبعه جميع الكتاب طلباً للراحة، والنظر في أمورهم، فاتخذوا ذلك وبقوا إلى اليوم عليه "[5].

ويبدو أن يوم الأحد كان عادة نصرانية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى الأندلسيين، وهذا يدل على أن التقليد الذي سنه (توماس ايتينيان) في اتخاذ يوم الأحد عطلة رسمية للكتاب وأهل الخدمة ظل

---

(1) ابن القطاع: هو عيسى بن سعيد المعروف بابن القطاع، وزير المنصور بن أبي عامر، وقد بلغ غاية الفتى في عهد عبد الملك بن المنصور، فصاهر عبد الملك، حيث زوج ابنه من أخت عبد الملك الصغرى، وبلغ به الغنى أن أعجز الناس إحصاء دوره وضياعه ، حتى كثر أعداؤه، وكانوا يستغلون عدم حضوره مجالس الشراب عند عبد الملك فيشون به، فوجد عبد الملك في نفسه من عيسى إلى أن قتله في أحد مجالس شربه عام (397هـ=1007م)(ابن بسام: الذخيرة ،ج1، ص123-127).

(2) المصدر نفسه، ج1، ص124.

(3) المقري: نفح الطيب، ج1، ص326.

(4) النيروز: عرفه الفرس منذ القدم وهو يمثل بداية السنة عندهم في فصل الربيع، ويذكر البيروني إن أول من احتفل به الملك جمشيد الفارسي، حيث قيل: أنه لما الملك فقد خاتمه فقد ملكه ، ثم عندما رد إليه خاتمه ، بعد أربعين يوما عاد إليه الملك، فقال الفرس مهنئين نوروز أمد، أي اليوم الجديد، فسمي بذلك (الزبيدي: تاج العروس ، ص 155).

(5) ابن حيان:المقتبس،ص138.

معمولا بـه فـي عصـر المنصـور وحتـى أيـام ابـن حيـان، الـذي تـوفي سـنة (ت469هـ=1076م)، وظل معمولاً به وملتزماً به بعد ذلك[1]، وكذلك كانت لديهم عادة الختان التي احتفلوا بها كما فعل المنصور بن أبي عامر، حين احتفل بختان ولده عبد الرحمن شنشول[2].

كـذلك احتفـل الأندلسـيون بعيـد الأبنـاء حـين رزق الحكـم المستنصـر بمولـود مـن جاريتـه صـبح البشكنسيه، فسر وفرح بذلك، وأقام احتفالاً كبيراً حضره كبار رجال الدولة، وجاء الجميع يهنئون ويقولون القصائد الشعرية[3] ومن عادات الأندلسيين وخاصة الأمراء، الصيد، والقنص فقد كانوا يخرجون في رحلات للصيد ومنهم عبد الرحمن الداخل الذي كان يعمل به في أوقات فراغه[4].

ومنهم الحكم بن هشام الملقب بالربض، الذي كان شغوفاً بالصيد، واللهو والقنص، وهذا السبب الـذي اتخـذه الفقهـاء لإثـارة النـاس ضـده، وإشـعال ثـورة الـربض[5] كمـا كـان هنـاك رحـلات صـيد للأمير عبد الله بن محمد في جهة عدوة النهر الأعظم بقرطبـة[6]، وكانت هناك رحلات أخرى للتنزه يخرج فيها الأمراء مع أهلهم وحاشيتهم، وهي عادة دارجة عندهم[7]، ودرجت عادة اللعب عنـد الأندلسـيين، أي الرياضـة والفروسـية، مثـل اللعـب بالصـولجان، وسـباق الخيـل، فـذكر ابـن عذارى أن الحكم الربضي كان يلعب بالصولجان في القصر[8]، ويبدو أن الأندلسيين عرفوا لعبة الشطرنج والنرد، التي نقلوها عن الفرس، وأضافوا عليها، وحسنوا هذه الألعاب، ثم انتقلت هاتان اللعبتان لأوروبا، واحتفظت ببعض الأسماء العربية[9].

كذلك عرف الأندلسيون مصارعة الثيران[10]، وذكر المقري أنه كان يوجد ما يشبه حدائق الحيوان في عصرنا، حيث يروى أن الخليفة الناصر عندما بنى مدينة الزهراء اتخذ فيها محلات للوحوش فسيحة الفناء، ومسارح للطيور مظللة بالشباك[11].

---

(1) دويدار: المجتمع الأندلسي ، ص 309 .
(2) المقري: نفح الطيب ، ج1 ،ص148.
(3) المصدر نفسه: ج1 ، ص149.
(4) دويدار: المجتمع الأندلسي ، ص 312.
(5) ابن الأثير: الكامل ،ج6،ص298.
(6) ابن عذارى :البيان المغرب ،ج2،ص146.
(7) ابن حيان: المقتبس ،ص161.
(8) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2 ،ص81.
(9) أمين: ظهر الإسلام،ج3،ص310
(10) المختار من عالم الفكر ،ص 142 .
(11) المقري: نفح الطيب ،ج1،ص270.

وكان من عادات الأندلسيين بالإضافة إلى الاحتفالات بالأعياد الدينية والوطنية والاجتماعية، مجالس الشراب واللهو، وهي من العادات الموجودة في المجتمع الأندلسي، وخاصة في وادي إشبيلية، حيث أشار الشقندي في رسالته أن ذاك الوادي لا يخلو من مسرة، وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكرة، ولا منتقدة طالما أن السكر لا يؤذي الآخرين، أي القيام بالشر والعربدة على الناس[1]، وكانت هناك احتفالات بغير مناسبة بهدف الترف والمتعة، حيث كان الحضور يتراقصون على التوالي، ويمكن لنا أن نستخلص ذلك من إحدى القصص الطريفة التي أوردها ابن بسام عن ابن شهيد (ت393=1003م)، وصاحبه البغدادي المعروف بالكك[2]، وكان ابن شهيد مصاباً بالنقرص، ويصلي كل صلواته جالساً بسبب النقرص، ولما سيطرت النشوة على المسامرين، وجاء دور ابن شهيد للرقص نسي أوجاعه وقام يرقص كعادته، فتعجب منه الكك قائلا له: "لله ذرك يا وزير، تصلي بالقاعدة وترقص بالقائمة، فطاب المجلس بهذا الكلام "[3] والحقيقة أن المجتمع الأندلسي كانت فيه بيئات مختلفة، فبعضها اتسمت بالحدة والتطرف، وبعضها بيئات علم وزهد وتقى، و وجدت بيئات أخرى مالت إلى التحرر واللهو والترف، وعاشت حياة صاخبة، فالمجتمع الأندلسي جمع بين كل ذلك[4].

هذا ما أبدعه الأندلسيون في مجالات فن العمارة والبناء والموسيقى والغناء، والملبس والمأكل والمشرب والعادات والتقاليد، وسنتحدث لاحقاً عن إبداعات المسلمين في الأندلس في الجانب الاقتصادي من تجارة وزراعة وصناعة، بحيث كان لها أثر بالغ على تطور هذه الحضارة .

---

(1)المقري: نفح الطيب ،ج1،ص270.

(2) دويدار: المجتمع الأندلسي،ص318.

(3) يبدو أن الاسم حرف، فقد ذكره ابن بسام في مواضع أخرى من كتابه باسم الفكيك ، وليس الكك(ابن بسام الذخيرة،ج6،ص674) كما ذكره المقري وترجم له بأنه: من الوافدين على الأندلس من المشرق، وهو أبو الحسن البغدادي الفكيك، وكان حلو الجواب، مليح التنظر، يضحك من حضر، ولا يضحك هو، وكان قصيرا ذميما (المقري: نفح الطيب،ج3،ص118).

(4) ابن بسام: الذخيرة،ج7،ص28.

الفصل الرابع
الإبداع السياسي والإداري لمسلمي الأندلس

- المبحث الأول: الإبداع السياسي في عهد الإمارة لمسلمي الأندلس.
- المبحث الثاني: الإبداع السياسي في عهد الخلافة لمسلمي الأندلس.
- المبحث الثالث: الإبداع الإداري في عهدي الإمارة والخلافة لمسلمي الأندلس.

المبحث الأول

الإبداع السياسي في عهد الإمارة لمسلمي الأندلس

كانت الإمارة الأموية في الأندلس إمارة وراثية مستقلة سياسياً عن الخلافة العباسية بالمشرق، و تقيم علاقات ودية مع الدول الأخرى، إلا أنها من الناحية الروحية كانت لا تعترف بالخلافة العباسية إلا فترة وجيزة، تراوحت بين عدة أشهر، وعدة سنوات من حكم عبد الرحمن الداخل(138- 172هـ=755-788م)، ثم قطعت الخطبة للخليفة العباسي[1].وهناك روايات تذكر أن عبد الرحمن الداخل لم يخطب للعباسيين طيلة حياته، ولم يخطب الأمراء من بعده كذلك لبني العباس[2]، ولكن عبد الرحمن الداخل و الذين جاءوا من بعده لم يلقبوا بلقب الخليفة للمسلمين احتراما للخليفة الشرعي، وهو الخليفة العباسي[3].

و تمثل الإبداع السياسي في عهد الإمارة، عندما وجه عبد الرحمن بن معاوية اهتمامه منذ ولي الإمارة إلى التصدي لأطماع الإمارات النصرانية بأسبانيا، التي استفادت من الفتن الداخلية لدى المسلمين، وتحالفت مع الفرنجة لتحمي ظهرها، أي تطهير الجبهة الداخلية من العصابات المسيحية، فارسل جيشاً إلى مدينة أربونة عام (138هـ = 758م)[4]، واتفق أهل المدينة سراً على تسليم مدينتهم، ثم قاموا بثورة داخل أسوارها، وانقضوا على الحاميات الإسلامية بها، وفتحوا أبوابها[5]، ودخل الفرنجة المدينة الباسلة، وهكذا سقطت أربونة، وضعف حال المسلمين[6] في الوقت الذي كان عبد الرحمن في هذه الفترة يواصل محاربة الأمراء الخارجين عليه، فاستغل الفرنجة ظروف المسلمين لإثارة الفتن بينهم[7].

حيث بدأوا بتشجيع الطامعين من هؤلاء الزعماء المسلمين على الاستقلال بالولاية التي يحكمها مثلما فعل مع أمير برشلونة سليمان الأعرابي الكلبي[8]، وأصبحت هذه سياسة الأمراء المسلمين في شمال الأندلس إذا أحسوا بضغط عليهم من قرطبة لجأوا إلى الفرنجة[9].

---

(1) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس ،ص61،60؛ ابن ابي دينار: المؤنس،ص42-97.

(2) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص332؛ ابن ابي دينار: المؤنس،ص43.

(3) العبادي: دراسات، ص58.

(4) شكيب: غزوات العرب، ص113.

(5) طرخان: المسلمون في فرنسا وايطاليا،ص85.

(6) عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج1،ص135.

(7) شكيب: تاريخ غزوات العرب، ص116.

المصدر نفسه: ،ص119.

(9) عنان: دولة الإسلام في الأندلس ،ج1،ص135.

وقام يبين بالاتصال بنصارى الشمال في أسبانيا[1]، وقطالونيا وأرجون[2]، وشجعهم على توحيد صفوفهم ضد المسلمين، واستغلت الإمارات النصرانية انشغال عبد الرحمن الداخل بقمع الثورات والفتن الداخلية فنشطت[3] للاستيلاء على الأراضي الإسلامية، وتوسيع رقعة بلادها، ولم يكن عبد الرحمن الداخل غافلاً عن هذا الخطر[4].

ولكن سياسة المسلمين كانت بصفة عامة تستجيب لأية يد تمتد لهم بالصداقة والسلام، ولم يحدث أن عبد الرحمن الداخل ولا غيره من الأمراء فاتخذ موقف الهجوم بمعنى العدوان على الفرنجة، وعلى حكام الشمال، بل كان موقفهم دفاعياً دائماً[5] لرد عدوانهم[6]، أو أي عدوان من العرب في الثغر الأعلى، لأن عبد الرحمن الداخل كان واضعاً نصب عينيه، توطيد سلطانه، وإخماد العناصر المتمردة على الحكومة المركزية في البلاد، وبدأت المحاولات الأولى للسلام في الأيام الأخيرة من حكم عبد الرحمن الداخل[7].

وعن هذه العلاقة الدبلوماسية يقول المقري:" وخاطب عبد الرحمن قارلمة ملك الإفرنج، وكان من طغاة الإفرنج، بعد أن تمرس به مدة فأصابه صلب المكر، فمال معه إلى المداراة ودعاه إلى المصاهرة فاستجاب"[8].

وروى الحجي أن عبد الرحمن الداخل وشارلمان كانا في حاجة إلى السلام[9]، ولقدعقدت علاقات صداقة لانشغال عبدالرحمن فترة حكمه التي امتدت ثلاثة وثلاثين عاماً في قمع الثورات الداخلية[10]، والفتن وانشغال شارلمان أيضاً بتدعيم إمبراطوريته، والقضاء على أخطر عدو كان يواجهه، وهم السكسون الذين حاربهم ثلاثين عاماً، حتى أجبرهم على اعتناق المسيحية[11] ويُفهم

(1) شكيب: تاريخ غزوات العرب ،ص117.
(2) طرخان: المسلمون في فرنسا وايطاليا ، ص86.
(3) عنان: دولة الإسلام في الاندلس ،ج1 ، ص212.
(4) المصدر نفسه:ج1، ص186.
(5) المصدر نفسه: ج1،ص185.
(6) المقري: نفح الطيب ،ج1،ص150.
(7) المصدر نفسه: ج1 ،ص155.
(8) المصدر نفسه: ج1 ،ص156.
(9) المقري: نفح الطيب، ج1 ،ص156.
(10) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج6،ص40.
(11) المصدر نفسه:ج6،ص42.

مما ذكره المقري أن معاهدة السلام التي أبرمت بين الطرفين، كانت استجابة من كلا الطرفين، وتم إبرام معاهدة الصداقة بينهم[(1)].

ولكن بعد وفاة عبد الرحمن الداخل تولى الإمارة هشام بن الحكم، وذلك في جمادي الأول عام (171هـ=788م)[(2)]، وعادت دولة الفرنجة تنتهج سياستها اتجاه الأندلس التي سارت عليها من قبل، وهي انتهاز الفرص للنيل من قوة المسلمين في الأندلس، ومحاولة تأليب الثوار الخارجيين[(3)] على سلطة قرطبة في الولايات الشمالية، سواء من المسلمين أو النصارى، وتشجيعهم على مواصلة التحرش بالدولة الإسلامية[(4)].

ولكن هشام كان مثل أبيه يقدر خطورة دسائس الفرنجة(7)، وحرص على مواصلة الجهاد، وإعلاء كلمة الإسلام[(5)]، ونجح في كسر شوكة هذه الإمارات المسيحية (175هـ=791م)[(6)]، وكانت سياسته الداخلية إشغال المسلمين في الأندلس عن الفتن الداخلية، بِحثهم على الجهاد، واسترجاع ما ضاع من البلاد[(7)]، وقامت سياسة هشام على الغزو في جبهتين قتاليتين[(8)].

وواصل جهاده ضد العدو من نصارى الشمال والفرنجة سنة (177هـ= 794م)، وتصدى لهم وغنم مغانم كثيرة[(9)]، وتعد معاركه معهم أهم معارك المسلمين بالأندلس[(10)]، حيث توفى بعد ذلك في صفر سنة (180هـ=796م)[(11)].

والملاحظ مما تقدم أن سياسة السلم التي انتهجها المسلمون لم تدم طويلاً، ليعود الفرنج إلى سياستهم القائمة على العداء للمسلمين، ولكن يبدو أن حكام المسلمين في الأندلس كانوا يقظين لتلك السياسات الخطيرة، واستطاعوا و بالرغم من ضعف الجبهة الداخلية وتفتتها أن يحققوا انتصارات على الفرنجة، بل وأبدعوا في استخدام الدهاء السياسي المتمثل في السيطرة على

---

(1) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،ج6،ص40؛ القلشندي: ج5 ،ص244.

(2) عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج1، ص211.

(3) المصدر نفسه: ج1،ص211.

(4) المصدر نفسه:ج1،ص226.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،ج6،ص44.

(6) عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج1،ص222.

(7) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،ج6،ص53.

(8) المقري: نفح الطيب،ج1،ص158.

(9) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،ج6،ص48.

(10) المصدر نفسه: ص75.

(11) المقري: نفح الطيب ،ج1،ص185.

الخلافات الداخلية، بتوجيه الأنظار إلى العدو الاستراتيجي، وهذا ربما كان سر الانتصارات التي حققها المسلمون في الأندلس في تلك الظروف القاسية.

وتولى الحكم بن هشام الخلافة بعد وفاة أبيه، وسار على نهج أبيه وجده عبد الرحمن الداخل، وحرص على الوحدة القومية للأندلس، وواجه حكمه ثورات العرب والبربر، ولكنه تمكن من القضاء عليها[1]، واتسمت حقبة حكمه بالحروب ضد الفرنجة، حيث استولى على مدينة برشلونة، وحولوا الكنائس إلى جوامع[2]، وبعد حروب طويلة أبرمت هدنة بين المسلمين والفرنج في سنة(195هـ= 810م)[3]، مدة هذه المعاهدة ثلاث سنوات، ولا ندري شيء عن نصوصها، ولكن من أهم نتائجها أن بقي الشمال الأسباني في يدي الفرنج[4]، ولكن الفرنجة اتجهت سياستهم إلى التقرب من العباسيين في بغداد أعداء بني أمية التقليديين، وكانت الزعامة السياسية في العالم مطلع القرن التاسع الميلادي يتقاسمها اثنان هما: شارلمان في الغرب، وهارون الرشيد في الشرق، وليس من شك في أن الرشيد كان الأقوى والأرفع ثقافة[5].

ونشات علاقات ودية بين الرشيد وشارلمان لتحقيق المصالح المتبادلة بين الدولتين، وكان شارلمان قد أراد أن يستعين بالرشيد ضد بيزنطة، حيث أراد أن يبسط نفوذه على النصارى في الشرق، لكي يصبح حامي حمى الديار المقدسة[6]، وأراد هارون الرشيد من هذا التقارب أن يضعف شأن خصومه في الأندلس، بعد أن أخفقت جهوده في القضاء عليهم، وكان يعتقد أن شارلمان يستطيع أن يشغل الأمويين بتهديده المستمر لهم، فلا يتطلعون إلى مزيد من النفوذ في بلاد المغرب[7]. ولم يكن هذا التقارب صدفة، بل كانت له جذوره، إذ حاول شارلمان من قبل أن يحالف أبا جعفر المنصور[8] إنتقاماً من الأمويين في الأندلس فأرسل في سنة (146هـ= 765م) رسلاً إلى بغداد، مكثوا ثلاث سنوات، ثم عادوا إلى فرنسا[9]، ومعهم رسل الخليفة ونزلوا في مرسيليا[10]، وتم استقبالهم بكل حفاوة، وأرسل شارلمان عام (184هـ=801م) وفدا من ثلاثة

---

(1)المقري: نفح الطيب ،ج1، ص185 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2،ص69.

(2) شكيب: تاريخ غزوات العرب ،ص132.

(3) المصدر نفسه: ص142.

(4)العبادي: دراسات في تاريخ الأندلس والمغرب،ص249.

(5) طرخان: المسلمون في فرنسا وإيطاليا،ص104.

(6) حسن: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ص132.

(7) المرجع نفسه: ص164.

(8) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج1،ص168.

(9) المصدر نفسه: ج1،ص168.

(10) شكيب: تاريخ غزوات العرب ،ص119.

رجال أحدهم يهودي اسمه اسحاق[1]، وأمرهم أن يمروا على القدس لتفقد حال النصارى، والتوسط لدى الخليفة لزيارة الحجاج والتجار المسيحيين إلى البقاع المقدسة[2]، واستقبلهم الخليفة بالترحاب، وكتب إليهم يقول إنه يفضل صداقته على جميع ملوك الأرض[3]، ومنحه حق حماية الأماكن المقدسة[4].

وهكذا يتبين أنه كان هذا العهد ما بين الحرب والسلم والمعاهدات القائمة على أساس المصالح بين البلدين، فكانت سياسة المسلمين في الأندلس تقوم على الموازنة بين ضبط الأوضاع الداخلية، والسيطرة عليها، وبين التحديات الخارجية، مثل الفرنجة الطامعين في أرض المسلمين، وبهذا نجد أن علاقات الصداقة تقوم في حقبة معينة نتيجة لظروف يحتاجها الطرفان، ثم ما تلبث أن تعود للعداء بين الطرفين.

وبخصوص النظام السياسي الداخلي كان يتكون من: الإمارة وقد أشرنا إليها سابقاً، حيث كان الأمير هو رأس الدولة، فكانت الإمارة وراثية مستقلة سياسيا عن خلافة المشرق العباسية[5]، و رفض الأمير عبد الرحمن الداخل الخطبة لبني العباس طيلة حياته، وكذلك الأمراء من بعده[6].

الحجابة: وهو منصب إداري وسياسي مشرقي، وكانت مهمة الحاجب إدخال الناس على الخليفة، حسب مقامهم وأهمية أعمالهم[7]، و وجد هذا المنصب منذ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، منذ بداية تأسيس الدولة (138-172هـ=755-788م)، وقلده إلى رجاله المخلصين من أمثال: يوسف بن بخت، وعبد الواحد ابن مغيث الرومي، وغيرهم[8]، والحاجب بمثابة رئيس الوزراء حالياً، و يعد حلقة الوصل بين الأمير الأموي، وبين وزرائه[9]، وكان الأمويون يولون هذا المنصب لأسر معينة مثل: أسرة أبي عبده، وأسرة ابن شهيد وغيرهما، وفي عهد الأمير هشام(172-180هـ=788-796م) تولى الحجابة أبو أمية عبد الغافر بن أبي عبده، وكان حاجب الأمير الحكم بن هشام(180-206هـ=796-821م)أخاه ابا عبيدة عبد العزيز[10]، و

---

(1)شكيب: تاريخ غزوات العرب، ص132.

(2) المصدر نفسه:ص133.

(3) المصدر نفسه:ص134.

(4) فيليب حتى: تاريخ العرب ،ج2،ص370..

(5) ابن الآبار: الحلة السيراء، ج1،ص35،36.

(6) المسعودي: التنبيه والإشراف،ص332.

(7) حسن إبراهيم حسن وآخران: النظم الإسلامية،القاهرة،1962م، ص186.

(8)الدوري: عبد الرحمن الداخل، ص230.

(9)القاسمي: نظام الحكم،ج1،ص450،451.

(10) ابن الآبار: الحلة السيراء،ج2،ص30.

أخبرنا ابن عذارى:" أن حجاب الأمير عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ=821-852م) هما: عيسى بن شهيد، وابن أبي عبده[1]، وتولى عيسى بن الحسن بن أبي عبده الحجابة للأمير محمد (238-273هـ)=(852-886م)، وبعد وفاة الحاجب عيسى بن شهيد، وكان هذا الحاجب رجلاً بسيطاً سليم النية[2]، وكذلك كان مشعل أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن القمر بن أبي عبده حاجب الأمير محمد في عهد والده الأمير عبد الله (275-300هـ=888-912م) ويبدو أن هذا المنصب لا يعطي صلاحيات الحاجب، الذي هو بمثابة رئيس الوزراء، و يعفي الوزير الخاص للأمير الولد في عهد والده، وقد استغنى الأمير عبد الله عن منصب الحجابة في آخر عهده، مكتفياً بوصيفه بدر بن أحمد الصقلي، وهو يعمل على تنظيم أموره[3].

ومن أشهر حجاب الأمير الناصر بدر مولي الأمير الناصر[4].

يتبين لنا أن منصب الحجابة كان له أهمية في عهد الإمارة، ولكن الملاحظ أن الأمير كان يحرص على أن يتسلم هذا المنصب رجال أمناء أوفياء، بحيث يكونون عوناً وسنداً للأمير، وهذا يعني أن الأمراء في الأندلس لم يكونوا يستأثرون بالسلطة كلها في أيديهم، بل كان هناك منصب رئيس الوزراء (الحاجب) الذي ساهم في إعانة الأمير على إدارة البلاد، وهذا يعكس مدى التقدم والإبداع في نظام الحكم في الأندلس، مقارنة بما نحن عليه الآن .

الوزارة: لقد وجد وعرف هذا النظام الوزاري في الأندلس منذ قيام الإمارة الأموية، الوزارة حيث كان لها رئيس للوزراء يسمى الحاجب، وهو بمثابة حلقة الوصل بين الأمير والوزراء، ولم يكن هذا النظام معروفاً في المشرق، حيث كانت السلطة مركزة في يدي وزير واحد، وقلما نجد وزيرين، وفي الأندلس كان لكل ناحية من نواحي الحياة والإدارة العامة وزير يختص بها، وكان لمجلس الوزراء بيت خاص، وهو قصر الإمارة[5].

واستوزر الأمير عبد الرحمن الداخل عدداً من رجاله الأكفاء والأمناء، وكان منهم: أبو عبده حسان بن مالك، وابنه عبد الغافر، وشهيد بن عيسى بن شهيد، وثعلبة بن عبيد الجذامي وغيرهم[6]، وقسم عبد الرحمن الأوسط(206-238هـ=821-852م) نظام الوزراء إلى عدة

(1) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2،ص93.

(2) ابن حيان: المقتبس،ج2،ص25-29.

(3) المصدر نفسه: ج3،ص4.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2،ص158-251.

(5) ابن خلدون: المقدمة ،ص240،239.

(6) ابن عذارى: البيان المغرب،ص48؛ابن الآبار: الحلة السيراء ،ج1،ص246.

وزارات مختلفة كنوع من التعديل، حيث ألزم وزراءه الحضور يومياً إلى بيت الوزارة الذي كان مقره قصر الإمارة، وذلك من أجل مشاورتهم في كل ما يتعلق في أمور الدولة[1].

ومن أشهر وزراء الأمير حسن بن عبد الغافر ابن أبي عبده[2]، و الأمير محمد بن عبد الرحمن (238–273هـ)=(852–886م)، حاجب ابنه هو عيسى ابن شهيد، ومعظم الوزراء الذين كانوا يتولون خدمة أبيه[3].

ووضع الأمير محمد نظاماً جديداً للوزارة يجد فيه الوزراء نوعاً من التعظيم، وقدم الوزراء الشاميين على غيرهم من وزراء البلديين، وأعلاهم في الجلوس على كراسيهم ببيت الوزراء[4]، وفي عهد الأمير عبد الله(275–399هـ=888–1009م) ازداد عدد الوزراء واحتلت أسرة أبي عبده مكانة كبيرة في القصر، حيث تولى خمسة وزراء من أفرادها في آن واحد[5]، و سار الأمير عبد الله على سياسة والده الأمير محمد في الاحتفاء، وتكريم وتقديم الوزراء الشاميين على وزراء البلاد، واجتمع في عهده وزير شامي وهو موسى بن حدير، ووزير بلدي، وهو عيسى بن أحمد بن محمد أبي عبده، فأراد عيسى التقدم على الوزير الشامي معتزاً بمكانة أبيه الوزير القائد أبي العباس صاحب الفضل، في إنقاذ الإمارة من الضياع، ولكن الأمير عبد الله أمر أن يظل الأمر كما رسمه أبوه للوزارة، أي أن يبقى بني حدير متقدمون على بني أبي عبده[6].

من الملاحظ أن السياسة الداخلية للدولة كانت تقوم على أساس نظام محكم، أراد من خلاله الأمراء إشراك الوزراء في الحكم، وتحملهم مسؤولية إدارة الحياة بكافة مناحيها جنباً إلى جنب مع الأمراء، وهذا النظام أقرب ما يكون للإدارة الحديثة للدول التي تقوم بعملية تفويض جزء من سياساتها وإدارتها للبلاد إلى عدد من الأفراد، و الملاحظ أيضاً ارتباط الأمراء بدمشق والشام، حيث بقي أهل هذه البلاد التي مثلت عاصمة الخلافة الأموية يحظون بالتقدير والاحترام، الذي جعل الأمراء وبشكل دائم يقدمون وزراء الشام على غيرهم من وزراء البلاد الأخرى، و يؤكد على عمق الانتماء للأمراء الأمويين الذين أبدعوا هذا النظام السياسي للدولة في ذلك العصر.

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2،ص80.

(2) ابن حيان: المقتبس،ج2،ص29.

(3) عنان: دولة الإسلام،ج1،ص290.

(4) ابن الآبار: الحلة السيراء ، ج1،ص121،120.

(5) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس،ص104؛ ابن حيان: المقتبس،ج3،ص6،5.

(6) ابن الآبار: الحلة السيراء ،ج1،ص120.

المبحث الثاني

الإبداع السياسي في عهد الخلافة لمسلمي الأندلس

كانت العلاقات بين الغرب والمسلمين في الأندلس قائمة ليس فقط على علاقات حربية وعدائية، إنما تخللتها فترات من السلم، وتبادل السفارات السياسية والعلمية بين الطرفين[1]، وكانت سياسة المسلمين في تلك الحقبة الزمنية تميل إلى العلاقات الحربية في الغالب على غيرها من العلاقات الودية في السياسة والتجارة، وأما العلاقات بين المسلمين ومَنْ في الأندلس والممالك النصرانية في الشمال لم تكن إلا جزءاً يسيراً في إطار ما يسمى حالياً بالعلاقات الدولية[2].

ولكن التطور الاقتصادي في عصر الخلافة جعل العديد من الدول والممالك المجاورة تخطب ود حكومة قرطبة، وتطالب عقد معاهدات الصلح، والسلام، والمعونة، والمشورة في حل مشاكلها[3]، وبهذه السياسة المبدعة للمسلمين بلغت دولة الإسلام في الأندلس مكانة الصدارة، في العالمين الإسلامي والمسيحي، لاسيما في عصري الخليفتين عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله، فكثرت الوفود والسفارات من كل ناحية لعقد السلم مع حكومة قرطبة، و كانت الممالك النصرانية في الشمال من أكثر الدول وفوداً لقرطبة بحكم الجوار[4]، ومن ثم توافدت عديد من السفارات على قرطبة من ممالك ليون وقشتالة، وقطلونية تطالب الصلح والسلام، وتعقد المعاهدات، وتوطد الصلات السياسية بينها وبين المسلمين[5]، وبدت قرطبة في أواخر سنوات حكم الخليفة الناصر كأنها قاعدة أساسية للسياسة الدولية في غربي البحر المتوسط، وكانت هذه الوفود التي تأتي إلى قرطبة يرأس بعضها الملوك أنفسهم[6]، و كان الدافع وراء ذلك هو فقدان النصارى التفوق العسكري الذي حصلوا عليه،

---

(1) حلاق: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (الأندلس، صقلية، الشام)،بيروت، الدار الجامعية، 1986م،ص85.

(2) بيضون: الدولة العربية في أسبانيا، بيروت، دار النهضة العربية،ط3،1986م، ص322.

(3) السامرائي، خليل إبراهيم، عبد الواحد ذنون طه: خليفة وناطق صالح مطلوب: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بيروت ،دار الكتب، 2000م، ص178،177.

(4) الحجي، عبد الرحمن: أندلسيات، ص74.

(5) عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية و أسبانيا النصرانية، ص176.

(6) عبد المجيد، نعنعي: تاريخ الدولة الأموية ،بيروت، دار النهضة العربية، 1980م، ص370.

والانقسامات التي جاءت في صفوفهم فمزقت وحدتهم إثر الصراع على وراثة العرش، فتوجهوا لطلب العون والمساعدة من الخليفة الأندلسي[1].

يلاحظ هنا في سياسات الخلفاء المسلمين أنها لم تكن قائمة على الانتهازية كما فعل الفرنجة عندما امتلكوا القوة العسكرية ولم يركنوا إلى السلم إلا بعدما ضعفوا وانقسموا، في الوقت الذي لم يستغل المسلمين في الأندلس ذلك الضعف بل جنحوا للسلم، والتزموا بحسن الجوار، ولم يلتفتوا إلى العدوان والتحريض ضد الممالك النصرانية، يبدو أنه كانت هناك ثقة لدى الفرنجة بالمسلمين جعلتهم يطلبون تدخلهم في حل خلافاتهم ونزاعاتهم، وهذا يؤكد أن المسلمين في الأندلس لم تكن سياستهم في أي وقت هي العدوان، بل كانت لديهم قيم ورسالة سامية يلتزمون بأوامرها ونواهيها في ظروف الحرب والسلم على حد سواء.

وظهرت خلال تلك الحقبة التاريخية، ابتداءً من حكم الخليفة هشام المؤيد، الذي تولى الخلافة سنة (366هـ= 976م) سيطرة الحجاب، ابتداء من أسرة بني عامر، وظهور الدولة العامرية من خلال الحاجب المنصور بن أبي عامر وأولاده من بعده، إذ بدأ يحجب الخليفة، ويسد باب قصره، وأصبح هو الآمر الناهي للخلافة، وسيطر حتى نهاية خلافة هشام ابن الحكم[2] ومع ذلك نستطيع القول إن لقب خليفة استمر في ذرية عبد الرحمن الناصر من بعده حتى سقوط الدولة الأموية في الأندلس عام (422هـ=1031م)[3] وكان نظام الخلافة في الأندلس يقوم على أساس التوريث، ويستند إلى السياسة أولاً، ثم إلى الدين ثانياً، وذلك على عكس الخلافة الراشدة التي قامت على الشورى، فكان الخليفة يعد نفسه أنه يحكم بتفويض من الله كما قال المنصور:" أنا سلطان الله في أرضه "[4].واستمرت الخلافة الأموية في الأندلس تجمع بين السلطتين الزمنية والروحية، إلى أن جاء الحاجب المنصور وأولاده، فانتزعوا منها السلطة الزمنية في عام (366هـ=976م)، واستبدوا بالأمر، وكان من المعروف تاريخياً أن حقبة الحجابة انتهت عام (399هـ=1009م)، وبدأت فتنة الخلافة الأندلسية، وبدأ الصراع بين البربر والصقالبة، وأهل قرطبة[5]،

---

(1) نعنعي: تاريخ الدولة الأموية ، ص3

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج2، ص279.

(3) العبادي: دراسات، ص61.

(4) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس،ص69.

(5) الحميدي: جذوة المقتبس،ص18.

ولكن في عهد الخليفة الناصر (300-350هـ=912-961م) استمرت أسرة أبي عبده تتولى المناصب الوزارية، واعتمد عليها الناصر اعتماداً كبيراً في الشؤون الإدارية والحربية[1] وأُطلق في عهد هذا الخليفة لقب (ذو الوزارتين) على بعض الوزراء و والحجاب في الأندلس، وأطلقه الناصر على وزيره أحمد بن عبد الملك بن شهيد عام (327هـ=939م)[2]، وهو لقب تشريفي مثل لقب ذو السيفين الذي منحه الحكم لقائده غالب بن عبد الرحمن[3]، واستمر لقب الخلافة في ذرية عبد الرحمن الناصر من بعده، حتى سقوط الدولة الأموية في الأندلس عام (422هـ=1031م)[4].

وكان الخليفة الأموي يقدم نفسه للناس على أنه بشر يخطئ و يصيب، وأن الناس أحرار في التقيد به، كما فعل قاضي قرطبة المنذر بن سعيد البلوطي[5]، وكان قد انتقد الخليفة الناصر على الأموال الطائلة التي صرفها في بناء مدينة الزهراء وهو جالس في مسجد الزهراء، وأقسم الخليفة أن لا يصلي وراء هذا القاضي، ولكنه لم يعزله عن الخطبة والقضاء[6].

واختلفت نشأة الخلافة الأندلسية عن الخلافة في الممالك الإسلامية الأخرى، فهي عبارة عن عقد بين الحاكم والمحكوم، في حين قامت الخلافة العباسية على أساس الميراث عن العباس عم الرسول ونسبه إليه (صلى الله عليه وسلم)، وقامت الخلافة الفاطمية على الحق الطبيعي الموروث الذي جاء عن طريق فاطمة الزهراء[7] وانتهت فترة الحجابة عام(399هـ=1009م)، وبدأت فتنة الخلافة الأندلسية، وتسمى الفتنة المبرة (399-422هـ=1009-1031م)، وكانت مليئة بالفتن والاضطرابات، وتصارع خلالها عناصر البربر والصقالبة، وأهل قرطبة[8].

وعلى الرغم من ذلك تمكن الخليفة عبد الرحمن الناصر من توحيد بلاد الأندلس، وقضى على عوامل الفتنة والتمرد في شمال الأندلس، وفي مقدمتها مملكة ليون أولى هذه الممالك، وعلى أمراء الفتنة[9].

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2،ص156-164.

(2) المقري: نفح الطيب ،ج1،ص333،334.

(3) سالم: دراسات ،ص148.

(4) العبادي: دراسات ،ص61.

(5) النباهي: تاريخ قضاة الأندلس ،ص69،70.

(6) العبادي: دراسات، ص63.

(7) المصدر نفسه: ص381.

(8) الحميدي: جذوة المقتبس،ص18.

(9) بيضون: الدولة العربية في أسبانيا،ص311.

وتبقى سياسة الأمراء عندما طلب الملك (الليوني راميروا الثاني) الصلح مع الخليفة الناصر سنة (323هـ=934م)، وتردد رسله على الخليفة في العاصمة قرطبة، فبعث الخليفة الوزير يحيىبن إسحاق إلى العاصمة الليونية لإملاء شروط الخليفة عليهم، فوافق ملك ليون على شروط الصلح، وبعث الملك راميروا رجاله، يوم الثلاثاء منتصف شهر ربيع الآخر من سنة (323هـ=934م) في العاصمة قرطبة، وأقيمت الاحتفالات بقرطبة، وكان من أهم شروط الصلح: أن يقاطع الملك راميروا الثاني المارق محمد بن هاشم النجيبي حاكم مدينة سرقسطة(1).

غير أن الملك راميروا الثاني نقض عهده مع الخليفة الناصر في شهر رمضان من سنة (324هـ–935م) عندما استجار به محمد بن هاشم ضد الخليفة(2)، مما أغضب الخليفة، بعد ذلك ترددت في سنة (328هـ = 939م) كتب الملك راميروا الثاني لطلب السلم والهدنة، إلا أن ذلك تم رفضه، مما أغضب الملك راميروا(3).

وذكر عبيد الله بن يحيى بن إدريس تردد رسول راميروا الثاني بقرطبة طالباً السلم(4)، وفي شهر جمادى الآخر من سنة(329هـ = 940م) أرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر كاتبه حسداي بن شبروط اليهودي إلى مملكة ليون لإتمام الصلح مع الملك راميروا الثاني، ولإطلاق سراح محمد بن هاشم النجيبي حاكم مدينة سرقسطة الذي كان قد وقع في أسر راميروا الثاني في موقعة الخندق(327هـ=938م) ولكنه لم يستجب، فبعث محمد بن هاشم النجيبي كتاباً إلى الخليفة الناصر يطلب منه أن يرسل كبار أساقفة أهل الذمة في الأندلس للاستيثاق له من الملك راميروا في فدائه، فبعث إليه الخليفة هؤلاء الأساقفة(5)،

عبد الملك بن حسان أسقف مدينة البيرة في منتصف شهر شعبان من السنة نفسها، وعدداً آخر من الأساقفة(6)، وتم الصلح في شهر ذي القعدة من السنة نفسها (329هـ= 940م) بين الخليفة الناصر والملك راميروا الثاني(7)، غير أن الملك راميروا نقض هذا الصلح عندما علم بظهور الأتراك بثغر لاردة سنة (330هـ=941م)مستغلاً فرصة اضطراب أحوال المسلمين، حيث تحالف

---

(1) ابن حيان : المقتبس ،ج5،ص365.
(2) المصدر نفسه :ج5 ،ص379.
(3) المصدر نفسه:ج5،ص457،458.
(4) المصدر نفسه،ج5،ص458.
(5) المصدر نفسه: ج5 ،ص467.
(6) المصدر نفسه ،ج5،ص365.
(7) المصدر نفسه: ص368

مع فرنان جونثالث كونت قشتالة، وغرسيه سانشيز الأول ملك نافر على حرب المسلمين، ولكن هذه المعركة انتهت بانتصار المسلمين على النصارى[1].

ومات ملك ليون راميروا الثاني سنة (339هـ=950م)، ونشبت الحرب الأهلية في مملكة ليون بين ابنيه سانشو واور دونيو، وانتهت بانتصار الأخير، فبعث هذا سنة(344هـ=905م) رسولاً إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر، يطلب السلم منه[2] ذلك أن الخليفة عبد الرحمن الناصر استغل فرصة هذه الحرب الأهلية وأخذ يجدد الغزوات في أراضي مملكة ليون[3]، إضافة إلى تمرد نبلاء مقاطعة جليقية عليه وانشغاله بقمع ثوراته، فخشي هذا قيام ثورات أخرى ضده في المملكة[4]، فنزل الخليفة عبد الرحمن عند طلبه للصلح[5]، وأرسل إليه في السنة الثانية أي سنة (345هـ=956م) محمد بن حسين، وحسداي بن شبروط[6]، فعادا إلى قرطبة بكتاب من الملك أردونيوا الثالث إلى الخليفة الناصر يتضمن شروط الصلح، وكان من أهم بنودها[7]:

1- أن يسلم الملك أروردونيوا الثالث إلى الخليفة الناصر عدداً كبيراً من الحصون الواقعة على الحدود مع المسلمين، وأن يهدم عدداً آخر منها[8].

2- طلب الملك من الخليفة إدخال كونت قشتالة فرنان جونثالث في هذا الصلح[9].

فعقد الخليفة الصلح مع الملك أوردونيوا الثالث بموافقة ابنه الحاكم، ثم عاد رسل الملك اوردونيوا إلى بلادهم[10]، وأبدا الخليفة الناصر لينا اتجاه الملك الليوني؛ لكي يتفرغ لمواجهة الخطر العبيدي في أفريقيا (تونس)[11]، ولذلك كانت المعاهدة تفيد الطرفين الإسلامي و النصراني، إذ أراد الملك أردونيوا الثالث أن يتفرغ لتنظيم شؤون مملكته[12]، ولكن بعد وفاة الملك أوردونيوا

---

(1)ابن حيان : المقتبس ، ص484

(2) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر،ج2،ص310.

(3) عنان: دولة الإسلام، ص45.

(4) المصدر نفسه: ص101.

(5) دوزي: المسلمين في الأندلس، ص45.

(6) بروفنساي: تاريخ أسبانيا الإسلامية، ص357.

(7) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج2، ص231.

(8) بروفنساي: تاريخ أسبانيا الإسلامية،ص357.

(9) إبن خلدون: العبر،ص310.

(10) ابن عذارى: البيان المغرب،ص231.

(11) الحجي: اندلسيات ،ص77.

(12) المصدر نفسه : ص77.

الثالث سنة (346هـ=957م)[1]، أعقبه أخوه سانشو الذي رفض تنفيذ الاتفاق، فاضطر الخليفة لإعلان الحرب ضده[2]، ولكن وبعد أن غزا المسلمون مملكة ليون وهزموهم، وعادوا بأربعة مائة رأس من نصاراها، وعدد كبير من الغنائم[3].

اضطر سانشو إلى طلب السلم، وعادوا إلى الاتفاق المبرم بين أخيه أوردينيو والخليفة الناصر، وساد السلم بين الخلافة الأموية، ومملكة ليون خلال هذه الحقبة[4]، وبعد وفاة الخليفة الناصر سنة (350هـ=961م) لم ينفذ ملك ليون وبافر سانشو الأول شروط الاتفاق مع الخليفة الناصر[5]، بل رأى في وفاته فرصة للتنصل من الاتفاق، لاسيما وأن ابنه الخليفة الحكم الثاني كان يميل إلى السلم والموادعة أكثر من الحرب[6]، وعلى ذلك اعتقد أن هذا الخليفة لن يكترث لتنفيذ اتفاق عقده مع والده[7].

نلاحظ أن العلاقات السياسية بين المسلمين ومملكة ليون خلال فترة حجابة المنصور لم تفد سفارات كثيرة من قبل ملوك الممالك النصرانية في شمال الأندلس؛ لأن الحروب في هذه الحقبة التاريخية كانت طاغية على هذه العلاقات، ولم يحدث بينهما سلم أو صلح لحقبة طويلة[8]،

وكذلك كانت العلاقات السياسية بين العرب وكوتيه قشتالة قائمة على أساس الشك والخوف والريبة من الآخر، كما طغت عليها علاقة الحروب والغزوات[9].

وعقدت عدة اتفاقيات بين الخليفة وبين النصارى ومنها اتفاق بين الخليفة الناصر والكونت فرنان جونثالث سنة(347هـ= 958م)[10]، واضطر الكونت فرنان إلى طلب الصلح مع الخليفة الحكم

---

(1) دوزي، ريزت: المسلمون في الأندلس ، تعريب: حسن حبش، القاهرة، الهيئة العربية للكتاب،ص46.

(2) عنان: دولة الإسلام ،ص101.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب ، ج2، ص221.

(4) عنان: دولة الإسلام، ص102.

(5) بروفنساي: تاريخ أإسبانيا، ص434.

(6) المصدر نفسه : ص434.

(7) دوزي: المسلمون في الأندلس، ص61.

(8) بروفنساي: تاريخ أسبانيا، ص469.

(9) ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص220.

(10) دوزيي : المسلمون في الأندلس ، ص45.

الثـاني المستنصـر بـالله[1] عنـدما غـزا الخليفـة الحكـم أراضـي كونتيـه قشـتاله فـي صـيف سنة(352هـ=963م)[2]، غير أن الكونت القشتالي نكث الصلح قبل أن ينعقد[3].

وفي سنة(363هـ=973م) أرسل كونت قشتالة غارس فرنانديث سفارة إلى قرطبة[4]، ولكن منهجه و سياسته كسياسة أبيه، تقوم على المخادعة في إظهار أن نيته مهادنة الخليفة المسلم، بينما يقوم في الوقت نفسه بشن هجمات على الأراضي الإسلامية كلما أتيحت له الفرصة[5].

وكذلك كانت سياسة العرب وكونتيه قطلونية التي تميزت بالحروب، وإراقة الدماء[6]، ولكن في عهد سنيير الذي أراد السلم مع الخليفة الناصر، حيث وفر الخليفة له الحماية وأمنه وسالمه[7]، وكذلك فعل مع الكونت بوريل الثاني ابن سنيير، وكونت قطالونية، وقد قدم إلى الخليفة بعشرين رجلاً من كبار رجال الكونت بوريل، وأتباعهم، وبصحبتهم رسول غيتار نائب الكونت بوريل على مدينة برشلونة في ثلاثة رجال بكتاب غيتار إلى الخليفة الحكم[8]، فأمر الخليفة بحسن استقبال الوفد وإكرام منزلهم[9]،

ثم قدموا بهم إلى مجلس الخليفة، وهم يحملون هدية الكونت بوريل إلى الخليفة الحكم، وكانت عبارة عن ثلاثين أسيراً من المسلمين، بين رجل وامرأة وطفل[10]، وعشرين صبياً من الخصيان الصقالبة[11]، وعشرين قنطاراً من الصوف، وخمسة قناطير من القصدير وغيرها[12]، ودخلوا على الخليفة فعقد معهم السلم[13].

يتبين لنا أن العلاقة التي كانت سائدة طوال فترة الخلافة وخصوصا في عهد الخليفة الحكم كانت تقوم على الحروب التي عادة ما تتلوها معاهدات سلام بين الطرفين، ولكن تلك المعاهدات كان

---

(1) بروفنساي: تاريخ أسبانيا ، ص436.
(2) المصدر نفسه: ص436.
(3) المصدر نفسه: ص436.
(4) المصدر نفسه: ص437.
(5) الحجي: أندلسيات ، ص103.
(6) ابن حيان: المقتبس ،ج5،ص454.
(7) المصدر نفسه:ج5،ص469.
(8) المصدر نفسه:ج5،ص469.
(9) المصدر نفسه :ج5،ص469..
(10) ابن حيان: المقتبس،ص22.
(11) المصدر نفسه: ص22.
(12) الشنتيري: ج1،ص65.
(13) ابن عذارى: البيان المغرب،ج3، ص93.

يتم نقضها بين فترة وأخرى محاولة لاستغلال واضح لظروف المسلمين الصعبة، بينما لو نظرنا إلى سياسات المسلمين الثابتة، القائمة على أساس العقيدة والأخلاق سنجد الفرق الواضح بينهما، حيث إنه لم يُسجل على المسلمين البدء في خرق أي معاهدة أو هدنة، أو التنكر لها علماً أن هناك ظروفاً كانت صعبة وقاسية في بعض الاوقات لدى الطرف الآخر، هذه الانتهازية لم يتعامل معها المسلمين، بل ثبتوا على مبدأ التمسك بالعهود والمواثيق التي وقعوها دائما، وهنا يظهر الإبداع في السياسة القائمة على تحقيق مصلحة المسلمين من جهة، وتجنبهم الحروب والويلات كلما أمكن ذلك عن طريق القبول بالسلم من جهة ثانية، وربما بفضل تلك السياسات زادت ثقة أعداء المسلمين أكثر بهم بعد أن عرفوهم في الحرب والسلم .

وكان آخر عهود الخلافة في سنة(393هـ = 1002م) أن رضخ كونت قطلونيا رامون بوريل الثالث إلى طلب عقد السلم والهدنة مع الحاجب عبد الملك المظفر إثر غزوة الحاجب عبد الملك لأراضي كونتيه قطلونية، ووقع الصلح وعقد السلم[(1)] يوم استقبال هذا الرسول القطلوني آخر أيام الاحتفال بالزينة بقرطبة، إذ لم تمضِ بضع سنوات بعد ذلك حتى سقطت الأسرة العامرية، ودخلت الأندلس في فترة الفتنة التي انتهت بسقوط الخلافة العربية الإسلامية بالأندلس، حيث انقلبت موازين القوى فأصبحت تفد السفارات والرسل من حاضرة المسلمين إلى البلاط النصرانية بعد أن كان العكس في فترة قوة الخلافة[(2)].

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، ص315.

(2) ابن حيان: المقتبس، ص22

المبحث الثالث

الإبداع الإداري في عهدي الإمارة والخلافة لمسلمي الأندلس

أولاً: الإبداع الإداري في عهد الإمارة:

ظلت كلمة أندلس تعني أراضي الدولة الإسلامية في شبه جزيرة أيبيريا، في بادئ الأمر، وأطلقت على شبه الجزيرة كلها، على اعتبار أنها كانت في يد المسلمين، وأخذ مدلولها الجغرافي يقل شيئاً فشيئاً تبعاً للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الإسلامية في أسبانيا حتى اقتصر الاسم أخيراً على مملكة غرناطة، وهي آخر مملكة عربية إسلامية في جنوب شرق أسبانيا[1]، وساعد التداخل بين المسلمين والنصارى في الأندلس بأن جعلها تتأثر بمؤثرات محلية أوربية بحكم البيئة التي نشأت فيها[2]، لذلك إذا نظرنا إلى التقسيم الإداري بعد الفتح الإسلامي للأندلس نجد أن الأندلس كانت مقسمة تقسيماً إدارياً محكماً، وأن ولاة المسلمين لم يجدوا صعوبة في إدارتها، أو جباية خراجها، أو الدفاع عنها، مما يدل على إحكام النظام الإداري والدفاعي الحربي منذ أيام الرومان والقوط، فأقروه وعملوا به[3].

وتطور النظام الإداري في عصر الإمارة(138-316هـ=755-928م)، حيث أصبحت الأندلس إمارة مستقلة قاعدتها قرطبة، وتولى أمرها الداخل، وذريته من بعده، واعتمد الداخل والأمراء من بعده في إدارة الثغور والولايات والكور على جماعة ممتازة من الأعوان المخلصين، ومن أفراد البيت الحاكم، وأسر أخرى اشتهرت في الأندلس مثل أسرة عبد ربه، وأسرة بن شهيد، ومغيث الرومي وغيرهم[4] وخلال عصر الإمارة أبدعوا في إدارة البلاد، حيث أضافوا إليها ظواهر للنظام الإداري، فقد فقدت الاندلس ولاية هامة، وهي أربونة، حيث استرجعتها فرنسا لها، كما سيطرت على مدينة برشلونة عام(185هـ=801م)، وأصبحت حاجزاً بين المسلمين في الأندلس وبلاد فرنسا، ولم يستطع المسلمون استرجاع تلك المدن[5]،

---

(1) العبادي، أحمد مختار: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس ،منشاة المعارف بالإسكندرية، جلال حربي وشركاه ، 2000م، ص12.

(2) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص153.

(3) المصدر نفسه: ص154 .

(4) مؤلف مجهول: فتح الأندلس، ص67؛ ابن خلدون: تاريخ ،ج4،ص135.

(5) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب ،تح: مفيد قمحية وآخرون، بيروت، دار الكتاب العلمية ط1، 2004م، ج22،ص21.

وعمل الأندلسيون إمارات أندلسية مقابلة للإمارات الأسبانية التي سميت بالثغور مقابل الإمارات الإسبانية[1]، مثل الثغر الأعلى، ويشمل ولاية سرقسطة، وأعمالها، ويواجه هذا الثغر المارك الأسباني وإمارة النافار، والثغر الأوسط يشمل طليطلة، وقاعدته مدينة سالم، ويواجه هذا الثغر مدينة ليون بالدرجة الأولى أو الثغر الأدنى، ليصبح مدلول مصطلح الثغور في الجغرافيا الأندلسية يعني هذه الثغور الثلاثة[2].

ويبدو أن أهمية هذه الثغور أصبحت تمثل المراكز المهمة التي تنطلق منها الجيوش لمواجهة الإمارات الأسبانية التي ظهرت في الشمال، أو حركات التمرد ضد حكومة الإمارة في قرطبة.

وكان لفتح الجزائر الشرقية عام (290هـ=903م) بقيادة عصام الخولاني في عهد الأمير عبد الله(275-300هـ=888-912م) أثر مهم، حيث أصبحت الجزائر تابعة إدارياً إلى الأندلس، وعين عصام الخولاني أول عامل أندلسي عليها[3] وأصيب النظام الإداري بالارتباك، خلال عصر الأمير عبد الله، نظرا لقيام حركات التمرد في سائر أنحاء الأندلس، ولم يبق لحكومة الإمارة في قرطبة سلطان حقيقي، إلا في منطقة العاصمة وأحوازها[4]، وقد بذل هذا الأمير قصارى جهده من أجل إعادة سلطان قرطبة على الولايات، وكذلك فعل الأمير عبد الرحمن الناصر(300-316هـ=912-928م) قبل أن يعلن الخلافة الأندلسية، حيث بدأ عصره بقمع هذه الفتن، وسار بنفسه يعاونه خيرة قواده في إخماد حركات التمرد، وأفلح في ذلك بعد جهاد كبير[5]، وكما يبدو أن ارتباط مدن الثغور بقواعدها وتجاورها ببعضها مع بعض في خطوط دفاعية قد ساعد على انهيار تلك الخطوط عقب سقوط قواعدها الرئيسة[6].

لهذا كانت كل من سرقسطة وطليطلة وقرطبة هي المدن الأهم في شبه جزيرة أيبيريا خلال عصورها الرومانية والقوطية والإسلامية؛ لأن كلاً منها كانت بمثابة رأس جسر لمن يريد عبور الأبروا أو التاجو، أو الوادي الكبير.

---

(1) ابن بشكوال: الصلة،ج1،ص14 .

(2) ابن خلدون: العبر ،ج4، ص164.

(3) عنان: دولة الإسلام ،ج1،ص323.

(4) نهلة شهاب أحمد: أسرة ابي عبده ودورها في تاريخ الأندلس، ص24 .

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4،ص118.

(6)مؤنس: فجر الأندلس، ص136.

ولصعوبة التقسيم الإداري في الأندلس ورد الكثير عن المؤرخين، أن الأندلس كانت جزيرة معزولة، وكان المسلمون فيها كأنهم الأيتام على موائد اللئام، وهكذا وصفها طارق بن زياد حين فتحها[1]، ولذلك استمرت فكرة الجهاد في أذهان المسلمين، لشعورهم بالغربة والعزلة في هذه الجزيرة[2]، أما على صعيد الإدارة من الداخل، فكان هناك نظام الشرطة الذي بدأ منذ عصر الأمير عبد الرحمن الداخل(138-172هـ=755-788م)، بعدما شعر بخطر اليمانية عليه، بعد الانتصار في معركة المصارة[3]، وأسندت إدارة الشرطة إلى عبد الرحمن بن نعيم، ومن بعده للحصين بن الدجن العقيلي[4]، وأول من تولى قيادة الشرطة من أسرة أبي عبده، هو عبد الغافر بن أبي عبده، حيث ولاها للأمير هشام(172-180هـ=788-796م)[5]، وكانت الشرطة تقوم بولاية المدينة وإدارتها، حيث تقرر لواليها راتبا شهريا قدره ثلاثين دينار، ولوالي المدينة مائة دينار[6]، وكان صاحب المدينة يشرف على الخدمات العامة في العاصمة، ويديرها إضافة إلى ولاية الشرطة العليا[7]، ولقد قسمت ولاية الشرطة إداريا إلى قسمين: ولاية الشرطة العليا، وجعل لصاحبها الحكم على أهل المراتب السلطانية، والضرب على أيديهم في المظلمات، وعلى أيدي أقربائهم من أهل الجاه، وجعل لصاحبها كرسيا بباب دار الإمارة لتنفيذ أوامر الأمير، والثانية: ولاية الشرطة الصغرى، وهي لعامة الناس[8].

ولقد استحدثت منصب ولاية الشرطة الوسطى التي أعطيت إلى سعيد بن سعيد ابن حدير[9]، وفي عهد الأمير عبد الله(275-300هـ=888-912م) تولى ولاية الشرطة العليا صاحب المدينة أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبده، ومحمد العز بن أبي عبده[10]،

وكما قال ابن حيان نجد أن صاحب المدينة يعمل مستقلا عن صاحب الشرطة، ففي أحداث عام(361هـ=972م)، نظر الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان مع صاحب

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب،ج3،ص208.

(2) ابن خفاجة، أبو إسحق إبراهيم بن خفاجة: ديوان ابن خفاجة، تح: السيد مصطفى غازي، الإسكندرية ، دار المعارف 1960م، ص364.

(3) الدوري: عبد الرحمن الداخل ، ص251.

(4) ابن الآبار: الحلة السيراء ،ج2،ص355.

(5) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2،ص61.

(6) خلاف صاحب الشرطة ، ص63.

(7) ابن خلدون: المقدمة ،ص251.

(8) خلاف صاحب الشرطة ، ص251.

(9) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2،ص202.

(10) ابن الآبار: الحلة السيراء ،ج1،ص146.

الشرطة، والسوق أحمد بن نصر، فيما عهد له الخليفة المستنصر بالله[1]، وأعطيت لصاحب الشرطة، كمركز إداري هام صلاحيات واسعة في الأندلس، قد تصل إلى تنفيذ حكم الإعدام دون الرجوع إلى الحاكم[2].

يتبين لنا أن النظام الإداري في عهد الإمارة تميز بقدرة الأمراء على السيطرة على ثغور البلاد وحدودها، وحمايتها من العدو الخارجي في تلك المنطقة المعزولة، التي كانت تعاني من حصارها من الأعداء في كل الاتجاهات، وربما كان هذا حافزا للمسلمين لكي يبقوا يقظين في مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية، فلولا هذا التقسيم الإداري المحكم للبلاد، والذي ورثوه عن أهل هذه البلاد منذ عهود طويلة، لما استطاع الاندلسيون الدفاع عن وجودهم في تلك البلاد، وكذلك على صعيد إدارة البلاد من الداخل، أبدع الأندلسيون جهاز الشرطة الذي أدى مهام واسعة، واكتسب صلاحيات إدارية لحفظ الأمن والنظام الداخلي، والقيام بمهام أخرى، والذي أخذ شكلا راقيا في تلك المرحلة التاريخية، فهو الجهاز الإداري والتنفيذي للقضاء والأحكام، والملاحظ أنه لم يكن هناك فصل بين جهاز القضاء والشرطة بالمعنى المعاصر، والدليل على ذلك أن الشرطة كانت تنفذ أحكام دون أن تعود إلى الأمير أو الحاكم، ومنها أحكام بالإعدام، وهكذا باتت الحياة الإدارية تنهض وتتطور شيء فشيء في الأندلس.

وكان هناك من النظم الإدارية هو نظام الحسبة، حيث كان المحتسب في الأندلس يتصف بالورع والتقوى والعلم والمعرفة، كما يجب أن يكون رجل بالغ من وجهاء المسلمين، ويكون له رأي وصرامة، وأن يتصف بالعفة والفطنة ولا يرتشي[3]، وكان من أهم واجباته، هو تفقد السوق، ومراقبة المكاييل والموازين، وأن يتأكد من دقتها، ويراقب أساليب الغش والتدليس الذي يمارسه أصحاب الحرف المختلفة، وعليه أن يحافظ على استقرار الأسعار في السوق، وخاصة السلع الاستهلاكية الضرورية، التي تشكل ضرورة يومية للناس[4] من خلال تدخله في عملية التسعير،

---

(1) ابن حيان: المقتبس ، ص66.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج3،ص54.

(3) ابن الاخوة، محمد بن شريف القريشي: معالم القربة في أخبار الحسبة تح: روبن ليون: كمبردج، دار الفنون ،د.ط،1937م، ص7.

(4) ابن عمر، أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الكناني: أحكام السوق، تح: حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع ، 1975م، ص32-40؛ ابن عبدون ، محمد بن أحمد النجيبي: رسالة في القضاء والحسبة، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ،تح: ليفي بروفنسال، القاهرة ،1955م، ص39-43.

التي غالبا ما تتم وفق أسس قانونية واقتصادية ترضي الجميع[1] والحرص على نظافة السوق، فيلزم أصحاب المهن بوجوب المحافظة على نظافة سوقهم وأوانيهم التي يستخدمونها[2]، وأن يجعل لكل طائفة سوقا خاصة بها[3]، وأن يجعل لكل طائفة رئيس يسمى بالأمين، كأمين الجزار وأمين دار الطراز وغيرهما[4]، ومن واجباته أيضا مراقبة العبادات، أي أن يأمر أهل الصناعات، أن يتخذوا مؤذنا يشعرهم بوقت الصلاة[5].

واهتم الخلفاء الأمويون في الأندلس بتنظيم الأسواق على التخصص الحرفي، بهدف تسهيل عملية الرقابة والإشراف على الأسواق، فضلا عن إثارة روح التنافس بين أصحاب الحرفة الواحدة، حتى تضمن الدقة والجودة في الصناعة[6]، كذلك وضع رجل أمين لكل حرفة يشترط فيه الأمانة، وأن يكون عارفا وخبيرا بالجيد والرديء من حرفته، مشهور بالثقة والأمانة[7]، إن مهمة المحتسب تأتي من حيث الأهمية بعد القضاء[8].

و تم الجمع بين وظيفتي الحسبة وصاحب الشرطة، وجعلها بيد شخص واحد، مثلما تولى أحمد بن نصر من أهل قرطبة ولاية السوق والشرطة في عهد المستنصر، وكذلك أحمد بن يوسف الجذامي تولى الشرطة والسوق في عهد هشام المؤيد[9].

وهكذا نلاحظ مدى اهتمام الأمويين بتنظيم الأسواق وترتيبها، على أساس التخصص الحرفي، ففي سنة (334هـ=945م)أنشا الخليفة عبد الرحمن الناصر داراً لصناعة السفن في مدينة المرية،

---

(1) ابن عبد الرؤوف: أحمد بن عبد الله: رسالة في أدب الحسبة والمحتسب ،تح: ليفي بروفنسال، منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، القاهرة، 1955م، ص89.

(2) ابن تيمية، تقي الدين أحمد،: الحسبة في الإسلام ،بيروت، دار الفكر ، د.ت، ص12-21.

(3) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة ، ص43.

(4) ابن عبد الرؤوف: في آداب الحسبة، ص93.

(5) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة ، ص23.

(6) مؤنس: فجر الإسلام، ص414.

(7) المجليدي، أحمد بن سعيد: التيسير في أحكام التسعير ،تح: لقبال موسى، الجزائر ،1981م، ص55-56.

(8) الجرسيفي، عمر بنت عثمان بن عباس: رسالة في الحسبة ، تح: ليفي بروفنسال ،نشر ضمن عنوان ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ،،1955م، ص119.

(9) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، القاهرة ،نشر، عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني،1988م، ج1،ص16.

وجعلها قسمين، قسماً للمراكب الحربية والآلة والعدة، وقسماً للقيسارية، وفي هذا الأخير نظم وقوانين الصناع على أساس التخصص، فقد رتب كل صناعة حسب ما يشكل لها[1].

ثانياً: الإبداع الإداري في عهد الخلافة:

كان للقضاء على حركات التمرد السبب الأساسي والمباشر الذي دفع الأمير عبد الرحمن الناصر (300-316هـ=912- 928م) لإعلان الخلافة[2]، ويبدو أنه خلال عصر الخلافة في الأندلس سنة (316-422هـ=928-1031م) كان النظام الإداري هو استمرار لذات النظام في عهد الإمارة، ولكن ما أضافه وأبدعه الأندلسيون على الإدارة في هذه المرحلة، هو استحداث إمارة الثغور، والتي كانت بشكل مستقل، ولقد أعطيت إمارة الثغر الأعلى أهمية كبيرة[3].

ولكن الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في عهد الخليفة الناصر أمام جيوش مملكة ليون الأسبانية عام (327هـ=999م) في معركة الخندق[4]، جعلت الخليفة الناصر يولي اهتمامه بالثغور الأندلسية، واستمر في إعطاء إدارتها إلى الأسر المتنفذة فيها مثل: أسرة بني ذي النون، وبني الطويل، وبني رزين، وكان يغدق عليهم الصلات والهدايا، ويزودهم كل عام بالسلاح والمدد من أجل تشجيعهم، ولكي يستمروا في الدفاع عن البلاد في وجه ممالك الأسبان[5].

وفي عام (335هـ=946م) أراد الناصر بل واهتم بتحديد مدينة سالم، والتي تقع في أقصى مدن الأندلس الشمالية الغربية على الحدود مع مملكة ليون الأسبانية، وكذلك أراد تحصينها وزودها بالعتاد والسلاح والعدد والرجال، وكل ما يلزم لحمايتها وتعزيز صمودها، حيث أن الأسبان كانوا بشكل دائم يستهدفون تلك المدينة الحدودية، محاولة منهم اختراق حصون ودفاعات المسلمين، ولقد عمدوا إلى تخريبها جراء الغزوات المتتالية من قبل الأسبان[6].

وهنا يتضح حجم الأخطار التي كان المسلمون في الأندلس يستشعرون بها، لذلك كانت الثغور والمناطق الحدودية في أولوية عملهم واهتمامهم، وهذا يدل على تطور في الفكر الإداري العسكري لدى المسلمين في الأندلس، لذلك نجد التطوير والتجديد والتمويل جله يذهب إلى تلك المناطق، التي تعد بوابة الأمن والأمان للحكم في الأندلس.

---

(1) العذري، أبو العباس أحمد بن محمد بن انس المعروف بابن الدلائي: ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تح: عبد العزيز الأهواني، مدريد، مطبعة ومعهد الدراسات الإسلامية، 1965م، ص86.

(2) العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، دار النهضة العربية،1971م،ص380.

(3) الحجي: التاريخ الأندلسي ، ص315.

(4) ابن الخطيب: أعمال الإعلام،ص36؛ مجهول: أخبار مجموعة ،ص156.

(5) عنان: دولة الإسلام ،ج2،ص421.

(6) الحجي: التاريخ الأندلسي،ص304

واستفاد الخليفة عبد الرحمن الناصر من السير على خطى جده عبد الرحمن الداخل، في الخوف من القبائل العربية، ولذلك أقصى زعمائها عن مناصب النفوذ والإدارة في البلاد، وعهد الخليفة الناصر بهذه المناصب المهمة إلى الموالي والصقالبة[1]، ونجد أن عهد التميز والإبداع في ولاية الخليفة الحكم المستنصر (350-366هـ=961-976م) أنه اعتمد على خيرة الرجال في الإدارة والجيش، سواء أكانوا من العرب أو من البرر، ويأتي في مقدمتهم الحاجب المنصور، والحاجب جعفر بن عثمان المصحفي، وكذلك كان القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري والي مدينة سالم، من أهم رجالات الحكم، ولذلك قلده الخليفة الحكم سيفين مذهبين، من ذخائر سيوفه وسماه (ذا السيفين)[2]، ولقد اعتمد الحاجب المنصور على نظام إداري متين، وهذا هو الذي مكنه من مواصلة الجهاد المستمر للممالك الأسبانية، والإنتصار عليها دائما، ولذا وصف بمواصلته الحزم والحذر، وكان دائم السهر لمراقبة أحوال البلاد[3].

وعلى صعيد الإدارة في الداخل، فقد لعب جهاز الشرطة دوراً مهماً في ذلك، حيث أشارت الروايات إلى أن صاحب الشرطة لم يقم بأعماله الإدارية والتنفيذية فحسب، بل كلف بأعمال أخرى خارج إطار اختصاصه، ومن هذه الأعمال: كما فعل صاحب الشرطة أحمد بن نصر، أنه شارك مع غيره في تشييد محراب المسجد الجامع، على عهد الخليفة الحكم المستنصر [4].وكان الخليفة المستنصر قد أعطاه ولاية السوق، وكلفه بتوسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة لضيقها، وهدم الحوانيت من أجل التوسيع، وكذلك بنقل دار البرد من غربي قرطبة إلى دار الزوامل، التي بالمصارة من طرف قرطبة، وكلفها أيضا بقضاء كورة جيان[5]، وكذلك شارك أصحاب الشرطة في معارك وعمليات جهاد في عصر الحكم المستنصر، حيث خرجوا عام (364هـ=957م) مع جيوش الصائفة[6]، بل كان أحيانا صاحب الشرطة هو قائد الجيش في بعض الولايات الأندلسية، حيث يكلفه الخليفة في بعض المهام، كما هو حال صاحب الشرطة العليا وقائد بلنسية وطرطوشة هشام بن محمد بن عثمان[7].

---

(1) عنان: دولة الإسلام، ج2،ص450.

(2) ابن حيان: المقتبس ، ص236.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ،ص58-75.

(4) ابن الفرضي: تاريخ الإسلام،ص167.

(5) ابن حيان: المقتبس،ص66-71.

(6) المصدر نفسه:ص216.

(7)ابن حيان: المقتبس، ص47.

وأعطى الخليفة الحكم في عام(361هـ=972م) الشرطة الوسطى لمحمد بن أبي عامر، وجعله أيضا قاضي القضاة[1]، وكان الخليفة الحكم يعهد لصاحب الشرطة والسوق بأعمال البر، كتوزيع الأموال على الفقراء والمساكين[2].

وكان صاحب الشرطة قد مارس بعض الأعمال الدبلوماسية، ففي عام(360هـ=971م) كلف الخليفة الحكم صاحب الشرطة هشام بن محمد بن عثمان، وقائد طرطوشة وبلنسيا أن يصحب الوفود الأسبانية الوافدة إلى العاصمة، و كان ذلك لقرب منطقة عمله من الممالك الأسبانية[3].

وهكذا نجد أن صاحب الشرطة متعدد الأعمال والمهام، حيث لا يقتصر عمله على إدارة الشرطة، التي مهمتها حفظ الأمن، ولكن أيضا له أدوار أخرى لها علاقة بالسياسة، وكذلك بالاقتصاد، وهذا دليل على أهمية هذا الموقع الإداري الذي كان يتمتع به في ذلك العصر.

وأخبرت بعض النصوص أن وظيفة صاحب الشرطة، وصاحب المدينة كانت تجمع في وظيفة واحدة أحياناً، وذلك في عهد الخليفة هشام المؤيد، حيث جمعت لمحمد بن أبي عامر[4]، الذي استطاع أن يفرض الأمن في زمانه على مدينة قرطبة[5]، ولقد أدار خطة الشرطة، وتولاها بعض العلماء والفقهاء في فترة الحجابة، من أمثال: سعيد بن أحمد بن حدير الذي تولى الشرطة في بداية عهد هشام المؤيد[6]، والأديب أحمد بن أبان المتوفى عام (382هـ=992م)[7]، وغيرهم حيث نرى من خلال تراجم أصحاب الشرطة في عصر الخليفة الحكم المستنصر، والحاجب المنصور، أن صاحب الشرطة قام بأكثر من عمل إداري ودبلوماسي هذا إلى جانب عمله الرئيس في الشرطة[8]، و ذكرت بعض المصادر التاريخية[9].

بأن ابن حيان المؤرخ قد لقب بصاحب الشرطة، ويبدو أن هذا اللقب كان لقب اتشريفيا أوفخريا ليس إلا[10]، وفي عهد الفتنة (399-422هـ=1009-1031م) تعرض صاحب الشرطة للعزل

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2،ص247.

(2) ابن حيان: المقتبس،ص77.

(3) المصدر نفسه: ص20.

(4) المقري: نفح الطيب،ج4،ص88.

(5) المصدر نفسه:ج2،ص266.

(6) ابن الفرضي: تاريخ، ص190.

(7) ابن بشكوال: الصلة، ج1، ص6.

(8) خلاف صاحب الشرطة،ص72.

(9) ابن جبر: الفهرسة، ص326

(10) ابن حيان: المقتبس ،ج2،ص44.

والقتل، نظراً لتعاقب الخلفاء في هذه الفترة، حيث كان كل خليفة يتقلد منصب الخلافة حديثا فورا يعمل على تعين صاحب شرطة من رجاله، ويقوم بعزل السابق، وربما يقوم بقتله، حيث صلب الخليفة محمد بن هشام حاكم المدينة عبد الله بن عمر عندما سيطر على قرطبة عام(399هـ=1009م)[1].

وفي أيام الخليفة المهدي تولى الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن غالب بن حزم الحكم بالجانب الغربي من قرطبة[2]، وهذه الرواية تدل على أنه ربما قام خلفاء الفتنة بتقسيم قرطبة إلى عدة مناطق، وقاموا بتعين صاحب شرطة على كل منطقة منها، أو أن كثرة الحوادث في الجانب الغربي كانت مدعاة لهذا التعين، أو ربما لأن الجانب الغربي هو الذي تقع فيه بيوت الأغنياء، لذلك هي بحاجة إلى حماية دائمة[3].

وذكر ابن بشكوال في ترجمته لمحمد قاسم بن محمد الأموي الجالطي أنه تقلد أحكام الشرطة للخليفة هشام بن الحكم، وكان محمودا في عمله، وعمل البربر على قتله يوم دخولهم قرطبة عام 403هـ[4]، ولقد قتلوا صاحب الشرطة الآخر وهو العالم عبد الله بن حسين ابن الغربالي[5].وكان ممن ولي الشرطة في عهد الفتنة، وذكرهم ابن بشكوال دون أن تستطيع تحديد وقت عملهم في هذه الخطة وهو: محمد بن يونس(ت418هـ=1027م)[6]، وكذلك محمد بن يحيى ابن الخفارية (ت411هـ=1020م)[7]، و أحمد بن الحسين[8]، ومحمد ابن إبراهيم القيسي[9].

وهكذا نلاحظ أن صاحب الشرطة أبدع في أعمال مختلفة، وتقلد مناصب متعددة، علاوة على عمله الرئيسي، وهو إدارة شؤون الشرطة، وحفظاً لأمن وسلامة للناس، ولقد تراجع دوره إلى حد سيء في زمن الفتنة، حيث تقسمت مواقع الشرطة، وتعددت وأصبح هناك أكثر من صاحب شرطة في أكثر من مكان، ولقد تبين من خلال الإبداع في المجال السياسي والإداري، حجم التطور الذي طرأ على المسلمين في الأندلس، ومحاولتهم الدائمة في تطوير وتحسين دور وعمل رجال السياسة والإدارة، ليصلوا إلى مرحلة متقدمة في البلاد، والآن ولاحقا سيتم التطرق إلى

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب،ج3،ص54،55.

(2) ابن بشكوال: الصلة، ج2،ص86.

(3) خلاف صاحب الشرطة،ص74.

(4) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص1060.

(5) ابن الابار: التكملة،ص1277.

(6) ابن بشكوال: الصلة، ج2، ص1109.

(7) المصدر نفسه: ص110.

(8) المصدر نفسه: ص127.

(9) المصدر نفسه : ص1142

التقدم والإبداع الأندلسي في الجانب الاقتصادي ممثلا في تقدم الزراعة والصناعة والتجارة، وكذلك تطور المال والاقتصاد بشكل عام.

الفصل الخامس
الإبداع الاقتصادي

- المبحث الأول: الإبداع الزراعي لمسلمي الأندلس.
- المبحث الثاني: الإبداع الصناعي لمسلمي الأندلس.
- المبحث الثالث: الإبداع التجاري لمسلمي الأندلس.

المبحث الأول

الإبداع الزراعي لمسلمي الأندلس

عرفت الأندلس في حقب مختلفة الازدهار الاقتصادي، وذلك نتيجة لإبداع المسلمين في شتى مجالات الاقتصاد لقدرتهم على التطور والتقدم في مجال الزراعة والصناعة والتجارة.

وتميز عهد الناصر بشكل خاص أن أصبحت الأندلس من أغنى الدول في العصور الوسطى، ودخلت البلاد طوراً من الرخاء والغنى لم يسبق أن وصلته في عصورٍ سابقة، والأندلس بلد زراعي و الخراج والجزية والأخماس هي المصادر الرئيسية لخزينة الدولة، وعمل الأندلسيون على تحسين الزراعة عن طريق تحسين أحوال المزارعين، وإسقاط بعض الضرائب عنهم، وهيئت لهم ظروف زادت من استغلال الأرض وزيادة الإنتاج(1)، وقال المقري: "ومن خواص طليطلة أن حنطتها لا تتغير ولا تتسوس على طول السنيين، يتوارثها الخلف عن السلف "(2).

واشتهرت الأندلس بزراعة القمح(3)، والزيتون وأنواع الفاكهة، بالإضافة إلى غاباتها التي تعد مصدراً مهما من مصادر الثروة، ومادة أولية تدخل في كثير من الصناعات الخفيفة والثقيلة، والثروة الحيوانية والسمكية التي اشتهرت بها مناطق واسعة من الأندلس(4)، وكانت الزراعة تقدمت في الأندلس، بسبب العوامل التالية:

1- أن المسلمين لم يطبقوا النظام الإقطاعي الذي كان سائداً في أوروبا(5)، في العصور الوسطى، والذي من أهم خصائصه: عدم الاعتراف بحق التملك، وصبغ العمل بطابع الذل والمهانة، وتفضيل طبقة من الناس على طبقة أخرى، بينما نادى الإسلام بالمساواة بين المسلمين في جميع حقوقهم وواجباتهم، فلا فرق بين عربي على أعجمي إلا على أساس العمل المفيد، فهو أساس التمايز بين الناس(6) لذلك كان للشريعة الإسلامية

---

(1) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله بن أحمد: المسالك والممالك، طبعة ليدن،1867م ، ص90؛ إبن الفقيه: مختصر كتاب البلدان ، ص87.

(2) المقري: نفح الطيب،ج1،ص143.

(3) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص90.

(4) عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج2،ص689.

(5) الشرقاوي، عبد الحميد: الحياة الاقتصادية في الأندلس في القرن الرابع الهجري، جامعة القاهرة،1950م، ص56.

(6) المرجع نفسه: ص56.

السمحاء الفضل الكبير في تحقيق ظاهرتين هامتين هما: حرية التملك للأرض، والتأكيد على المساواة بين الأفراد[1].

2- قامت الحكومة باتباع سياسة رشيدة حيال سكان البلاد الأصليين[2]، بعد الاستيلاء على بلاد الأندلس، ظل السكان الأصليون يتمتعون بمعاملة طيبة من قبل المسلمين[3].

حيث أن المسلمين لم يضطهدوا أحداً منهم، وكان لهذه السياسة الحكيمة أثرها البالغ على تقدم وازدهار الزراعة، والصناعة، والعلوم، والفنون[4] لأن المسلمين استفادوا من العناصر الزراعية والصناعية من بين صفوف السكان الأصليين، بل سمح المسلمون لرؤساء أساقفة النصارى بالأندلس[5]، في إشبيلية سنة(166هـ=782م) وفي قرطبة سنة (238هـ=852م)[6]، بتشييد الكنائس الكبيرة، الأمر الذي شجعهم على اعتناق الإسلام[7].

3- تم توزيع الأراضي الزراعية على شكل ملكيات صغيرة، بحيث تم مساعدة أصحابها[8]، على أن يحققوا حياة أفضل، وأرقى من حياتهم في عهد القوط النصارى، وكان في عهد القوط الذين يمتلكون الأراضي عدد قليل من السكان المنتمين إلى دينهم من الأشراف ورجال الدين[9]، بينما معظم السكان كانوا من الأرقاء الذين لا يمتلكون الأرض، بل ويعملون بالسخرة لدى ملاك الأراضي[10]، وكان هناك مساواة في أداء ضريبة الخراج للدولة بين المسلمين والنصارى واليهود، وقد اكتسب هؤلاء الملاك بفضل حكم المسلمين حقا جديدا، حيث امتلكوا الحرية في التصرف في الأرض لمالكها، من حيث البيع لأرضه، أو نقل ملكيتها لأي أحد آخر[11].

---

(1) عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج1،ص62.

(2) شكيب: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وإيطاليا وسويسرا،ص230.

(3)أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص155،154.

(4) الشرقاوي: الحياة الاقتصادية في الأندلس ،ص56.

(5)أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ،ص55.

(6) المصدر نفسه: ص156.

(7) المصدر نفسه: ص156.

(8) الشرقاوي: الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص56.

(9) طرخان: المسلمون في فرنسا وايطاليا، ص57.

(10) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص158.

(11) عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج1، ص74.

وعمل المسلمون على تجزئة الملكية العقارية الزراعية إلى كثير من الملكيات الصغيرة[1]، وتوزيعها على الفاتحين من خلال توريث الملكيات حسب الشريعة الإسلامية عاملا مهما في تحقيق فكرة التضامن الاجتماعي بين السكان[2]، وكان لهذه الملكيات دورا مهم وركنا رئيساً في تدعيم الرخاء الزراعي الذي شمل الأندلس طوال الحكم الإسلامي[3]، وأصبح المالك والمزارع شبه شريكين منذ ولاية السمح بن مالك الخولاني (101هـ=719م)[4]، وكذلك أصبح العرب البلديون، ومعهم البربر شركاء للنصارى في أراضيهم[5].

وفي معيشتهم منذ توزيع الأراضي بين عرب الشام في ولاية أبي الخطار سنة(135هـ=752م)[6]، ووَفَق المسلمون بين بيئتهم القديمة و الجديدة، و لم يكن تقدمهم في الزراعة أقل من تقدمهم الحربي، بل سرعان ما تخلو عن صفاتهم الحربية وتعلقوا بالزراعة، كما نجحوا في بادئ الأمر في تحويل جزء كبير من الأراضي المقفرة إلى أراضي خصبة[7].

يتضح مما سبق أن المسلمين في الأندلس أبدعوا نظاماً اقتصادياً غاية في العدالة، ويصب أولاً وقبل كل شيء في صالح الإنسان، بغض النظر عن دينه أو مذهبه، وهذا الذي ساهم بشكل كبير في التقدم في مجال الزراعة، حيث شعر الإنسان في الأندلس بالمساواة في حقوقه وواجبته مع الآخرين، ولم يشعر بالتمييز أو العنصرية، بل أطلقت الحريات للعمل، ورفع الظلم الذي فرضه نظام الإقطاع الذي كان معمولا به في زمن القوط النصارى، ويستعبد شريحة هي الأكبر في المجتمع، ويجعل الفلاح والعامل يعمل بالسخرة لصالح الإقطاعي مالك الأرض، أما في ظل الشريعة الإسلامية السمحة، والتي تعاملت مع الناس على أساس أن من يعمل وينتج له الأفضلية، كما جعلت للناس حرية التصرف في ملكيتها للأرض وهذا كان حافزا مهما لزيادة الإنتاج، والاهتمام بالزراعة وتقدمها، وهكذا نستطيع أن نؤكد على أن الحضارة الإسلامية التي قامت على أساس هذا البعد الفكري والعقدي، هي حضارة منتجة، و نافعة للناس كافة.

---

(1)عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج1، ص74.

(2) الشرقاوي: الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص59.

(3) المرجع نفسه: ص59.

(4) السمح بن مالك: هو أمير الأندلس ،وهو البادئ بتنظيم الجبايات، واستخراج الارتفاعات ، سواء في أسبانيا أو في جنوب فرنسا، وكانت أمور الجبايات قبل ذلك غير مستقرة، فعمل السمح على توزيع قسما من الأراضي المأخوذة من المسيحيين على المسلمين المحاربين لمكافأتهم، وكذلك على العائلات الفقيرة من المسلمين(عنان: دولة الإسلام، ص74).

(5) الشرقاوي، عبد الحميد: الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص58.

(6) مجهول: أخبار مجموعة ،ص25.

(7) الشرقاوي: الحياة الاقتصادية في الأندلس في القرن الرابع الهجري، ص60.

فالأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، تم استغلالها أحسن استغلال، وكان امتلاك الأرض الزراعية في عهد القوط مقصوراً على عدد قليل من السكان، وباقي السكان لا يملكون، حيث قام بزراعة هذه الأرض ذات المساحات الواسعة المترامية الأطراف عدد كبير من الأرقاء[1]، ونجد أنه عندما تم فتح شبه جزيرة أيبيريا على يد المسلمين، هاجر عدد كبير من عرب افريقيا والشام إليها، واستقروا فيها[2]، واحترفوا الزراعة، فكانوا يعملون بأيديهم[3]، في الضياع التي كانوا يزرعونها، فاشتغلوا بالزراعة والرعي في الأراضي التي خصصت لهم[4]، وعاش هؤلاء الفاتحون مع أهالي البلاد جنبا إلى جنب يشاركونهم العمل في الأرض والإنتاج[5]، والملاحظ أنه اذا تم تقسيم أرض الغنيمة بين المحاربين المسلمين، فإنها كانت تعد أرضا عشرية، وبذلك لا يتم وضع الخراج عليها[6]، وأدخل المسلمون المحاصيل الجديدة من المشرق، مثل النخيل والرمان جلبوه من الشام، وخصوصا رمان الرصافة المنسوبة إلى هشام ابن عبد الملك، واستطاع سفر بن عبيد الكلاعي، وكان من جند الأردن، تهجين نوع منه ينسب إليه، فسمي بالرمان السفري، ويصف ابن حيان هذا النوع من الرمان بأنه: " الموصوف بالفضيلة المقدم على أجناس الرمان بعذوبة طعمه، وغزارة الماء، وحسن الصورة

ومنذ ذلك الوقت لازال يعرف بنفس الاسم بالأسبانية "[7]، و القطن الذي انتقلت زراعته إلى الأندلس في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، واشتهرت بلاد عدة بزراعته، وفي مقدمتها إشبيلية، والتفاح الذي كانت تكثر زراعته في جبال سيرانينادا، وكذلك البطيخ السندي الذي لايزال يعرف باسم ساندينا بالأسبانية[8]، وأدخلت زراعة قصب السكر، حيث يفهم من كتابات بعض المؤرخين الأندلسيين مثل الرازي وعريب بن سعيد القرطبي أنه كان ينتج بكميات كبيرة بالأندلس في القرن الرابع الهجري، وكان من أهم مراكز زراعته البيرة، ومالقة وإشبيلية[9].

---

(1) شكيب: تاريخ غزوات العرب ، ص232.

(2) مؤنس: فتح العرب للمغرب ، ص292.

(3) الشرقاوي، عبد الحميد: الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص63.

(4) شكيب: تاريخ غزوات العرب، ص229.

(5) الشرقاوي، عبد الحميد: الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص62.

(6) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي بن حبيب البصري: الأحكام السلطانية ، مصر،1928م، ص131.

(7) ابن حيان: المقتبس، ص125.

(8) المقري: نفح الطيب، ج2، ص317.

(9) بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، تر: حمزة طاهر، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، ص333-384.

وأدخلت زراعة الأرز إلى الشرق الأندلسي، وخاصة في منطقة بلنسيا التي تعد اليوم هي المستودع الرئيس للأرز في أسبانيا، وتشتهر بنوع من الطعام يقوم على الأرز، ويلاحظ أن كلمة أرز انتقلت إلى الأسبانية باللفظ نفسه، وكذلك احتفظت بعض الخضروات بأسمائها العربية مثل: الباذنجان والخرشوف والزعفران، والزيتون والسلق وغير ذلك[1].

واعتمدت البلاد في أكثر حاصلاتها على القمح، والشعير، والقطن، والكتان، والبقول، والأرز والكروم، والموالح، والخوخ، والموز، والزيتون وغيرها[2].

بالإضافة إلى وجود الغابات الكثيرة المنتشرة في جميع أنحاء البلاد مثل: أشجار البلوط والسنديان والصنوبر وغيرها[3]، وكذلك ساعد على تقدم الزراعة بالأندلس في العصر الأموي، الاهتمام بشؤون الري، مثل إنشاء الترع والجسور، وشق القنوات، وإقامة القناطر، وغير ذلك من أسباب التطور [4].

وأبدع المسلمون حينما استغلوا الظواهر الطبيعية، ووظفوها أفضل توظيف في مجال الزراعة، وهي كثيرة مثل تساقط المياه من المرتفعات الجبلية، فعملوا على توسيع القيعان حتى تصبح أحواضا فسيحة كبيرة تمتلئ بالماء، ويتم رفعها بالنواعير (السواقي) لكي يتم استخدامها في الري، ولا تزال إحدى هذه الأحواض قائمة حتى يومنا هذا، في جنوب مدينة بلنسيا باسبأنيا[5]، والدليل على إبداع المسلمين في مجال الري هو(محكمة المياه) التي كانت تعقد بين الأهالي، لتنظيم توزيع المياه على الفلاحين، وهي محكمة أهلية لا دخل للحكومة بها، وكان حكمها نافذاً على الجميع[6].

ولا يزال يعمل بهذا التقليد في مدينة بلنسيا حتى يومنا هذا، حيث تعقد المحكمة كل يوم خميس عند الظهر في المكان القديم نفسه، الذي كانت تعقد فيه بجوار مسجد المدينة، الذي تحول بعد الاستيلاء عليها من الأسبان إلى كنيسة، والملاحظ أن الكثير من أدوات الري والزراعة، أدخلت إلى اللغة الأسبانية، ولا زالت إلى اليوم مثل: الناعورة أو الساقية[7]، وكانوا يستخدمون الدواليب،

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج3،ص130؛ الحميري: الروض المعطار ،ص21–24.

(2) عاشور، وآخران: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، الكويت ، دار السلاسل، ط2،1406 هـ، ص383.

(3) محمود: المسلمون في الأندلس، ص209.

(4) دويدار: المجتمع الاندلسي في العصر الاموي، ص343.

(5) مؤنس: رحلة الأندلس، القاهرة، مطابع كوستا توماس، ط1، 1964م، ص275.

(6) عاشور، وآخران: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية،ص377.

(7) المرجع نفسه: ص377.

ومنها نوع كانوا يسمونه الخطارة[1]، وكان الأندلسيون وضعوا تقويما للزراعة، عرف بالتقويم القرطبي، الذي أصبح دليلا تحدد أساسه مواعيد زراعة المحاصيل المختلفة، وأخذه عنهم غيرهم من الأمم والشعوب[2].

وهكذا يتبين أن اللغة العربية اكتسبت أهميتها مما أبدعه أهل الأندلس، ليصبح الإنتاج العلمي الجديد في ذلك العصر يفرض تلك اللغة، على أسماء الأدوات المبتكرة، بل وتبقى المصطلحات العلمية كما هي تستخدم في اللغات الأخرى، مثل الأسبانية، وهذا دليل آخر على حجم التقدم والتطور الفني والتقني، والإبداع في مجال الزراعة والمجالات الأخرى.

وعرف الأندلسيون نظام القلب والتذييل لإعداد الأرض الزراعية، واستخدموا الثيران في حرث الأرض، وكانوا يسمون المحصول باسم الرفع، ويسمون المرعى باسم المشجر[3]، ومن الأنظمة التي عرفت في الأندلس، نظام الإقطاع العسكري، ويعطي جند الجيش أراضي ليزرعوها بأنفسهم، أو عن طريق غيرهم، ويتعيشون منها، وظل يعمل بهذا النظام حتى جاء المنصور بن أبي عامر فاستبدله بنظام الأرزاق والرواتب في الجيش[4].

وأفاد هذا النظام الجديد في القضاء على العصبية القبلية والجنسية بين فرق الجيش المختلفة، من عرب وصقالبة وبربر[5]، وفي ذلك يقول الطرطوسي:" وسمعت بعض شيوخ الأندلس من الأجناد وغيرهم يقولون: ما زال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم، وأمر العدو في ضعف وانتقاص، لما كانت الأرض مقطعة في أيدي الأجناد، فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين، ويربونهم كما يربي التاجر تجارته، وكانت الأرض عامرة، والأموال وافرة، والأجناد متوافرين، والكراع والسلاح فوق ما يحتاج إليه، إلى أن كان الأمر في آخر أيام ابن أبي عامر، فأفرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الأموال، وقدم على الأرض جباه يجبونها فأكلوا الرعية، واجتاحوا أموالهم، واستضعفوهم، فتهاربت الرعية وضعفوا عن العمارة، فقلت الجبايات المرتفعة إلى السلطان، وضعفت الأخبار، وقوي العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها ..."[6]، و اشتهرت الأندلس بكثرة رياضيها وبساتينها وجنانها العامة، التي كانت متاحة للجميع يتمتعون بحسنها وجمالها[7].

---

(1) الخشني: قضاة قرطبة، ص76.

(2) حسن: تاريخ الإسلام ،ج2،ص308.

(3) الخشني: قضاة قرطبة، ص93؛ المراكشي: المعجب، ص21.

(4) دويدار: المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، ص345.

(5) المصدر نفسه: ص345.

(6) الطرطوشي: سراج الملوك، ص299.

(7) النباهي: المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا، ص149.

تميز الأندلسيون بنزعة جمالية، وكانوا يميلون إلى حب النبات والورود والأزهار، وزراعة الأشجار، ونستطيع أن نلمس ذلك بوضوح في دورهم وبيوتهم، فضلاً عن العمائر والقصور، وحتى في أفنية المساجد، ودليل ذلك أن مذهب الأوزاعي الذي اعتنقوه قبل مذهب مالك، كان يبيح غرس الأشجار في صحن المسجد[1]،وبرغم تحولهم إلى مذهب مالك الذي لا يجيز لهم ذلك، إلا أنهم ظلوا على زرع الأشجار على مذهبهم السابق، ويتضح ذلك من قول أبي الحسن النباهي: " ومن المسائل التي خالف فيها أهل الأندلس قديما مذهب الإمام مالك بن أنس، هي أنهم أجازوا كراء الأرض بالجزء الذي يخرج منها، وهو مذهب الليث بن سعد، وأجازوا غرس الأشجار في المساجد، وهو مذهب الأوزاعي "[2][3].

وهذه العادة لا تزال موجودة في أسبانيا إلى اليوم، حيث توجد أشجار الليمون والبرتقال في صحن جامع قرطبة، وفي بعض الكنائس أيضا[4].

ويلاحظ مدى التطور والإبداع الذي وصل إليه الأندلسون في مجال الزراعة، وكيف أنهم اهتموا بالزراعة التي تعد مصدر الدخل الأهم لديهم، فنجد اهتمامهم بالنظام الزراعي وملكية الأرض من جهة، ومن جهةٍ أخرى جلبهم للعديد من المزروعات الشرقية، التي لم تكن معروفة في بلاد الأندلس، لكي يعملوا إبداعاً جديداً في هذا المجال، ونجدهم لم يكتفوا بزرع الأرض بالنبات المثمر، بل اهتموا بتزيين المكان حباً منهم للجمال، ولكي يعطوا الطبيعة الأندلسية ميزة جمالية، وهذا دليل على مدى ارتباطهم بالمزروعات بكافة أنواعها وأشكالها، وربما هذه الرغبة في تجميل الطبيعة ساهمت بدورها في الإبداع الأندلسي في مجال الزراعة، وكان لهم دوراً مهما، واهتماماً خاصً بالصناعة وهذا ما سوف نتطرق إليه لاحقاً.

---

(1) المصدر نفسه: ص149.

(2) المصدر نفسه: ص149.

(3) ينظر: ملحق رقم(12)،(24)،(25)،

(4) عاشور، وآخران: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص399.

المبحث الثاني

الإبداع الصناعي لمسلمي الأندلس

استغل الأندلسيون الثروات الطبيعية، فاستخرجوا المعادن المختلفة، مثل الذهب، والفضة، والرصاص، والزئبق، والحديد، والكبريت، والبلو، ر والملح واشتهرت مناطق بعينها بمثل هذه المعادن، حيث كانت غنية به فيتم استخراج الفضة والنحاس منها، و كانا يستخرجان من المناطق الشمالية بقرطبة ولوشة وتدمير، والزئبق من جبال البرانس، والقصدير من أكشونية، والبلور من لورقة، واشتهرت جبال قرطبة بأنواع الرخام الجيد، واشتهرت سرقسطة بالملح الأبيض الصافي(1)، والمعادن التي ذكرت آنفا، كانت تستخدم في بعض الصناعات التي تحتاجها البلاد، لاسيما صناعة الأسلحة، من سيوف، ورماح، ودروع إلى الصناعات الأخرى التي اشتهرت بها مدن الأندلس، مثل صناعة النسيج والملابس(2)، وكان للفتح الإسلامي أثراً كبيراً في نهوض الصناعة، وساعد على ذلك عوامل عدة أهمها: استغلال المسلمين للثروات الطبيعية، فقد بذل المسلمون جهودا كبيرة في هذا الصدد(3)، وأيضاً كان لروح التسامح التي عرف واتصف بها المسلمين والحكم الإسلامي العادل لغير المسلمين من أهل الذمة أثره البالغ والمباشر في هذه النهضة والتطور الصناعي(4)، واستغل المسلمون الثروات المعدنية استغلالا جيداً، والتي كانت غنية بها طبيعة الأندلس(5).

فنجد مناجم الذهب والفضة والنحاس(6)، موجودة بالجزء الذي أطلق عليه الرومان ولاية الأندلس(7)، وكان معدن الحديد منتشراً في أماكن عدة في الأندلس(8)، ومعدن الفضة موجود بكثرة في بلاد الأندلس وخاصة في كورة تدمير، وجبالها(9)، والذهب الذي كانوا يحصلون عليه من ثغر الأندلس الشرقي في مدينة لاردا، فهي مدينة قديمة، غنية بمناجم الذهب(10)، وأيضا كان

---

(1) المقري: نفح الطيب،ج1، ص143-150.

(2) المصدر نفسه: ج1، ص63.

(3) الشرقاوي، عبد الحميد: الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص75.

(4) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص158.

(5) المقري: نفح الطيب،ج1، ص71؛ البكري: جغرافيا الأندلس وأوروبا، ص130.

(6) البكري: جغرافيا الأندلس وأوروبا، ص130.

(7) المصدر نفسه: ص59.

(8) المقري: نفح الطيب،ج1، ص70.

(9) البكري: جغرافيا الأندلس وأوروبا، ص129.

(10) الحميري: الروض المعطار، ص168.

لكثرة الغابات المنتشرة على طول بلاد الأندلس أثرها الإيجابي[1] ساعدت على وجود الصناعات الخشبية، وصناعة النجارة، وأصبح سكان بعض المناطق الجنوبية يحترفون هذه المهنة و الصناعة[2].

واشتغلوا بقطع الأخشاب من الغابات، ومن أهم أنواع الخشب الذي تم استخراجه، هو خشب السنديان[3]، وكان يؤخذ من أشجار البلوط التي تغطي مساحات واسعة في شمال قرطبة، و تسمى فحص البلوط[4]، وأيضا إقليم قاديس[5]، والمنطقة التي بشرق جيان[6]، كانا يمدان البلاد بأنواع من الخشب الذي تصنع منه الأدوات، ثم أشجار الصنوبر في الغابات الواقعة بجبال شرق الأندلس، حيث توجد مدينة طرطوشة على الساحل الشرقي[7].

ويمتاز خشبها بأنه لا يوجد له نظير في الطول والغلظ، ومنه نأخذ الصواري[8]، والجسور كما كان يستخرج منه الفحم[9]، ولقد كانت صناعة السفن والمراكب من الصناعات القديمة المهمة[10]، التي عرفت وجدت في الأندلس قبل مجيء المسلمين، واعتمد المسلمون على تلك الدور التي كانت منتشرة في طرطوشة[11]، وتركونة ودانية وإشبيلية والجزيرة[12]، الخضراء وغيرها، ثم جاء عبد الرحمن الداخل واتخذ في سنة (144هـ=763م) دور الصناعة في إشبيلية والمرية وقرطبة[13]، بل و بالإضافة إلى الموانئ الهامة التي تم ذكرها، وذلك لتوافر المواد التي

(1) المقري: نفح الطيب،ج1، ص72.

(2) المصدر نفسه: ص72.

(3) الشرقاوي: الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص74.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص45.

(5) المصدر نفسه: ص145.

(6) الشرقاوي: الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص74.

(7) الحميري: الروض المعطار، ص124.

(8) الإدريسي: وصف المغرب وأرض مصر والأندلس، ص190.

(9) الشرقاوي، عبد الحميد: الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص78.

(10) العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص249.

(11) المرجع نفسه: ص249.

(12) المرجع نفسه: ص249.

(13) شكيب: تاريخ غزوات العرب، ص139.

تساعد على صناعة السفن[1]، والصواري مثل: الأخشاب، وتوافر معدن الحديد الذي تصنع منه المراسي[2]، وهي التي ترسوا بها السفن[3].

ويتبين أن الأندلسيين نوعوا في الصناعات، فمنها المعدنية، والتي استغلوا خلالها الثروات الطبيعية بالأندلس، وكذلك الأشجار التي وظفوها في صناعات أخرى، مستخدمين كافة أنواع الأخشاب، من أجل توفير كل ما يحتاجه المجتمع الأندلسي من صناعة الأدوات اللازمة لمعيشتهم، وكان لدور الصناعة التي اتخذها الأندلسيون دورها في التقدم الصناعي والتطور التقني والفني لهذه الصناعات.

وكذلك عرفت إلى جانب صناعة الأخشاب صناعات أخرى، مثل صناعة المنسوجات[4].

والتي كانت منتشرة في أنحاء الأندلس، وتوافر المادة الخام ساعد على تقدم هذه الصناعة، إذ يوجد نبات ذات التيلة[5]، الذي كان يتوافر في أسبانيا، وكل الأصباغ اللازمة لها[6]، وكان السكان اشتغلوا بتربية الحيوانات وفي صناعة الصوف، وهذا معروف في إشبيلية وجيان وشلطيش، حيث تصنع المنسوجات الصوفية من صوف الماشية[7].

واشتهرت صناعة المنسوجات الحريرية في بلاد الأندلس[8]، وخصوصا في مدينة قرطبة والمرية[9]، واشتهرت مدينة غرناطة في صناعة السجاجيد الصوفية، و اشتهرت بها مدينة باجة[10]، وأدخل المسلمون العديد من الصناعات التي أبدعوها، ومن هذه الصناعات التي لم تكن معروفة من قبل في الأندلس هي صناعة الزجاج[11]، حيث اشتهرت العديد من المدن مثل: مدينة مالقة والمرية بهذه الصناعة[12]، وكانت تقع دار الصناعة بقرطبة[13]، والذي أنشأ هذه

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص120.

(2) الإدريسي: وصف المغرب، ص179.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص120.

(4) المقري: نفح الطيب ،ج1، ص78.

(5) الشرقاوي: الحياة الاقتصادية في الأندلس، ص81.

(6) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص129.

(7) الحميري: الروض المعطار، ص21-111.

(8) الإدريسي: وصف المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص192.

(9) المقري: نفح الطيب،ج1، ص78.

(10) المصدر نفسه: ج1، ص94.

(11) عنان: دولة الإسلام في الأندلس،ج1، ص249.

(12) المقري: نفح الطيب،ج1، ص78-94.

(13) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2، ص345.

الدار، هو الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط، وذلك بعد الغارة النورمانية على سواحل الأندلس الجنوبية وإشبيلية في سنة (229-230هـ=844-845م)فقد نبهت هذه الغارة الأمير الأموي إلى أمرين: الأول ضرورة تحصين إشبيلية بسور مانع، والثاني إقامة دور لصناعة السفن، ولقد تم انشاء السور على يد عبد الله بن سنان أحد الموالي الشاميين[1]، وأنشأت دور الصناعة في قرطبة وإشبيلية وقرمونة[2].

وتحولت دار صناعة الأسطول بقرطبة لبعدها عن الساحل إلى دار لصناعة التحف المعدنية والآلات، أي أن نشاط هذه الصناعة اقتصر على الصناعات المدنية، ويذكر أن عبد الرحمن الناصر أمر بصناعة اثنى عشر تمثالا من الذهب الأحمر، مرصعة بالدر النفيس فهذه الصناعة تمثل أسدا أو غزالا ونسرا، تمج جميعها الماء من أفواهها[3][4]، ونظرا لعدم تمكن هذه الصناعة من إنتاج ما يفي بتزين منشات، خاصة بعد توسع أعمال البناء والعمران في مدينة الزهراء، لذلك اضطر إلى إنشاء دار ثانية لصناعة الآلات و السلاح للحرب، والحلي والزينة وغيرها في مدينة الزهراء[5]، وكذلك صناعة المنسوجات التي انتشرت في أنحاء كثيرة من البلاد، نظرا لتوافر

المواد الخام اللازمة، فقد كان القماش المعروف بإسم (بوقلمون)[6]، يصنع في مدينة شنترين غربي الأندلس بألوانه المتغيرة[7]، وانتشرت وازدهرت صناعة المنسوجات الحريرية في الأندلس نظرا لكثرة أشجار التوت[8]، وكان من أهم مراكز هذه الصناعة قرطبة والمرية، وقدر المقري عدد الأموال فيها في عصره (ت1014هـ=1605م) بنحو خمسة آلاف وثمان مائة نوال[9]، واشتهرت مرسية ببضاعة الحلل من الحرير والديباج[10]، وأشاد ابن حوقل بأنسجة الديباج الأندلسية،

---

(1) ابن حيان: المقتبس، ص144؛ إبن سعيد: المغرب في حلى المغرب ،ج1،ص49 .

(2) الحميري: الروض المعطار، ص159.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2، ص244.

(4) ينظر: ملحق رقم(29)،(32)،(33).

(5) المقري: نفح الطيب،ج2، ص112.

(6) بوقلمون: قيل أنها اسم للحرباء باليونانية ، وقيل: أنها اسم دابة بحرية لها وبر، وكانت تعيش في المحيط الأطلسي، وكانت تحتك بحجارة الشاطئ، فيقع منها وبر في لين الحرير ولون الذهب ،فيتم جمعه ونسجه في مدينة شانترين ثيابا لها عدة الوان (المقدسي: أحسن التقاسيم، ص240).

(7) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص240.

(8) عاشور وأخران: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص336.

(9) المقري: نفح الطيب،ج1، ص162.

(10) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب،ج2، ص114.

وبالسروج الحريرية، وذكر أنها فاقت في صناعتها أي مكان في العالم وأنها تزيد في كميتها على ما ينتج في بلاد العراق[1].

واشتهرت صناعة المنسوجات القطنية وخاصة في مدينة إشبيلية، التي كان يزرع فيها القطن، وكان يصنع بها نوع من الأقمشة يقي من الأمطار، ووجدت أيضاً صناعة المنسوجات الكتانية البديعة، ومن أهم مراكز صناعتها سرقسطة ولاردا وباجة[2]، واشتهرت صناعة السجاد والبسط، ومن أهم مراكزها مرسية وبسطة وتنتالة في شرق الأندلس[3].

وحرص الأمراء والأغنياء في أوروبا على شراء المنسوجات الأندلسية، واقتنائها ولا تزال هناك نماذج في بعض المتاحف الأوروبية تشهد بمدى براعة وإبداع الأندلسيين في هذه الصناعة، مثل متحف فيجو بقطالونيا في أسبانيا، ومتحف الأكادمية الملكية بمدريد وغيرها[4].

وهناك دور خاصة تصنع بها الملابس المختلفة للخلفاء والأمراء، ورجال الدولة والجند، وتسمى دور الكسوة أو دور الطراز، ويذكر أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل كان أول من اتخذ من الأمويين دار للطراز بالأندلس[5].

واشتهرت الأندلس بصناعة التحف العاجية، حيث كان يتم نحتها (بدار الصناعة بمدينة الزهراء) لجاريات الخلفاء وزوجاتهم، لصيانة حليهن، وأدوات الزينة، أو لحفظ العطور والعنبر والمسك[6]، واشتهروا بصناعة التحف المعدنية، وصناعة آلات الحرب، والتماثيل والقدور والطسوت والأقداح، والأباريق والمباخر والمجامر والثريات، و اشتهروا بصناعة الحلي من أساور وعقود من الذهب[7].

---

(1) ابن حوقل التميمي: صورة الأرض، طبعة ليدن،1938م، ص112.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص1092.

(3) عاشور وآخران: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص340،339.

(4) المرجع نفسه: ص337.

(5) ابن الخطيب، لسان الدين: أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام وما يجر إلى ذلك من شجول الكلام، بيروت، نشر: ليفي بروفنسال، 1956م، ص20.

(6) سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ص133.

(7) المرجع نفسه: ص135.

وفي مجال صناعة الآلات الحديدية ذكر الإدريسي:" أن بجبال حصن قسطينية الحديد، ومعادن الحديد الطيب المتفق على طيبه، ولكثرته كان في جميع بلاد الأندلس[1]، كذلك يكثر الحديد في الأندلس بفريش الواقعة بالقرب من قرطبة[2].

وأيضا في غرناطة[3]، وقد استخدم الحديد في صناعة الآلات كالسفن والمراسي والمسامير، وفي صناعة العدد وآلات الحدادة كالمزاليج والمقصلات[4]، وعرفت التحف المصنوعة من النحاس والبرونز، ويذكر الإدريسي:" أن بالمخزن الواقع إلى شمال محراب جامع قرطبة عدد وطسوط ذهب، وحسك، وكلها لوقيد الشمع"[5].

ويذكر المقري: " أن الأبواب كانت مخرمة تخريما عجيبا بديعا يعجز البشر ويبهرهم "[6]، كما اشتهرت دار الصناعة بقرطبة في عصر الخلافة بإنتاج تماثيل برونزية لحيوانات وطيور، وكانت توضع حول البرك والأحواض تمج المياه من أفواهها، وذًكر أن صور مختلفة الأشكال من الذهب والإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة، والصهاريج الغريبة في أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة[7].

وتشير مصادر التاريخ العربية إلى التماثيل البرونزية التي كانت تزين مجالس قصر الزهراء، وأن عبد الرحمن الناصر نصب الحوض الصغير الأخضر الذي جلبه أحمد اليوناني، وربيع الأسقف من القسطنطينية في مجلسه الشرقي المعروف بالمؤنس، وجعل عليه اثنا عشر تمثالا من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي الثمن، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة، صورة أسد بجانبه غزال وتمساح، ويقابله ثعبان وعقاب، وفيل وفي المجنبتين حمامة وطاووس ودجاجة وديك، وكل هذا من ذهب مرصع بالجواهر النفيسة ويخرج الماء من أفواهها[8][9]،

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص207.

(2) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص21.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج1،ص104.

(4) المصدر نفسه: ج1، ص104.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص209.

(6) المقري: نفح الطيب ،ج2،ص95.

(7) المصدر نفسه:ج2، ص12.

(8) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2، ص345.

(9) ينظر: ملحق رقم(20)،(21)،(22)(29)(32)(33)(34).

وهذه التماثيل تميل نحو المذهب التجريدي الذي اتجه إليه الفنان المسلم عندما عمد إلى تجريدها من معاني الحياة، فحور في شكلها تحويراً أبعدها عن مظهرها الأصلي في الطبيعة[1]، وكان من التحف المصنوعة من النحاس الأصفر الثريات، وكان جامع قرطبة يشتمل على عشرة آلاف وثمان مائة وخمس كؤوس، وفيها أربع ثريات كبار معلقة بالبلاط الأوسط، وثرية كبيرة تتدلى في قبة المحراب، وكانت تحمل وحدها ألفا وعشرين كأساً[2]، وكان هناك التحف الفضية، حيث يشير الإدريسي إلى توافر معدن الفضة في موضع يعرف بالمرج يقع على مقربة من قرطبة[3]، ويوجد معدن الفضة بالعاصمة قرطبة التي اشتهرت بغناها ووجود هذا المعدن فيها[4]، و يوجد معدن الفضة بإقليم كتيش من عمل قرطبة[5].

ويؤكد ابن غالب على أن أوصال منبر جامع قرطبة من الفضة مثبتة[6]، ووصلات المنبر سمرت بمسامير الذهب والفضة، وفي بعضها نفيس الأحجار[7]، وذكر المقري بالنسبة للثريات، أن ثريات الجامع موشاة بالذهب ما عدا ثلاثة ثريات من الفضة، لعلها ثريات قباب المقصورة الثلاث[8]، واستخدام الفضة في صناعة التحف كان أمرا مألوفا اختصت به قرطبة، و ذكر ابن عذارى: " أن المنصور بن أبي عامر في أول أمره عمد إلى استمالة السيدة صبح البشكنسية زوجة الحكم، فصاغ لها قصراً من فضة وقت ولايته للوكالة والخزانة، عمل فيه مدة من الزمن، وأنفق فيه مالاً جسيماً، فجاء بديعا لم ترى العيون أعجب منه "[9]، ووصل إلينا أمثلة كثيرة من التحف الفضية من صناعة قرطبة في عصر الخلافة من بينها الصندوق المعروف بصندوق كاتدرائية جرندة، ولعله كان من جملة الأسلاب التي حملها معهم القطالونيون بعد دخولهم قرطبة في سنة (400هـ=1009م)[10]، وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، تدفقت على قرطبة تحف، وذخائر، ونفاس الجواهر، مما كانت تحتويه قصور بغداد، مثل عقد الشبا أو الشفاء،

---

(1) سالم: القيم الجمالية في فن العمارة الإسلامية ، بيروت ،1962م، ص11.

(2) المقري: نفح الطيب،ج2،ص89.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق ، ص202.

(4) المقري: نفح الطيب ،ج2،ص61.

(5) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص129

(6) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص29.

(7) المقري: نفح الطيب ،ج2، ص89.

(8) المصدر نفسه:ج2،ص89.

(9) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2، ص375.

(10) المصدر نفسه:ج2، ص102.

وأعلاق زبيدة بنت جعفر وأم الأمين[1]، ووفد تجار الحلي والصاغة المشارقة إلى قرطبة ليبيعوها للأمراء والخلفاء، ويذكر ابن عذارى أن تاجراً من عدن قدم إلى قرطبة زمن الخليفة المنصور بن أبي عامر ومعه جوهر كبير وأحجار كريمة، فاشتراها منه المنصور[2]،

وهناك علب المصاغ العاجية عند نساء الخاصة، من أهل قرطبة تمتلئ بالعقود المرصعة بالقوت والفصوص، و الخواتم والأقراط والأساور والخلاخيل والتيجان، والدلايات الذهبية المرصعة باليواقيت والزمرد، وكان أمراء بني أمية يسخون على زوجاتهم ومحظياتهم بمثل هذه التحف كدليل على الإعجاب بهن[3]، واشتهرت صناعة السفن، وساعد على ذلك كثرة الغابات المنتشرة بالأندلس، واعتمد المسلمون على دور الصناعة التي كانت منتشرة في عدد من الأماكن مثل: طرطوشة، ودانيا وطركونة وبجانه وإشبيلية والجزيرة الخضراء، واتخذ عبد الرحمن الداخل سنة (144هـ=761م) دور الصناعة السفن في المرية وقرطاجنة، إلى جانب المراكز السابقة لتوفير المواد اللازمة لهذه الصناعة من الأخشاب، بالإضافة إلى توافر معدن الحديد الذي تحتاج إليه، وخاصة في مدينة شلطيش[4]، و ازدهرت بالأندلس صناعة الزجاج، التي اشتهرت بها مدينة مالقا والمرية، وخاصة صناعة الأكواب التي تعلق في الثريات، والتي توضع في المساجد[5]

وتقدمت هذه الصناعة منذ عهد عبد الرحمن الأوسط، وخاصة بعد دخول زرياب إلى الأندلس، وتفضيله استخدام الأكواب الزجاجية الصافية في تقديم الماء والشراب، بدلا من أكواب الذهب والفضة والمعادن الأخرى[6].

ويلاحظ هنا إبداع الفنان زرياب، الذي ساهم في تقدم الصناعة، وليس الفن فحسب، مما يؤكد على إبداع الأندلسيين الذين كانوا دوما يبحثون عن الأفضل في الصناعات، لكي تكون بديلا عن الصناعات التقليدية، وربما هذا الذي ساهم بسرعة في التقدم في مجال الصناعة بالأندلس.

أما عن صناعة الأسلحة، حدث تقدماً فيها، حيث أنتجت بكميات كبيرة جداً، وساعد على ذلك كثرة الحروب التي خاضها المسلمون، ووجد عدد كبير من الأسلحة مثل: السيوف والرماح والدروع والخوذات وغيرها[7]، وكذلك عرفت الأندلس صناعة السكر الذي كان يستخرج من

---

(1) ابن سعيد: المغرب في حلا المغرب،ج1،ص46؛إبن الخطيب: أعمال الأعلام،ص20.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2،ص435

(3) المقري: نفح الطيب ،ج1، ص326.

(4) المصدر نفسه: ج1، ص329.

(5) منى حسن محمود: المسلمون في الأندلس، ص209.

(6) حسن: تاريخ الإسلام ،ج2،ص427.

(7) دويدار: المجتمع الأندلسي ،ص354.

القصب، وخاصة في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، ومن أهم مراكز انتاجه وتصنيعه، البيرة ومالقة وجوليانة وإشبيلية[1]، واستمر إنتاج السكر بشكل وفير حتى سقوط غرناطة[2]، ولقد اشتهرت الأندلس بصناعة الورق، و وجدت هذه الصناعة في العصر الأموي وخاصة بعد تقدم الحركة العلمية، وكانت قد انتقلت إلى الأندلسيين من المشرق[3].

من المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة: بلنسيا وطرطوشة، ويبدو من المخطوطات المحفوظة في المكتبات الأسبانية أن الورق كان يصنع من ألياف القطن والكتان، ونبات الشهدانج[4]، و كان المسلمون أول من أدخلوا الورق إلى أوروبا عن طريق الأندلس، وكانوا يستخدمون الورق قبل ذلك، ولعل أول مكان صنع فيه الورق في أوروبا كان في مدينة شاطبة[5].

وكان الورق الشاطبي مشهوراً في العالم الإسلامي كله، وبلغ من جودته أن بعض الكتاب كانوا لا يكتبون الوثائق إلا عليه، واشتهر أيضاً برخص ثمنه، وعرف الأندلسيون إلى جانب الكاغد نوعاً آخر من الورق المتين السميك الذي يشبه القماش، وهو الورق المعروف بالبارشمان، والذي كان مطلوبا في أوروبا، وخاصة لكتابة الأناجيل، والوثائق الكنسية الدينية، ونجد أن الإيطاليين وغيرهم من الأوروبيين قد قلدوه[6]، وتقدمت بتقدم صناعة الورق جميع أدوات الكتابة، وما يتصل بها من حبر وأقلام وشمع للأختام وغير ذلك، وبرع الأندلسيون في صناعة الأحبار من البيئة الأندلسية، وعرفوا المعدني والنباتي والمطبوخ وغير المطبوخ، والبسيط والمركب منها، وعرفوا أقلام الغاب، بل عرفوا أقلام الحبر، وتفننوا في صناعة المحابرالتي كانت مصنوعة من الزجاج والبلور والرخام، حيث أبدع الأندلسيون في تلك الصناعات[7]، وكان الأندلسيون يزخرفون الأقلام، ويكتبون اسم صاحبها عليها بواسطة الحفر مع بعض أبيات من الشعر، ومنها محابر على هيئة الخنجر في قرابة توضع في حزام الثوب مع الأقلام[8].

نلاحظ أن الأندلسيين عددوا في صناعاتهم، بل وأضافوا تطويرا جوهريا على تلك الصناعات، التيأصبحت تأخذ شهرة عالمية، كما راينا في صناعة الأقلام والحبر الأندلسي، وكذلك الورق

---

(1) دويدار: المجتمع الأندلسي، ص354.
(2) عاشور، وآخران: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ،ص345.
(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص192.
(4) المقري: نفح الطيب، ج1،ص152.
(5) المصدر نفسه: ج1، ص153
(6) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص192.
(7) المصدر نفسه، ص33.
(8) مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص33.

الذي كان يعد الأجود في صناعته، وأصبح يصدر إلى جميع الدول الأوروبية، وهذا يعكس مدى حرص الأندلسيين على تطوير صناعتهم لتخرج عن إطار المحلية والتقليدية.

المبحث الثالث

الإبداع التجاري لمسلمي الأندلس

كانت التجارة إحدى أعمدة الاقتصاد في الأندلس، ومن أركانه الأساسية، وتعد مدن المرية ومالقة من الموانئ التي شهدت تبادلا تجاريا مع أقطار أخرى، وكانت حصة الدولة من جباية الرسوم التجارية المقررة في ذلك الوقت[1]، ودخل الأندلس أيضاً العديد من التجار المغاربة والمشارقة حاملين معهم بضاعة بلادهم، بعدما وجدوا في قرطبة وغيرها من المدن أسواق نافقة وتجارة لا تبور، وتميز هؤلاء التجار، وخصوصا أهل المشرق بترويج تجارة الكتب والمؤلفات النادرة[2].

وراج النشاط التجاري في بلاد الأندلس بعد الفتح العربي الإسلامي لهذه البلاد، فوجد المسلمون عدداً كبيراً من البلاد والضياع[3]، التي كانت آهلة بالسكان، وكانت مرتبطة بعضها ببعض بمجموعة من الطرق[4]، وساعدت هذه الأسواق الأهالي كثيراً[5]، وكانوا يترددون عليها لكي يشتروا الحبوب والفاكهة والماشية، وفي المدن الكبيرة الكثيرة العدد، كانت تخزن مختلف البضائع والسلع لحين عرضها بالأسواق[6].

أما عن موارد التجارة الداخلية، فهي عبارة عن منتجات الريف من مختلف أنواع المحاصيل، القطن، والكتان، والقمح، والشعير، والذرة فضلا عن الكروم والزيتون والأرز وقصب السكر والتفاح والموز، وأيضا منتجات المراعي[7]، ولقد كان لوجود موقع الأندلس الاستراتيجي على البحر المتوسط، وسيطرة المسلمين على الحوض الغربي لهذا البحر، أثره البالغ في تطور النشاط التجاري[8]، وذلك عن طريق الموانئ الأندلسية المطلة على البحر المتوسط[9].

---

(1) المقري: نفح الطيب ،ج1،ص143.

(2) ابن بشكوال: الصلة،ج2، ص75.

(3) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية ، تر: أحمد محمد عيسى ،تقديم: شفيق غربال، ص26.

(4) الشرقاوي ،عبد الحميد: الحياة الاقتصادية في الأندلس،ص93.

(5) الحميري: الروض المعطار، ص34-47.

(6) الشرقاوي: الحياة الاقتصادية ، ص93.

(7) الحميري: الروض المعطار، ص47.

(8) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية ، ص120.

(9) ابن حوقل: صورة الأرض، ص105.

وأيضاً ساعد توافر المواصلات على سهولة نقل البضائع إلى شتى الموانئ البحرية الأخرى[1]، فكانت صادرات الأندلس تصدر عن طريق ميناء إشبيلية، وهو أعظم موانئ الأندلس النهرية، وتشمل القطن والزيت والذهب والفضة والنحاس والحرير والسكر والحديد وغيرها الكثير من السلع الأخرى[2].

ونشط التبادل التجاري بين الأندلس وبين الفرنجة، و تحمل أهل السواحل المعروفون بالسوريين[3]، بالنصيب الأكبر من عبء التجارة في البحر المتوسط، فكانت لهم جاليات متاجرة في كل موانئ هذا البحر، و في الكثير من البلاد المهمة في الداخل[4]، وأقامت هذه الجاليات في ثغور بريطانيا وغانة وأسبانيا، و في الثغور النهرية على الدانوب[5]، وعرفت هذه الجاليات بكثرة عددها وعظمتها في الثراء[6].

وإلى جانب هؤلاء السورين، شاركهم الإغريق واليهود في القيام بعبء التجارة البحرية[7]، أما ما قام به اليهود فقد كثرت أعدادهم في المدن الداخلية[8]، وكان أكبر مركز لهم ويعد المركز الرئيس هو في مرسيليا[9]، و انتشروا في حوض الرون، وبلاد وسط غالة وشمالها مثل باريس واورليان وكلير موت، ثور برج وأرل[10]، ونشطت هناك أيضاً هناك جماعات من الأفارقة إلى جانب هؤلاء التجار اليهود، وهم من المغاربة يعملون في نقل البضائع من أفريقيا إلى ثغور غالة، وتسميهم المراجع التاريخية تجار من وراء البحر[11].

ونجد أنه قد نشطتت الحركة التجارية بين أسبانيا وفرنسا من جهة[12]، وبين شرق البحر المتوسط من جهة أخرى، فظلت فرنسا حتى عام(716م) يستورد البردى والتوابل وغيرها من منتجات

---

(1) الشرقاوي: الحياة الاقتصادية، ص13.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص21.

(3) أرشيبالد لويس: القوى البحرية في البحر المتوسط ، ص120.

(4) المرجع نفسه: ص120.

(5) المرجع نفسه: ص120.

(6) مؤنس: المسلمون في حوض البحر المتوسط، المجلة التاريخية، المجلد السابع ،1951م، ص50.

(7) أرشيبالد لويس: القوى البحرية في البحر المتوسط ، ص121.

(8) المرجع نفسه: ص121.

(9) مؤنس: المسلمون في حوض البحر المتوسط ، ص50.

(10) المرجع نفسه: ص50.

(11) المرجع نفسه: ص50.

(12) أرشيبالد لويس: القوى البحرية ، ص130.

الشرق[1]، و بقيت مرسيليا محتفظة بمكانتها ومركزها كميناء مهم، و من بين السلع الواردة إليها، زيت الزيتون[2] الذي كان يأتيها من شمال أفريقيا غالبا، و السلع الشرقية كلها[3]، وكان تجار أوروبا يستوردون الزيت، حيث يقومون باستخدامه في طهي طعامهم به، و يستعملونه للمصابيح في البيوت والكنائس[4]، ولم يقتصر عمل تجار اليهود، والإغريق والسوريين على الاستيراد فحسب، دون التصدير، فمن الواضح أن سفنهم كانت تحمل بضائع أخرى لدى عودتها إلى البلاد[5].

وأهم ما كانت تحمله، هو الدقيق والفراء الذي يجلب من بلاد الروس، وكان أكبر هذه الأسواق في ناربون[6]، و معظم من اشتغل بتلك التجارة من اليهود، و كانوا يجلبون الرقيق لمسلمي أسبانيا[7]، وأحسن المسلمون معاملتهم، وكانوا يمثلون حلقة الوصل الاقتصادية الوحيدة بين المسلمين و النصارى[8]، بل كان اليهود والتجارة مترادفين في المعنى، في ذلك الوقت، وعرفهم المسلمون باسم الرادانيون نسبة إلى نهر الرون، حيث تمركزوا في بلاد حوض هذا النهر[9].

وتعد مدينة إشبيلية من أهم مراكز التجارة في بلاد الأندلس، وهي مدينة قديمة تقع في الجنوب الغربي من الأندلس، بالقرب من البحر المحيط[10]، ويطل عليها جبل الشرف، وهو جبل يكثر به شجر الزيتون، وسائر الفواكه الأخرى[11]، وتعد إشبيلية من أهم المراكز التجارية إنتاجاً لزيت الزيتون، حيث تقوم بتصديره إلى سلى[12]، وتشتهر بإنتاجها العظيم من القطن، و تقوم بتصديره إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب[13]، وكانت إشبيلية من أهم البلاد في إنتاج قصب السكر[14]،

---

(1)(1) أرشيبالد لويس: القوى البحرية، ص130.

(2) المصدر نفسه: ص130.

(3) مؤنس: المسلمون في حوض البحر المتوسط، ص53.

(4) أرشيبالد لويس: القوى البحرية، ص130.

(5) مؤنس: المسلمون في حوض البحر المتوسط، ص53.

(6) المرجع نفسه، ص53.

(7) أرشيبالد لويس: القوى البحرية، ص130.

(8) المرجع نفسه: ص130.

(9) مؤنس: المسلمون في حوض البحر المتوسط ، ص148.

(10) القلشندي: صبح الأعشى،ج5، ص225.

(11) ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج1، ص195.

(12) الإدريسي: صفة المغرب، ص178.

(13) ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج1، ص195.

(14) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص293؛العذري: ترصيع الأخبار، ص96.

وزادت أهميتها نتيجة لأنها تقوم بصناعة السفن(1)، ويذكر البكري أن جباية إشبيلية انتهت إلى خمسة وثلاثين ألف دينار ومائة دينار (2). وكذلك المرية الواقعة على الساحل الشرقي للأندلس، وترجع أهميتها التجارية إلى أنها كانت قاعدة للأسطول الأندلسي(3)، حيث أن بحرها معبر للسفن الكبار (4)، ومرسى مدينة المرية مقسما إلى قسمين، قسم للعدد والآلات الحربية، والقسم الآخر للمراكب التجارية(5)، و ازدحمت مدينة المرية بأعداد كثيرة من الفنادق، فكان بها" ألف فندق إلا ثلاثين فندقا"(6)، و مدينة قرطبة من المدن الأندلسية التي كانت تزدحم بالأسواق التجارية، ومعظم أهلها يشتغلون في التجارة وترجع أهمية قرطبة التجارية، إلى إنتاجها الوفير من معدن الزئبق(7).

وحظيت قرطبة في عصر الخلافة بشهرة واسعة في صناعة المنسوجات بأنواعها مثل: الأقمشة الحريرية بمختلف أنواعها(8)، ومدينة قرطبة ذات تجارة نشطة مزدحمة أسواقها بمختلف أنواع السلع، و غالبية هذه الأسواق تحيط بجامع قرطبة(9)، ومدينة مالقة أيضاً كانت من أهم المدن التجارية والصناعية، ويذكر المقري مزاياها فيقول: " وهي إحدى قواعد الأندلس، وبلادها الحسان، جامعة بين مرافق البر والبحر، كثيرة الفواكه، رأيت العنب يباع في أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير، ورمانها المرسي الياقوتي الذي لا نظير له في الدنيا "(10).

ونشطت الحركة التجارية في مدينة مالقة، وانتشرت بها الأسواق التجارية التي امتلات بمختلف أنواع السلع، من غلال وشعير وذرة وأصناف فاكهة أخرى(11)، وعرفت مالقة بصناعة الحديد،

---

(1) ابن حيان: المقتبس، ص101.

(2) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا، ص116.

(3) ابن الفضل الله العمري: وصف أفريقيا والأندلس، ص40.

(4) ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ص120.

(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج5، ص119.

(6) الحميري: الروض المعطار، ص184.

(7) الإدريسي: صفة المغرب، ص213

(8) المقري: نفح الطيب ،ج1، ص102-123.

(9) الحميري: الروض المعطار، ص140.

(10) المقري: نفح الطيب ،ج1، ص152.

(11) ابن حزم: الرد على ابن التغريلة اليهودي ، ص175،177.

فصنعوا منه المقصات والسكاكين والرماح والدروع والسيوف وغيرها[1]، وكانت مالقة يصدر منها العنبر والكتان والحرير والمرجان والرصاص والذهب والفضة والعسل[2].

وتعد الجزيرة من المدن التجارية المهمة في بلاد الأندلس، حيث يعد مرسى الجزيرة من أجود المراسي للعبور، وأقربها من البحر[3]، و بلغت جباية كورة الجزيرة وحدها نحو ست مائة دينار وثمانية عشر دينار[4]، و تعد غرناطة من أهم المراكز التجارية إنتاجاً للكتان وتصديراً له[5]، وتستخرج منها المعادن والذهب[6] والفضة والعصفر والحديد والرصاص والنحاس[7] وكانت طليطلة مدينة كبيرة ذات خصائص وميزات محمودة[8]، تصدر الزعفران إلى جميع الجهات، ومن خصائصها أن الغلال تبقى في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير[9]، و اهتم الخلفاء الأمويون في بلاد الأندلس بتأمين الطرق التجارية داخل البلاد، واهتموا بتوفير الفنادق والحمامات لخدمة التجار والمسافريين[10]، وربطت المدن والمراكز التجارية الأندلسية بعضها ببعض بشبكة من الطرق التجارية، وهذا أدى إلى إنتعاش التجارة داخل الأندلس وخارجها، و كانت تخرج من مدينة قرطبة حاضرة الأندلس شبكة من الطرق التجارية عددها ستة[11].

---

(1) العمري، شهاب الدين بن فضل الله: مسالك الأبصار "وصف أفريقيا "، تونس، نشر: حسن عبد الوهاب، ص48.

(2) الإصطخري، أبو إسحق إبراهيم الاصطخري: المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبد العال الجيني مراجعة: محمد شفيق،1961م، ص37.

(3) ابن غالب: فرحة الأنفس، ص294؛ الإدريسي: صفة المغرب ، ص176،177.

(4) البكري: جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص118.

(5) الحميري: الروض المعطار ، ص24.

(6) ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج4، ص195.

(7) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح: عنان، القاهرة ،1966 م، ج1، ص58.

(8) ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج4،ص39.

(9) القزويني، زكريا: آثار البلاد وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، نشر: وستنفلد، ص446.

(10) ابن حوقل: صورة الأرض، ص111.

(11) مؤنس: الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، مدريد،1386هـ-1967م، ص288.

وكانت الأسواق التجارية في البلدان الإسلامية لها أهميتها الخاصة، حيث قام الخليفة الحكم المستنصر بتنظيم الأسواق داخل مدينة قرطبة، وأمر بتوسيعها حتى تتسع لجميع السلع(1)، ولكي يفسح الطريق للصادر والوارد إلى السوق الأندلسية(2)، ويبدو أن هذه الأسواق بغالبيتها تحيط بجامع قرطبة(3)، وهذه الأسواق مرتبة ترتيبا حسنا، بحيث تخصصت كل سوق في بيع سلعة معينة(4)، وكل نوع من أنواع التجارة أو حرفة من الحرف يحتل درباً أو سوقاً باسمه(5)، كسوق العطارين، وسوق الفاكهة، وسوق النخاسين(6).

ولهذه الأسواق آدابها العامة، حيث كان يمنع من الاختلاط بين الرجال والنساء في أماكن البيع داخل الأسواق(7).

يبدو أن هذا التكامل بين وجود السلع وإنتاجها بأنواعها، ووجود شبكة أمان من الطرق، وكذلك الاهتمام بعمل الأسواق متاحاً لتلك المنتوجات سواء للصادر أو الوارد، يدل على مدى الاهتمام بالتجارة، بل والإبداع في جعل التجارة مصدراً أساسياً للدخل في الأندلس، و ساعد على ذلك على ما يبدو وقوع المدن الأندلسية قريبة من البحر المتوسط، والتي كانت بها الصناعات المهمة، والتي تحتاج إلى تسويق وبيع سواء داخلياً أو خارجياً.

وأدى ازدياد حركة النشاط التجاري في بلاد الأندلس في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وكثرة عدد التجار الأجانب الواردين على تلك البلاد إلى بناء عدد كبير من الفنادق داخل الأسواق، و لتوفير مكان لمبيت التجار الأجانب، والمحافظة على بضائعهم بعد أن يتم إغلاقها بأقفال رومية الصنع(8)، و انتشرت هذه الفنادق في بلاد الأندلس والمغرب، فازدحمت مدينة المرية بأعداد كثيرة من الفنادق، وكذلك بجانة جهزت أيضاً فنادق عدة(9)، و احتوت تلك الفنادق على خزانات، أو مخازن لحفظ أصناف الفاكهة(10)، و وجدت القياسر، أي مجوعة المباني العامة

---

(1) ابن حيان: المقتبس، ص66.

(2) المصدر نفسه: ص71.

(3) حسن حسني عبد الوهاب: ومضات من الحضارة العربية ، تونس ،ط1، 1966م، ج2،ص68.

(4) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص225.

(5) ابن عبدون: ثلاث رسائل في الحسبة، ص44.

(6) عثمان الكعاك: الحضارة العربية، ص66.

(7) الطرطوشي: الحوادث والبدع، ص41.

(8) آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، تعريب: عبد الهادي أبو ريدة وأخران، ج2، ص378.

(9) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص509.

(10) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص225.

التي ضمت مخازن وحوانيت، وبعض المساجد و يعلوها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار، حيث كانوا يدفعون لقاء ذلك أجرا مقابل المبيت فيها[1].

وكانت أسعار السلع غير ثابتة، فهي تخضع للحالة الاقتصادية التي تمر بها البلاد، ففي بعض الأحيان يكثر الإنتاج فيزيد عن الحاجة فيصدر إلى الخارج، فتنخفض الأسعار نتيجة لذلك، وتنتعش الأحوال الاقتصادية، أما في الأيام التي كان يقل فيها الإنتاج، فترتفع الأسعار[2]، ومن السمات التجارية المبدعة التي حظيت بالاهتمام داخل أسواق الأندلس: هي تسعير السلع الاستهلاكية، مثل القمح والشعير وغيرها من السلع الغذائية المهمة، التي يعتمد عليها عامة الناس، وذلك حماية للناس والعامة[3]، وكانت الحكومة في أغلب الأحيان تتدخل لتحديد أسعار السلع بطريقة لا يقع فيها ظلم، سواء على المستهلك، أو على التاجر، ويرى الفقيه يحيى بن عمر: ضرورة التشدد في مراقبة الأسواق، وضرورة تسعير السلع الغذائية الهامة مثل: القمح لأنه غذاء العامة، وضمان عدم احتكار هذه السلع، لكي تصبح في متناول الجميع[4]، و اتخذت الحكومة في بلاد الأندلس نظاماً دقيقاً للإشراف على الأسواق والتجار، وهذا النظام يتمثل في المحتسب، الذي كان يتولى مهمة الإشراف على الأسواق، وعرف المحتسب في بلاد الأندلس باسم صاحب السوق[5].

وكان لنظام المحتسب أن لعب دوراً عظيماً في نشر العدل بين الناس، فكانت تقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[6]، ولذلك حددت شروط في الذي يقوم بوظيفة المحتسب وكان أهمها: أن يكون عارفا بأحكام الشريعة، حراً عدلاً ذا صرامة، وخشونة في الدين، ولا يرتشي[7]، ونشطت التجارة بين بلاد الأندلس والمغرب نتيجة الازدهار الصناعي والزراعي، والتقدم الحضاري، و ربطت بين الأندلس والمغرب خطوط بحرية، وكانت السفن التجارية تتنقل بصفة دائمة بين سواحل بلاد الأندلس والمغرب[8]، وقد اشتهر ميناء قرية طبرقة بكثرة ورود

---

(1) المقريزي: الخطط ،ج2، ص87،89.

(2) عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، مج 2، ص378.

(3) المجيلدي: التسعير في أحكام التسعير ، تح: موسى بقبال، الجزائر،1997م، ص49.

(4) يحيى ،بن عمر: أحكام السوق التيسير في أحكام التسعير ، تح: حسين مؤنس، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، 1956م، ص51.

(5) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ،ج1، ص62.

(6) ابن بسام: نهاية الرتبة في طلب الحسبة،ص10.

(7) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تح: السيد الباز العريني، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، 1946م، ص6.

(8) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج1،ص154.

التجار الأندلسيين[1]، و كان ميناء يونة وتونس[2]، من الموانئ المهمة التي يصلها تجار الأندلس حاملين منتجاتهم إلى تلك المناطق، ميناء وهران بالمغرب الأوسط، وفيها كان الأندلسيون يحملون الغلال[3]، وموانئ سبتة وطنجة جميعها مرافئ للحط والإقلاع للسفن، و أزيلي آخر المعابر المغربية إلى الأندلس[4].

ومن أهم السلع في بلاد الأندلس: زيت الزيتون الذي تعد إشبيلية من أهم مدن الأندلس إنتاجاً له[5]، وقام الأندلسيون بتصديره إلى سلا في بلاد المغرب[6]، وكذلك الفاكهة، حيث كانت مالقة من أهم المدن الأندلسية إنتاجاً لأنواع كثيرة من الفواكه، ومنها: التين الذي عرف بالتين المالقي[7]، و امتاز هذا النوع من الفاكهة الأندلسية بحلاوة الطعم، وعدم تسوسه، واحتماله البقاء مدة طويلة دون أن يفسد[8]، وصدرت الأندلس المعادن بمختلف أنواعها إلى بلاد المغرب، ولعل من أهمها: معدن الزئبق، وتعد مدينة قرطبة من أهم المدن الأندلسية المنتجة والمصدرة لمعدن الزئبق[9]، والفضة والحديد والرصاص وغيرها[10].

والملاحظ هنا أن بلاد الأندلس كانت غنية بالعديد من السلع التي كانت تنتجها وتصدرها، لأنها تزيد عن حاجة الاستهلاك لديهم، وأن التجارة مع بلاد المغرب وغيرها، كانت عبر الطرق البحرية، ربما لان هذا كان قد ساهم في حفظ السلع أكثر من نقله عبر الطرق البرية، ولكن مما لا شك فيه أن التقدم الصناعي والزراعي أسهم بشكل كبير في تطور التجارة، وهذا يعني أن الاقتصاد حلقة متصلة لا يمكن أن تنفصل عن بعضها، بل تؤثر بعضها ببعض.

وأما ما كانت تستورده الأندلس من بلاد المغرب، هو أنواع عدة من السلع الغذائية المختلفة، و كانت تنقلها المراكب الأندلسية من مراسي بلاد المغرب المنتشرة على طول الساحل الأفريقي[11]،

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص76.

(2) الإصطخري: المسالك والممالك، ص38.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص79.

(4) الإصطخري: المسالك والممالك، ص39

(5) ابن سعيد: نزهة الأنظار ،ج1، ص148.

(6) الإدريسي: صفة المغرب، ص136.

(7) الحميري: الروض المعطار ، ص178.

(8) ابن الوردي، سراج الدين بن حفص بن عمر أبو الفوارس: فريدة العجائب وخريدة الغرائب ، نشر: ليدن،1823م، ص3.

(9) البكري: جغرافية الاندلس، ص129.

(10) ابن حوقل: صورة الأرض، ص95.

(11) المصدر نفسه:82.

ومن أهم هذه السلع: القمح حيث كانت تنقله المراكب إلى الأندلس، عن طريق ميناء وهران وطبرق[1]، وكذلك الفاكهة التي كانت تأتي من مدينة سبتة إلى بلاد الأندلس بكميات وفيرة من مختلف أنواعها[2]، وكذلك صدرت المغرب إلى الأندلس: الجوز واللوز والفستق، حيث كان يأتيها من مدينة قفصة[3]، واستوردت الأندلس من بلاد المغرب أيضا: الصمغ السماوي الذي كان يستخدم في صبغ الجلود، وكان يرد إلى الأندلس من أودغست في المغرب الأقصى[4] واستوردت الأندلس من بلاد المغرب الرخام الوردي والأخضر، و كان يرد من سفاقس وأفريقيا (تونس) قرطاجنة[5].

نلاحظ هنا أن العلاقة بين الأندلس والمغرب كانت علاقة تكاملية على الصعيد الإقتصادي، وهذا أدى إلى علاقات سياسية متميزة، بل وازدهار اقتصادي لكلا البلدين، وهذا يؤكد إبداع الأندلسيين في مجال التجارة، سواء الداخلية أو الخارجية في كل الاتجاهات، وعبر كل المدن البحرية، وحسن استغلالها لتلك المدن التجارية ولشبكة الطرق، التي أوصلتها إلى كل مكان، لتعزيز اقتصادها وتطويره بشكل يضمن الرفاه للمجتمع الأندلسي، وتوفير ما يحتاجونه من سلع وخدمات.

مواكبة لهذا الازدهار الاقتصادي الذي عم بلاد الأندلس أمر الخليفة الناصر سنة (316هـ=928م) باتخاذ السكة في قرطبة، لضرب الدنانير والدراهم، وولي عليها أحمد بن محمد بن حدير، وكانت الدنانير تضرب من الذهب والدراهم من الفضة، و أنشا الخليفة الناصر داراً لضرب النقود في مدينة الزهراء، معطلا دار السكة بقرطبة، وتقلد عبد الرحمن بن يحيى دار الضرب في مدينة الزهراء[6]، وعلى صعيد جباية الأندلس في عهد الخليفة الناصر بلغت أرقام تعد بملايين الدنانير، فالجباية من الكور والقرى بلغت: خمسة آلاف وأربع مائة ألف وثمانين ألف دينار (أي ما يعادل : خمسة ملايين وأربع مائة وثمانين ألف دينار)، ومن السوق والمتخلص سبع مائة وخمسة وستين ألف دينار[7]، وأما أخماس الغنائم فلا يحصيها ديوان[8]، وكانت أموال الدولة مقسمة إلى ثلاثة أثلاث: ثلث يصرف على القوات العسكرية، وثلث للإعمار والبناء،

(1)ابن حوقل: صورة الأرض، ص76،77.

(2) الإدريسي: صفة المغرب، ص167.

(3) البكري: المغرب، ص47.

(4) المصدر نفسه: ص158.

(5) المقري: نفح الطيب ،ج2، ص67.

(6) ابن حيان: المقتبس ،ج5، ص243.

(7) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2، ص231.

(8) المقري: نفح الطيب ،ج1، ص379.

والثلث الآخر احتياطي في خزينة الدولة يستخدم وقت الطوارئ[1]، وترك الخليفة الناصر في خزائنه عند وفاته خمسة آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات من الدنانير (أي ما يعادل خمسة آلاف مليون دينار)[2].

وكان أيضاً يرد إلى الدولة من الخراج، حيث كان يتم جبايته بثلاث طرق: نظام المحاسبة، وتكون نقدا أو نوعا أو الاثنين معا، ونظام المقاسمة: ويؤخذ من المحصول، ونظام المقاطعة ويكون ذلك بمقتضى اتفاقيات معينة بين الحكومة والمتقبلين[3]، ولقد اهتم الأمويون بشؤون الري والزراعة نظرا لأهمية الخراج، كمورد من موارد الدولة المالية، فقد حفروا الترع والقنوات، وأصلحوا القناطر والجسور وغير ذلك، ومثال ذلك: قنطرة قرطبة التي تهدمت في عهد عبد الرحمن الداخل، بسبب السيول، فقام ابنه هشام بتجريده وانفق عليها أمولا عظيمة، وكان يشرف بنفسه على البناء، ويعطي الأجرة للعمال الذين يعملون على إصلاحها[4]، كما اهتم باستصلاح الكثير من الأراضي المقفرة، وحولها إلى أرض خصبة صالحة للزراعة[5]،

ومن هنا كثرت حصيلة الخراج، وخاصة في سنوات المطر، ولكن لم يعرف كم مقدار الخراج وحصيلته في الأندلس وأشارت معظم المصادر إلى الدخل بكلمة (الخراج على أنه الجباية، في كثير من المواطن)[6].

وكانت الجزية مورداً للدولة، والتي كانت تؤخذ من أهل الذمة، وهي تسقط بالإسلام بخلاف الخراج[7]، والجزية كما يقول الماوردي: " هو مقابل استقرارهم في دار الإسلام، ويلتزم لهم مقابلها بحقين: أولهما: الكف عنهم، والثاني: الحماية لهم ليكونوا آمنين وبالحماية محروسين"[8]، و كانت الزكاة والصدقة، وهي عبارة عن ما يؤخذ من أغنياء المسلمين ويرد إلى فقرائهم، وينقسم إلى عدة أنواع: زكاة الأموال، وزكاة السوائم، وزكاة الزروع والثمار، وزكاة عروض التجارة، وزكاة المعدن والركاز[9].

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب، ج2، ص231.

(2) المقري: نفح الطيب،ج1، ص379.

(3) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام ،ج2، ص278.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2، ص98.

(5)محمود: المسلمون في الأندلس، ص208.

(6) المقري: نفح الطيب ،ج1، ص175-255.

(7) دويدار: المجتمع الأندلسي، ص368.

(8) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص127.

(9) دويدار: المجتمع الأندلسي، ص369.

وكذلك المواريث الحشرية، وهي مال من يموت وليس له وارث، فيرد هذا المال إلى بيت مال المسلمين[1]، وكذلك كان من موارد بيت المال: الفيء والغنيمة التي يحصل عليها المسلمين من خلال الحرب، وكثرت هذه نتيجة لكثرة الحروب التي خاضها المسلمون ضد الممالك النصرانية في شمال أسبانيا، مثل قشتالة وليون ونافر وقتلونيا، وضد الفاطميين في بلاد المغرب، وضد بلاد الفرنجة، فقد كثرت الغنائم، وخاصة في عهد الخليفة الناصر، وفي عهد المنصور بن أبي عامر، الذي قام بأكثر من خمسين غزوة لم يهزم في أي منها، وعاد منها بغنائم كثيرة[2]، ويوجد أيضاً العشور كمورد اقتصادي، حيث كان يؤخذ من التجار الأجانب الذين يقومون بتجارتهم، فكانوا يدفعون عشر قيمتها، مثل الضرائب الجمركية التي تقدر على الواردات حالياً في وقتنا هذا، وكان هذا يمثل دخلاً كبيراً للأندلس، وخاصة في العصر الأموي، حيث كثرت التجارات بين الأندلس وغيرها من البلدان في أوروبا والمشرق[3].

وكذلك المكوس: وهي عبارة عن ضريبة فرضتها الدولة لزيادة مواردها، وخاصة في أوقات القحط والأزمات والشدائد، وفي أوقات الحروب، وشملت أغلب السلع التي كانت تباع في الأسواق، والبضائع الواردة من الخارج، وهو شبيه ما تفرضه الكثير من الدول الأن لحماية منتجاتها المحلية[4]، والأحباس (الأوقاف) ومثلت مصدر غير مباشر من مصادر الدولة أيضاً، حيث كانت تسد جزءا من نفاقاتها على المؤسسات العامة،

وبناء وصيانة المؤسسات الدينية والعلمية ورعاية طلاب العلم والمرضى والمعوزين وغير ذلك[5]، وتعد هذه الموارد التي كانت تمثل دخلا كبيرا للدولة، ومن حصيلتها كانت تقوم بالإنفاق في الأوجه المختلفة مثل: أرزاق الجند والموظفين، وإنشاء المشروعات العامة، مثل حفر الترع والقنوات، و إنشاء القناطر والجسور، وبناء المساجد، ونفقات الحملات العسكرية، وشراء الأسلحة والمعدات الحربية، وترتيب العسس في الدرابين لحراسة الأسواق، والطرقات وغير ذلك[6].

ومما يدل على تزايد هذا المورد من عهد إلى عهد، هو أن الجباية في عهد الحكم بن هشام الملقب بالربضي، كانت مائة وعشرة ألاف وعشريين دينار، ومن القمح أربعة ألاف وست مائة

---

(1) عاشور وآخران: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ص312.

(2) الصوفي، خالد: تاريخ العرب في أسبانيا (عصر المنصور الأندلسي)، ص113.

(3) دويدار: المجتمع الأندلسي، ص371.

(4) عاشور وأخران: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية، ص314.

(5) المقري: نفح الطيب، ج1، ص168.

(6) دويدار: المجتمع الأندلسي، ص375

مدى، ومن الشعير سبعة آلاف وست مائة وسبعة وأربعين مديا(1)، وبلغت في عهد ابنه عبد الرحمن الأوسط ألف الف دينار في السنة(2).

وهكذا نجد هذا الإبداع والتطور الاقتصادي، الذي أدى إلى ازدهار الحياة في الأندلس بكل اتجاهاتها، كان نتيجة لنشر العدل والمساواة بين الناس، وذلك لأنهم استمدوه من خلال العقيدة والشريعة الإسلامية الغراء التي أعطت لكل ذي حق حقه، دون إجحاف أو تمييز، كما كان يحدث من قبل في عصر الإقطاع، وربما هذا الذي عزز صمود ووجود المسلمين على هذه الأرض لحقب طويلة، والآن من الجدير بنا أن نعرج على الإبداع في المجال العسكري، الذي جعل المسلمين بالرغم من كثرة الحروب يصمدون في هذا الواقع الصعب، وهذه الجزيرة المعزولة، ونرى كيف تطور الجيش والسلاح والخطط العسكرية، والأدوات الحربية لدى المسلمين الأندلسيين.

.

---

(1) المقري: نفح الطيب ،ج1، ص164.

(2) المصدر نفسه:ج1، ص162.

الفصل السادس
الإبداع العسكري لمسلمي الأندلس

- المبحث الأول: الإبداع في إعداد الجيش والسلاح.
- المبحث الثاني: الإبداع في التخطيط العسكري والجهاد.
- المبحث الثالث: الإبداع في إعداد الأسوار والحصون والثغور.

المبحث الأول

الإبداع في إعداد الجيش والسلاح

أولاً: الجيش:

الأندلس مقسمة إلى عدد من الكور، ولكل كورة ديوان للجند، وهو بمثابة وزارة دفاع، يسجل فيها أسماء جنودها، ففي حالة النفير للحرب تتجمع هذه القوات المدونة من الجند في ديوان كل كورة، إلى جانب ما يضاف إليها من المتطوعين والمجاهدين المرابطين الذين عرفوا باسم الحشد، ويوجد بقرطبة أقاليم كثيرة، وكور جليلة، وكانت جباية هذه الأقاليم في أيام الحكم بن هشام الربضي، للعام الواحد مائة واثنان وأربعون ألف دينار، ومن وظيفة القمح مديا[1]، وثلاث وخمسون ألف مد من الشعير، وثلاث وسبعون ألف مد[2]، وبلغ خراج الأندلس الذي يؤدى إلى ملوك بني أمية، نحو ثلاث مائة ألف دينار كل سنة، وعلى كل مدسنة من مدنهم مال معلوم، فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك[3].

وعندما ازدهرت الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300–350هـ=912–961م) وارتفعت أرقام هذا الدخل أضعاف ذلك، وكان الثلث أيضاً يذهب إلى الجيش لتمويله[4]، واستمرت زيادة تمويل الجيش في عهد المنصور ابن أبي عامر (ت392هـ=1002م) نتيجة لاتساع الحملات العسكرية ضد الممالك الأسبانية، وكثر المال والسبي والغنائم، وهذا تطلب أيضا الإنفاق على هذه الحملات بالمال الكثير، وصرف رواتب الجند والهباة وغيرها[5].

والجيش الأندلسي عبارة عن أجناس مختلفة، ولذلك كان المنصور بن أبي عامر ينظر بعين اليقظة لذلك خوفا من التمرد عليه، ولكن اختلاف أجناده من قبائل شتى، جعله يتصدى لأي طائفة تحاول الخروج عليه، بحيث يغلبها بسائر الفئات الأخرى[6]، وحينما أبدع الأندلسيون نظام الرواتب، قلل ذلك من العصبية القبلية، و انطلق الجند على الأرض لتعميرها[7].

---

(1) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص59.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص251،250.

(3) المقري: نفح الطيب،ج1، ص329،140.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2، ص231.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، ص98.

(6) عبد الله بن زيري: كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة ، القاهرة، نشر ليفي بروفنسال، مجموعة ذخائر العرب، ص16.

(7) الطرطوشي: سراج الملوك، ص229.

فكان الجيش يتكون بالإضافة إلى العنصر العربي من عدد آخر من القبائل المختلفة ومنهم: القيسية و مقرهم بنسيا، وهم نسبة إلى بني مراد، وهي قبيلة يمنية معروفة، و إحدى كبريات القبائل اليمنية أيضاً في غرناطة[1][2].

والبربر وأصولهم من المغرب، حيث دائما ما كان يقرن المغرب بالأندلس[3]، و رأى ابن حيان أن الخليفة الأموي الحكم المستنصر (ت366هـ=976م) قد شجع فرنسان زناتة من بني برزال وغيرهم على القدوم إلى الأندلس والخدمة في جيوشه، مقدماً لهم الأرزاق الوفيرة، فكان لديه قوة منهم تقدر بسبعمائة فارس، وكان معجباً بهم وبقدراتهم القتالية العالية وبمهارتهم على الخيل[4]، وسار على سياسة استخدام البربر من بعد الحاجب المنصور بن أبي عامر، فاستخدمهم كجنود مرتزقة في جيوشه، مقدما لهم كل الحوافز والتسهيلات من أرزاق وإقامة، و وصل عدد الفرنسان البرابرة الذين قيدوا في ديوان المنصور ثلاثة آلاف فارس، ويضاف إلى هذا العدد الأتباع، ومن رجالة السودان الداخليين في عدادهم، ويبلغ عددهم ألفي رجل[5]، و امتلأت العاصمة قرطبة بهؤلاء الوافدين الجدد مما أدى إلى اتساعها، بإنشاء أحياء جديدة فيها، و اضطر المنصور إلى توسيع جامع قرطبة[6]

وكان لاستعانة المنصور بالبربر أن أحدث توازناً في الجيش أدى إلى انتصاراته على الممالك النصرانية، وكانت تلك الاستعانة بدافع الخوف من جيش الخلافة الأندلسي في أن يثور ضده أو يعزله، ويقضي عليه، وهذا جعله يعيد تنظيم الجيش الأندلسي تنظيماً عسكرياً جديداً[7]، وهذه السياسة الأندلسية باستخدام البربر حققت للأندلس نصراً عسكريا مهماً[8]، و تم استخدام الجنود السود بالأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (ت172هـ=788م)، و أحاط نفسه بحرس من العبيد السود أطلق عليهم(عرافة السود)، والعرافة هي الدائرة أو الديرة التي يقيم فيها

---

(1) مكي، محمود: مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في أسبانيا، القاهرة، مؤتمر مجمع اللغة العربية،،1995م، ص19.

(2) ينظر: ملحق رقم(6)،(38).

(3) الناضوري: المغرب الكبير في العصور القديمة، ص62.

(4) ابن حيان: المقتبس، ص193.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص102.

(6) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2، ص287.

(7) بن زيري: مذكرات الأمير عبد الله (التبيان)، ص16،17.

(8) ابن السماك، أبو القاسم بن محمد بن أبي العلاء العاملي: الزهرات المنثورة ، تح: محمود مكي ، مدريد ،1984م، ص73.

الجنود[1]، و أطلق اسم الطنجيين على أخلاط الجنود المرتزقة من أراذل البربر والعبيد[2]، و تم استخدام العبيد من السودان في جيوش المستنصر، فيذكر ابن حيان: أن هذا الخليفة قد استخدم في جيوشه فرقة العبيد السود، الذين جاؤوا إلى قرطبة بصحبة سيدهم وقائد الفاطميين السابق جعفر بن علي بن حمدون، بعد خروجه عن طاعة الفاطميين[3]، وفي عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر استخدم عدداً كبيراً من رجالة الرقاصة السودان، و بلغ عددهم ألفي رجل، قدموا إلى الأندلس مع طوائف فرسان البربر من المغرب[4]، وكلمة راقصين كانت تطلق في المغرب على عمال البريد والسعاة، ويبدو أن هؤلاء السودانيين كانوا مكلفين بهذا العمل الخاص بنقل مراسلات الدولة الرسمية، وقد اشتهر عنهم سرعة الركض[5].

وتكون الجيش من عناصر الصقالبة، وهم المماليك، أو العناصر الأوروبية الأصل، الذين جلبوا كرقيق إلى الأندلس منذ صغرهم، وقد تم تربيتهم تربية عسكرية إسلامية، واستمرت أعداد هؤلاء الصقالبة في ازدياد مستمر، حتى صاروا في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر يكونون طبقة جديدة في المجتمع الأندلسي[6]، ولقد بلغ عدد المماليك في الجيش نحو خمسة آلاف، منهم ثلاثة آلاف فارس، وألفا رجل مجند، وكان يسميهم الخرس لأنهم عجم، وكانوا له عيون يجلبون له أحوال وأخبار الناس في عهد الخليفة الحكم بن هشام[7].

واحتل الصقالبة مناصب القيادة والرئاسة والوزارة، ويبدو أن الخليفة عبد الرحمن الناصر كان يستخدمهم للحد من نفوذ القادة العرب، وكان بين كبار ملوك هذه المنطقة، مجاهد العامري الصقلبي الذي استقل بالجزر الشرقية من جزيرة سردينيا، وبعض سواحل إيطاليا، وبسط نفوذه على غربي حوض البحر المتوسط[8].

يتبين مما سبق أن الجيش الأندلسي كان مكونا من خليط من الأجناس، الذين جلبتهم المصالح والأرزاق للقتال في جيش المسلمين بالأندلس، كما جمعتهم العقيدة الإسلامية للدفاع عن المجتمع الأندلسي، وما أنجزه المسلمون في تلك البلاد، بفضل هذا المزيج من العناصر المختلفة، التي

---

(1) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، ص109.

(2) ابن حيان: المقتبس، ص190.

(3) المصدر نفسه: ص192.

(4) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص102.

(5) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج1، ص55.

(6) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2، ص222.

(7) المقري: نفح الطيب،ج1، ص320،319.

(8) العبادي، أحمد مختار: الصقالبة في أسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية، ص103، مدريد،1953م.

حققت الانتصارات، وكان الانتماء والإخلاص للبلاد يسيطر عليهم جميعا، ونرى في قدرة الأندلسيين على استيعاب مختلف الطوائف الاجتماعية داخل صفوف الجيش إبداعاً يعكس العقلية العسكرية المتقدمة، والتي رسخت مبدأ المواطنة بكل معانيها في ذلك العصر.

ثانياً: السلاح:

عرف المسلمون منذ القديم الأسلحة التقليدية المعدنية البيضاء، بل وصنعوها بجودة عالية، مستفيدين من الثروات المعدنية الغنية لديهم، وكذلك من المستورد من الهند وروسيا وبيزنطة وغيرها، وعلى هذا الأساس أي وجود الخامات، قامت صناعة الأسلحة التي اشتهرت بأسماء الأماكن التي صنعت وبيعت فيها مثل: السيوف الهندية الحادة التي تغنى بها العرب في أشعارهم، وهناك السيوف الفارسية واليمنية والشامية، وكذلك عندما فتح المسلمون بلاد الأندلس، بهرتهم مجموعات الأسلحة التي غنموها من القوط النصارى، مثل السيوف والرماح والقسي والدرقات وغيرها[1]، وحافظ الأندلسيون على هذا التراث الصناعي، بل وطوروه وشجعوا على التنقيب على المعادن، ولا سيما الحديد الأندلسي، الذي اشتهر بجودته في العالم، وبين أهم مراكز صناعة الأسلحة إشبيلية وطليطلة والمرية ومرسية وغرناطة، حيث كانت تصنع السيوف والدروع، والخوذات والسروج وغيرها من الآلات الحربية، و أشاد المؤرخون بمهارة وإبداع الأندلسين في صناعة هذه الآلات[2].

ومع ذلك اشترى الأندلسيون الأسلحة الجديدة من البلاد المجاورة مثل: شراء البردليات المشهورة بالجودة من مدينة بوردوا الفرنسية[3]، واستخدم المسلمون السيوف المستقيمة النصال ذات الحدين، والتي امتازت بأنها واقيا بثنيتها إلى الأسفل[4]، وإلى جانب السيوف استخدم الأندلسيون أسلحة الرمي مثل: السهام والنبال والنشاب، التي اشتهرت بها مدينة سبتة المغربية، حيث كانت تصنعها وتشتهر بها وبجودتها[5]، واشتهرت مدينة فاس بالمغرب بصناعة السيوف والسكاكين، واستخدم الأندلسيون سلاح القوس، ومنها قوس اليد، وهي القوس العربية، وقوس الرجل وهي

---

(1) زكي، عبد الرحمن: السيف في العالم الإسلامي، ص81،القاهرة ،1957م.

(2) المقري: نفح الطيب،ج4،ص147.

(3) المصدر نفسه:ج1، ص188.

(4) زكي: السيف في العالم الإسلامي، ص82.

(5) السبتي، محمد بن القاسم الأنصاري: وصف مدينة سبتة ، نشر: ليفي بروفنسال، مجلة هسيريس، 1931م، ج12، ص156.

إفرنجية، وهذا النوع الثاني كان سائدا في الأندلس[1]، وكذلك استخدم الأندلسيون اللتوت، وهي أعمدة ذات رؤوس حديدية مستطيلة، والدبابيس والطبر، وهي الفاس أو البلطة[2]، واستخدم الأندلسيون الأسلحة الدفاعية، وهي أسلحة للوقاية التي تحمي الجسم، و ويصد بها المحارب ضربات خصمه، ومن أهم هذه الأسلحة: الخوذة أو البيضة، أو ما تعرف بالقلنسوة الحديدية لحماية الراس، ويطلقون عليه أيضا اسم الطشتانيات، ومفردها طاشتان باللغة اللاتينية، واشتهر بها القائد الأندلسي غالب بن عبد الرحمن أمير الثغور، وقائد الجيوش في عهد الخليفة الحكم المستنصر [3].

وعرفوا المغفر الذي يحمي الرأس والرقبة والأذنيين، وفي بعض الأحيان الأنف أيضاً، و طور الأندلسيون مضادات تحمي الوجه كاملاً، وهي ما تسمى بالمغافر المسبلة[4]، وعرفوا الزرد أي الدرع المصنوع من زرد الحديد تتداخل حلقاته بعضها مع بعض، وبعضه قصير والبعض الآخر طويل[5]، واستخدموا الجوش، وهو درع من الزرد، ولكن تضاف بين ثنايا حلقاته صفائح أو رقائق معدنية مستطيلة أيقونية، وفي العادة يكون درعاً صدراً بغير ظهر، وكذلك من أسلحة الدفاع التي يحمل باليد لاتقاء ضربات السيوف والسهام وغيرها: المجن والترس المعدني[6].

واستخدم الأندلسيون أيضاً الجلد اللمطي من صحراء المغرب، واللمط هو حيوان يعيش في صحارى أفريقيا من فصيلة الضباء ذوات القرون، وقيل أنهم كانوا ينقعون الجلود في اللبن والحليب سنة كاملة ثم يعملونها ورق، ومن أهم خاصية ورقية للمط، أنها إن أصيبت بضربة سيف أو رمح، أغلقت الضربة، والتحمت من وقتها، واختفت فلا تظهر[7].

ولقد أورد صاحب الاستبصار وصفا لحيوان اللمط فقال فيه : " وهذا الحيوان المسمى اللمط، هو دابة دون البقر لها قرون رقاق حادة، تكون لذكرانها وإناثها، وكلما كبر هذا الحيوان، طال

---

(1) ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن: حلية الفرسان وشعار الشجعان، تح: محمد عبد الغني حسن، القاهرة، دار المعارف، 1949م، ص211.

(2) المصدر نفسه: ص211.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص113.

(4) ابن هذيل: حلية الفرسان وشعار الشجعان، ص212.

(5) المصدر نفسه: ص45.

(6) المصدر نفسه: ص46.

(7) المصدر نفسه: ص231،232.

قربه حتى يكون أزيد من أربعة أشبار، وأجود الدرق وأغلاها ثمنا، ما عجل من جلود الإناث المسنات، التي طالت قرونها لكبر سنها، حتى منعت الفحل أن يعلوها "[1].

ومن أسلحة الحصار وهي عبارة عن أسلحة قديمة عرفها المسلمون منذ وقت مبكر، وعملوا على تطويرها عبر السنين، وقد استخدمها الأندلسيون في حروبهم ومنها: الدبابة وهي برج خشبي ذو طوابق مغلقة بالجلود المنقوعة في الخل لدفع النار عنها، وتتحرك على عجلات، ليصعد عليها الجند بهدف ثقب الأسوار بالمعادن أو النزول فوقها[2]، ويوجد الكبش: وهو عبارة عن رأس حديد مثل رأس الكبش، يتصل بعمود غليظ داخل الدبابة معلق بحبال تجري على لكر معلقة فوق الدبابة، يدفعه الجنود وهم داخلها لثقب الأسوار، وسلالم الحصار، التي يصعد بواسطتها المحاربون على الأسوار لاقتحامها من داخلها[3].

وعرف المنجنيق، وهو اسم أعجمي الأصل، و أشهر الآلات للحصار ورمي الحجارة والسهام والنار والثعابين والعقارب، وكل ما يضر العدو ويجبره على الاستسلام[4]،

ويوجد العرادة، وهي آلة أصغر من المنجنيق، وترمي السهام والحجارة على مسافات طويلة بشكل قوي، والزيادة: هي عبارة عن آلة قاذفة لأعداد من السهام دفعة واحدة[5]، و قال المؤرخ القرطبي الذي عاصر أبو مروان بن حيان، وهو يصف بعض محتويات خزانة السلاح بقرطبة على عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر بقوله: " وكان الرسم يصنع من الأخبية عدة للجند كل عام على أجناسها، ثلاثة ألاف وغلمانه، وكان يصنع بدار التراسيين من أصناف التراس كل سنة، حسبما تلقينه بن يحيى التراس أحد من بقي من مشيخة التراسيين في وقتنا فقال: "كانت الطريحة من التراس في السنة ثلاث عشر ألف ترس، وطريحة القسي في السنة اثنى عش ألف قوس بشطرين عربية وتركية، وستة آلاف من قبل أبي العباس البغدادي المعلم الأكبر بقرطبة، ومثلها من قبل طلحة الصقلبي بالزهراء، وكانت طريحة النبل في الشهر عشرين ألفا "[6].

وأعجب الملك سانشو عندما استقبله المنصور بن أبي عامر في قصره، وهو بقصر الزهراء، وقد بهره أنواع الأسلحة التي كانت معروضة في حفل استقباله، ورأى من وفود المسلمين ونباهة

---

(1) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب المعصار، تح: سعد زغلول، جامعة الإسكندرية، 1958م، ص214.

(2) العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص47.

(3) المرجع نفسه: ص47.

(4) المرجع نفسه: ص47.

(5) الرفاعي، أنور: الإسلام في حضارته ونظمه، دمشق ،1973م، ص198.

(6) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص101.

أسلحتهم، وجمال ترسهم، وكثرة عددهم، ما لم يكن يظن أن الدنيا تجمعه، ولا الأيام تحشده، فكان الأبطال لبسوا السوق والسواعد وأسبغوا الحلق، وعلقوا الدرق، وخلفهم صفوف الرماة مشدودا عليها المناطق الذهبية، والملك الرومي قد غشي قلبه ذعرا، إلى أن وصل مجلس المنصور، وقد قعد له أفخم قعود، وكان أعلى مرتبة، مكتنفاً سريره بالوزراء، وأعاظم رجال الدولة، وامتد الوصفاء والصقالابة صفين من باب المجلس إلى باب القصر، فحين وقعت عينه على المنصور بن أبي عامر، أهوى إلى الأرض مقبلا، يعيد ذلك مرات، وهو يستدنيه، حتى قبل رجليه ويديه، وأخر ما لقي له كرسي مذهب فقعد عليه، وأشار فخرج الناس، وخلى به قاضيا وطره من عدله، والعلج يقابله بالاعتراف، ثم خرج وتبعه بالخلع السلطانية، وفشت بين يديه المراكب والبروز، وما انقضى المجلس إلا تحت جناح الليل[1].

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص73،74.

المبحث الثاني

الإبداع في التخطيط العسكري والجهاد

كان الاستعداد للصائفة يبدأ عادة قبل شهر على الأقل من خروجها، أي في شهر سابق، حيث تكون المحاصيل الزراعية في وقت نمائها في كلا الجانبين الإسلامي والمسيحي، وجرت العادة أن تعتمد الجيوش على مواردها الخاصة في تلك الحروب[1]، وفي أوقات القحط والجفاف لم يكن يخرج الحاكم للغزو، كما حدث لعبد الرحمن الناصر في صيف سنة(301هـ=915م) عندما عجز عن تجريد الصوائف إلى العدو بسبب القحط، واكتفى في ذلك العام بتحصين الثغور، وضبط الأطراف، ومراقبة أهل الخلاف[2].

وحاول الحاجب المنصور بن أبي عامر تلافي مصاعب القحط والجفاف، عن طريق تخزين الحنطة والأطعمة والعلوفات في المخازن، لاستخدامها وقت الحاجة[3]، و كان صاحب العرض أو عارض الجيش وأعوانه في الكور المختلفة، هم الذين يشرفون على إعداد الصائفة قبل خروجها بشهر على الأقل، يجرون تفتيشاً دقيقاً على مخازن ومصانع الأسلحة والملابس، وعلى الغلال والأقوات والعلوفات، و على دور الصناعة التي تختص ببناء الأساطيل، وكانت الخيل والبغال والجمال تستخدم بالآلاف لحمل أمتعة الحملة وأثقالها، مثل أسلحة القتال، وآلات الحصار والأخبية والخيام بكل ما يلزمها من غطاء وحبال وأوتاد، ثم آلات الطبخ والوضوء والساقية، وإرجاء طحن الغلال، وأنواع المأكل والعقاقير والزيت واللحم والنفط والقطران، والسروج والمشافة، وأغلال السجون للأسرى، وهوادج النساء الغوازي، من المنشدات للأغاني الحماسية، لإثارة حماس الجند في القتال[4]، و من مهام صاحب العرض أيضا، إعداد الأموال الخاصة بنفقات الحملة وأرزاق الجند، وحفظها في صناديق محكمة، كما كان عليه تنظيم وتنسيق فرق الجيش، ومعرفة قدراتها القتالية ومواردها التموينية في فترة زمنية محدودة[5].

واعتمد الأندلسون على نقل أثقالهم وأمتعتهم على الدواب فقط، ولم يحاولوا استخدام مركبات أو العجلات، كما كان يفعل الأسبان، وكان ملك قشتالة سانشو غرسيه أرسل إلى الخليفة سليمان

---

(1) ابن دحية الكلبي: المطرب من أشعار أهل المغرب، القاهرة، نشر: إبراهيم الأبياري وزميله، 1954م، ص135.

(2) ابن حيان: المقتبس،ج1، ص109،110.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص99.

(4) ابن خلدون: المقدمة، ص258.

(5) العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص153.

المستعين ألف عجلة من الديق، والعقاقير، وأنواع المأكل سنة(399هـ=1009م)[1]، ولكن يبدو أن المسلمين قد استخدموا العجلات منذ وقت مبكر، كما قال ابن عذارى في موسى بن نصير نقلا عن الرقيق القيرواني: "وفي سنة(95هـ=714م) انصرف موسى من الأندلس إلى أفريقيا بما فاء الله عليه، فأجاز الأموال من الذهب والفضة والجوهر في المراكب، ثم حملها على العجلات، فكانت وسق مائة عجلة وأربعة عشر عجلة"[2]، وروى الحميري: "أثناء وصفه لمدينة شذونة في جنوب غرب الأندلس، أنه كان يوجد بالقرب منها فأس حديد في شق صخرة جبلية، وأنهم في الأزمنة الماضية حاولوا استخراج الفاس، باستخدام عجلتان تجرهما الثيران فلم تستطيع ذلك "[3]، وذكر أنه في عيد النصارى كان أهل بهنس يصنعون تابوتا فيه رجل ميت على عجلة، ويسمونه ابن مرمي، ويزعمون أنه من الحواريين، ويتبركون به، ويتقربون إلى الله، وتجر تلك العجلة البقر[4]، وكان بمدينة فاس بعض الآثار الباقية للسلطان أبي الحسن المريني، أي حوض من الرخام الأبيض المجلوبة من المرية، والتي تم حملها على عجل خشب تجرها القبائل إلى منزل أولاد محبوب[5]، وهكذا عندما يتم الاستعداد للحرب، يتم إعلان النفير العام، وحالة الاستنفار في جميع أنحاء البلاد، فتجتمع الجنود في العاصمة قرطبة، وفي شمال الوادي الكبير شرقي العاصمة، وبعد أن يجتمع الجند يبرز الخليفة لهم متقلداً سيفه، راكباً فرسه، وحوله أتباعه، وجيشه وسط الهتاف والتكبير، فيعسكر في الصرادق، ثم يشاهد عرضاً عسكرياً بجنوده بأسلحتهم المختلفة في جو من الهيبة والنظام[6].

وروى بن المنظور بن أبي عامر: " أنه قتل جندياً في ساحة العرض لأنه أخل بالنظام، حينما شهر سيفه من غمده بدون إذن[7]، وأشار ابن حيان أنه كان يشاهد احتفال بالمسجد الأموي بقرطبة قبيل خروج الحملة العسكرية في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط سنة (266هـ=879م)[8]، ويخرج بعد ذلك الجيش برايته والويته وأعلامه إلى دار الحرب، وتحدث المؤرخ ابن هذيل عن تنظيم الجيش الأندلسي أيام الخلافة الأموية، وهو يشبه إلى حد كبير

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب،ج3، ص86.

(2) المصدر نفسه :ج1، ص43.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص100.

(4) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، الجزائر، نشر: دي سيلان، سنة 1911م، ص15،14.

(5) السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء،1952م، ج2،ص176.

(6) ابن حيان: المقتبس،ج5، ص233.

(7) ابن السماك، العاملي: الزهرات المنثورة ، ص87.

(8) ابن حيان: المقتبس ، ص25.

تنظيمات الجيوش الشرقية في ذلك الوقت[1]، وقيل أن الجيش كان ينقسم إلى عدد من الفرق، كل فرقة تتألف من خمسة آلاف جندي، وعليها أمير يحمل راية، وكل فرقة تنقسم إلى خمس كتائب، وكل كتيبة تتألف من ألف جندي عليها قائد يحمل علما، وكل كتيبة تنقسم إلى خمسة أقسام أخرى، وكل قسم يتكون من أربعين عليهم عريف يحمل بندا، وينقسم كل أربعين إلى خمسة أقسام، على ثمانية جنود وناظر يحمل عقدة[2]، وكان الجيش عندما يقترب من أرض العدو، أو دار الحرب ينضم إليه قواد الثغور بجيوشهم وعتادهم،

ثم يتقدم الجميع لملاقاة العدو، وكان ضمن خطط الجيش بأن يتقدم عيونه لمعرفة أخبار العدو، وعدد شجعانه وجنوده[3].

وكان هناك الأدلاء الذين يتقدمون الجيش، لإرشاده إلى المسالك والطرقات الصحيحة بين الجبال الوعرة، ولذلك كان يختار لهذه المهمة الرجال الموثوق بهم، وبأمانتهم وإخلاصهم[4]، وعلى الرغم من تطور أساليب القتال عند المسلمين حسب تطور المدنية، وتقدمها خلال العصر الوسيط، إلا أنهم ظلوا رغم ذلك يطبقون طريقة الكر والفر التي اعتادوا عليها من قديم، ما دام ميدان المعركة يسمح بذلك، إذ أن هذه الطريقة تحتاج إلى ميدان فسيح، حيث يروحون وينصرفون في الطول والعرض[5].

إلا أن مسلمي الأندلس مع مرور الزمن حدث تطورلهم في الاستراتيجية العسكرية، حيث تأقلموا على البيئة الأسبانية، واعتادوا القتال في المناطق الجبلية، وأبدعوا في ذلك[6]، وخاض المسلمون عدة معارك في الجبال الوعرة، ومنها اقتحام المنصور أرض قشتالة من ناحية مدينة سالم، وكانت أشدها معركة جبل جربيرة المنيع، وانتصر فيها على ملك قشتالة سانشو جاريثا سنة (390هـ=1000م) بعد قدرة المسلمين على القتال في هذه الجبال والقلاع الوعرة[7].

ويقول الطرطوشي عن طريقة القتال وتعبئة الجيوش:" فأما صفة اللقاء، وهو أحسن ترتيب رايناه في بلدنا، مهد أن تتقدم الرجالة بالدرق الكاملة، والرماح الطوال، والمزاريق المسنونة النافذة،

---

(1) ابن هذيل: تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، ص133.

(2) المصدر نفسه: ص134.

(3) العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص75.

(4) المصدر نفسه، ص75.

(5) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد: المن بالإمامة على المستضعفين ، تح: عبد الهادي الغازي، بيروت،1964م، ص507.

(6) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2، ص295.

(7) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص69.

فيصفوا صفوفهم ويركزوا مراكزهم، ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض، وصدورهم شامخة إلى عدوهم، وهم جاثمون في الأرض، وكل رجل منهم قد ألقم الأرض بركبته اليسرى، وترسه قائم بين يديه، وخلفهم الرماة المختارون، التي تمرق سهامهم من الدروع، والخيل خلف الرماة، فإذا حملت الروم على المسلمين، لم يتزحزح الرجال هيئاتهم، ولا يقوم رجل منهم على قدميه، فإذا اقترب العدو رشقتهم الرماة بالنشاب، والرجالة بالمزاريق، وصور الرماح تلقاهم، فأخذوا يمنة ويسرى، وتحرج خيل المسلمين بين الرماة والرجالة، فتنال منهم ما شاء الله "[1].

يتبين من هذا الوصف السابق أن هناك نوعا من التطور والتجديد في طرق الاشتباك، تحقق على أيدي المسلمين في العصر الأموي[2]، وأثرت المبارزات الفردية في سير المعركة، اذ أنها كانت تحدث قبل المعركة، وهي عادة قديمة عن العرب وغيرهم، لذلك حرص المسلمون على معرفة عدد الشجعان في جيوش أعدائهم عن طريق عيونهم وجواسيسهم، لأن النصر أو الهزيمة كانا يتوقفان إلى حد كبير على عدد هؤلاء الأبطال الشجعان[3]، الذين كانوا يلبسون الدروع والجوشن، إذ كانت درعاً صدرا بغير ظهر[4]، وأكد الطرطوشي أن قوة الجيش كانت تقاس بعدد شجعانه وأبطاله[5]، وكان إلى جانب المبارزات الفردية يوجد الصيحات التي يصرخ بها القادة والجنود، خلال القتال لشحذ العزائم، وقد كانت تستخدم منذ القدم، ومنها استخدمها أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما كان شعاره (أنت أنت مرتين)[6]، وشعار صلاح الدين الأيوبي في يوم حطين سنة(583هـ=1187م) بالإسلام[7]، وكانت صيحة قطز (658هـ=1260م) واسلاماه، و انتهت بالنصر على التتر[8]، ونجد أن الشعار السائد في الأندلس في حروبهم(يا منصور)، حيث كانت صيحة جنود المنصور بن أبي عامر[9]، وكانت الأشعار والموسيقى

(1) الطرطوشي: سراج الملوك، القاهرة ،1354هـ، ص337.

(2) العبادي: صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص77.

(3) المرجع نفسه: ص78.

(4) ابن هذيل، عبد الرحمن الأندلسي: حلية الفرسان وشعار الشجعان، نشر: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف،1994م، ص225.

(5) الطرطوشي، أبو بكر: سراج الملوك ، ص321.

(6) عبد الحي الكتاني: التراتيب الإدارية ، الرباط ، 1946م، ج1، ص328.

(7) ابو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل: كتاب الرضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، بيروت، دار الجيل، ج2، ص14.

(8) المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة، نشر: محمد مصطفى زيادة، 1936 م ، ج1، ص431.

(9) مؤلف مجهول: مفاخر البربر، نشر: ليفي روفنسال، ص29.

والأناشيد الحماسية إلى جانب ما تقوم من مبارزات وصيحات، وكذلك قرع الطبول والدفوف، ونفخ القرون وضرب الصنوج[1]، ولقد استمر استخدام نفخ القرون متبعا بعد ذلك في الجيوش الأندلسية[2].

وكان الشاعر يتقدم صفوف الجيش، ويتغنى فيبعث على الاستماتة في الحرب، وسمي هذا الغناء (تاصوكايت)، وهو فرح يحدث بالنفس فينبعث عنه الشجاعة، كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث فيها من الفرح[3]، ولقد أوجز لنا الوزير لسان الدين بن الخطيب هذا النوع من الغناء بشيء من السخرية عند قوله:" وتوصوكيت صوت يقرقر به قوم من الأوقاح بين يدي القتال"[4]، ويبدو أن الجيوش الأسبانية لم تستعمل الطبول في خروجها للمعركة، ولكن استخدموا الآلات الموسيقية لا طبل ولا بوق، فيغني المغنون للسلطان في موكبه بآلاتهم، ويغنون منبعثون الحماس في نفوس الشجعان[5].

وكانت قوة ضربات السيوف والرماح من الأمور التي اهتم بها أهل الأندلس، واتخذوها مادة للدعاية والفخر بها على عدوهم، وذكر ابن حيان بعض هذه الضربات، وتطرق إلى أسماء أصحابها الأبطال من المغاربة، وذلك عندما تطرق للحرب التي قامت بين الخليفة الأموي محمد الثاني بن هشام الملقب بالمهدي، وبين ابن عمه ومنافسه سليمان بن الحكم بن سليمان الملقب بالمستعين، وانتهت المعركة بانتصار المهدي وفرار المستعين[6]، وقد تطرق الطرطوشي إلى حرب دارت بين المسلمين والكفار ثم افترقوا، فوجدوا في المعترك قطعة من بيضة الحديد، وهذا نتيجة لضربة لم يضرب أقوى منها، ولم يسمع بمثلها في الجاهلية ولا في الإسلام، فحملتها الروم أي بقايا الخوذة، وعلقتها في كنيسة لهم، وكانوا إذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا أقواماً أشداء وشجعان وضرباتهم قوية،

---

(1) ابن حيان: المقتبس،ج5، ص426،353.

(2) المقري: نفح الطيب ،ج4، ص218.

(3) ابن خلدون: المقدمة، ص258.

(4) ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علاقة الاغتراب ، نشر: أحمد مختار العبادي، ص331.

(5) ابن خلدون: المقدمة، ص260،258.

(6) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص115؛ ديوان بن دراج القسطلي، دمشق، نشر وتحقيق: محمود علي مكي، 1961م، ص51.

وهذه إحدى ضرباتهم، يرحل أبطال الروم إليها ليروها[1]، ويضيف الطرطوشي كلاما فيه فخر واعتزاز عندما يقارن بين أبطال عصره، وأبطال العروبة السابقين[2].

وكذلك قوة الرمي بالرمح، وربما قصة الشاعر حريز بن عكاشة الذي كان أميرا على قلعة من قلاع الثغر الأدنى بطليطلة، على عهد ملكها يحيى بن المأمون بن ذي النون، فيروى أن ملك قشتالة الفونسو السادس طلب الاجتماع به يوما، فوافق حريز على طلبه بشرط أن يسترهنه في نفسه عدد من أمراء الروم، فأجابه الملك إلى ما ارتهن، وكان مكان اللقاء قلعة رباح جنوبي طليطلة، وخرج حريز لابساً حربة، فلما وصل فسطاط الملك، تلقته الأمراء بالرحب والسعة، ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه في الأرض، ثم قال الملك: يا حريز أريد أن أنظر إلى مبارزتك هذا الفارس البطل، فقال له حريز: المبارز لا يبارز إلا أكفاؤه، وإن لي بينة على صدق قولي، أن ليس لي فيهم كفؤ، وهذا رمحي قد ركزته، فمن ركب واقتلعه بارزته، وكان واحداً أو عشرة، فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين راقه، ثم فعل ذلك مراراً، فقال له الملك أرني يا حريز كيف تقلعه، فركب وأشار بيده واقتلعه، فعجب القوم ووصله الملك وأكرمه[3].

وهكذا يتبين لنا كيف كان الأندلسيون يستعدون للحرب، ويخططون بحكمة للمعركة، و يختارون الوقت المناسب للغزو، بحيث تكون مرتبطة بالاقتصاد ومدى نموه، كما كان لاستخدام السلاح بأنواعه في المعركة أثره في حسم المعركة، وكيف يتم استخدام كل نوع من أنواع السلاح، ومتى يتم ذلك، وكذلك اللقاء والمبارزة والصيحات، والقدرة على الرمي، وبطولة المقاتل وشجاعته، كل هذه الأمور كانت تؤخذ بالاعتبار عند التخطيط لخوض المعركة، و معرفة قدرات العدو وخطتهم عبر الجواسيس له دوره في إعداد الخطط للمواجهة، وهذا يؤكد على قدرات المسلمين الكبيرة في توظيف كل ذلك لخوض المعركة وتحقيق الانتصار.

---

(1) الطرطوشي: سراج الملوك ، ص324،325.

(2) المصدر نفسه: ص324،335.

(3) المقري: نفح الطيب ،ج5، ص96

المبحث الثالث

الإبداع في إعداد الأسوار والحصون والثغور والربض

سعت السلطة المركزية في الأندلس لتدعيم الأساس العسكري لبعض المدن، خاصة القريبة من مناطق الثغور، وهي عبارة عن المناطق المتاخمة لحدود أسبانيا الشمالية، والتي كانت تدور فيها المعارك(1)، فكانت هدفا للهجمات الخارجية مثل: مدينة سمورة وقشتالة(2)، وخلال الحكم العربي للأندلس بدأت تظهر هذه المظاهر العسكرية بشكل كبير، فكان تحصين مدينة من المدن نتيجة لتعرضها لحادثة معينة(3)(4)، وحرص حكام الأندلس على إبراز المظاهر العسكرية عند بناء أية مدينة، فنلاحظ أنه عندما بنى المنصور بن أبي عامر مدينة الزهراء سنة(368هـ=978م)، بنى لها خندق وبلغ خندقها طوله سبعة وأربعون ألف وخمسمائة ذراع، أي ستة عشر ميلاً(5)، وزود المنصور مدينة الزهراء بالعديد من الآلات والعدد التي كانت توزع على الجند عند الحاجة(6)، ومع امتداد الحكم العربي الإسلامي، ظهرت المعالم العسكرية في مختلف المدن الأندلسية الأخرى، وبدأت عملية ترسيم السياسة العسكرية، وجرى تحصين وبناء أسس عسكرية، لها أغراض الدفاع عنها، وعندما آلة الأندلس إلى السقوط، بدأ بعض الحكام انقاذ ما يمكن إنقاذه(7)، ولذلك كان هناك مبررات لوجود المظاهر العسكرية في المدن الأندلسية ومنها:

1- الظروف الداخلية والخارجية للأندلس، حيث واجهت الأندلس مخاطر من الداخل والخارج.

2- التأثيرات البيزنطية على نمط العمارة العسكرية الأندلسية كان لها أثر كبير، إذ اعتمدت عليه الأندلس في كثير من نظامها العسكري، وبرز ذلك واضحاً في نظام الأجناد والكور المجندة(8)، وقد اقتبسه العرب من البيزنطيين(9).

---

(1) بدر: دراسات في تاريخ الأندلس ، دمشق ،1974م، ص130.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب،ج2، ص140.

(3) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص86.

(4) ينظر: ملحق رقم(3)،(23)،(36).

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ،ج2، ص97.

(6) المصدر نفسه:ج2، ص95،96.

(7) فرحات: يوسف شكري: غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، دار الجيل، ط1، 1992 م، ص72.

(8) الحموي: معجم البلدان، ص21،36.

(9) مؤنس: فجر الأندلس، ص555.

3- التمردات الداخلية التي شهدتها الأندلس، دفع حكامها إلى تدعيم المظاهر العسكرية للمدن الأندلسية، وخاصة أن كثير من هؤلاء المتمردين كانوا مدعومين من الخارج[1].

وهكذا نستطيع أن نلاحظ مدى الأخطار المحدقة بالأندلس، والتي دفعتهم إلى تحصين مدنهم بكل ما يستطيعون، لكي يحافظوا على وجودهم وحدودهم في تلك البلاد، ومن أهم التحصينات التي اهتم الأندلسيون بتوفيرها في المدن الجديدة عند بنائها هي:

1- الأسوار:

اهتم الأندلسيون بتصوير المدن منذ البداية، وذلك للضرورات الأمنية، وحفاظاً على أهل المدينة وأمنها وسلامتها، وكانت تلك الأسوار تعلوها الأبراج الكبيرة المصنوعة عادة من الخشب[2]، وأولى هذه المدن، هي مدينة قرطبة التي تهدمت أجزاء متعددة من أسوارها أبان الفتح الإسلامي، خاصة سورها القبلي والغربي، فأصبحت مدينة مفتوحة، حتى تمكن الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (150هـ=767م)من إجراء ترميمات متعددة على أسوارها، خاصة في المنطقة الغربية[3]، وركز الباحثون الذين تناولوا المظاهر العسكرية في الأندلس، على تنظيماتها العسكرية، دون الخوض في تفاصيل المظاهر العسكرية المدنية الأندلسية[4].

ورافق وجود الأسوار بناء القلاع، و اهتم الأندلسيون ببناء هذه القلاع، وتعد مركزاً دفاعياً متقدماً يتحصن بها الجنود المرابطين، وهذا ساعد كثيراً على حفظ الأمن، كما هو الحال في مدينة جيان[5]، وتميزت القلاع ومراكز الخفر المخصصة لمراقبة الطرقات في داخل البلاد بأنها ذات جدران متينة مبنية بأنواع خاصة من مواد البناء مثل: الحصى والتراب ذات المواصفات العالية في البناء، إذ يعمل على تقوية أساس الجدران أحياناً بواسطة الحجر، وتعلوه أشكال تشبه الأهرامات الصغيرة[6]، وعرفت قلعة رباح، إذ تعرضت لهجمات المرتدين، مما دفع الأمير محمد بن عبد الرحمن(238-273هـ=852-886م) إلى إصلاح أسوارها، وأعاد الاستقرار إليها[7]، وكانت للأسوار في المدينة الأندلسية أبراج متعددة متقاربة الأبعاد، وهي التحصينات المعمارية

---

(1)ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 64، ج6، ص14.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص167.

(3) المقري: نفح الطيب،ج1،ص313.

(4)Levi provencal، Histoire De L'Espange Musulmane، Paris، 1967، vol. 111، p. 55-177

(5) ابن حيان: المقتبس،ج5، ص388.

(6) خماش: دراسات في الآثار الإسلامية ، دمشق ، منشورات جامعة دمشق ، ط7، 2004 م، ص144.

(7) ابن حيان: المقتبس، ص293.

حول المدن الأندلسية، ولها أهمية من الناحية الدفاعية(1)، وتوجد هذه الأبراج في مدينة شلب(2)، و ابتدع الأندلسيون الأبراج البرانية، و كان في مدينة شلب أحد عشر برجا(3)،

وكان على يمين الأبراج المحارس التي كانت تتخلل السور، والمحارس، هي عبارة عن أبراج صغيرة تقوم على مسافات متساوية من السور لتزيده قوة ومتانة، ولكي يدافع المحاربين عن المدينة، وبقيت هذه الأبراج على أهميتها طيلة الحكم الإسلامي(4)، وكان هناك في المدن الأندلسية القديمة أسوار قديمة مثل: الذي كان في مدينة طرطوشة(5).

وكانت هذه الأسوار تحميها من الأعداء، إذ أن وجودها جعل مدينة سرقسطة تصمد أمام جيش شارلمان سنة (162هـ=778م)(6) وكان هنا قلعة تسمى لسودة وفيها بقايا أسوار وأبراج وترجع أصل هذه القلعة إلى العصر الروماني(7)، ووجد المسلمون عندما دخلوا الأندلس بعض المدن المسورة، وهذه الأسوار منها ما كان في عهد الرومان، ومنها ما تم استحداثه بعدهم(8).

وعرفت السلطة الأندلسية إقامة الأسوار، واهتمت بها، عندما قامت بإعمار المدن والأسوار والقلاع التابعة لها، مما تم تخريبه على يد المتمردين الخارجين على السلطة، وتم تحصين المدن التي تفتقر إلى تحصينات، وقلاع للوقوف بوجه الأخطار، وكانت واضحة بناء الأسوار في مدينة طليطلة، التي كانت عاصمة للقوط الغربيين قبل الفتح العربي الإسلامي، وأصبحت بعد الفتح وكراً للمتمردين والخارجين على السلطة(9).

---

(1) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص121-106.

(2) شلب: وهي مدينة في الأندلس وتمثل قاعدة كور أقشونية ، تضاريسا تتكون من سهول وجبال تجري فيها المياه ،اشتهرت بزراعة شجرة التفاح (الحميري: الروض المعطار ،ص106).

(3) الحميري: الروض المعطار ،ص10.

(4) مؤنس: رحلة الاندلس، ص325.

(5) طرطوشة: وهي إحدى مدن الأندلس ، وتقع شرقي بلنسيا وقرطبة على نهر ايروا، ونظرا لموقعها الجغرافي قامت لها دار لصناعة السفن، اذ كانت تقع بالقرب من غابات الصنوبر الصالحة لبناء السفن (الزهري، محمد بن أبي بكر: الجغرافيا ، تح محمد حاج صادق ، دمشق، منشورات: المعهد الفرنسي في دمشق ، 1970م، ص103).

(6)Encyclopedia Britannic Library of congress USA، 1966، Vol. 9، P. 120

(7) الزهري: الجغرافيا ، ص103.

(8) الحميري: الروض المعطار ، ص133.

(9) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2، ص44-47.

ووصف المؤرخ عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت808هـ=1405م) أهل طليطلة إذ قال: "كان أهل طليطلة يكثرون الخلاف، ونفوسهم قوية لحصانة بلدهم، فكانت طاعتهم عصية "[1]، و بنى أسوار طليطلة الكبرى وما يليها من أبراج الملك القوطي (وابما) (672=680م)، على بقايا الأسوار الرومانية[2]، وكان على أسوار طليطلة الأبراج، لكي تكتمل مهمتها الدفاعية، وبناؤها مربع ضخم وأحجاره واسعة، حيث يرى الإنسان نوافذها من الخارج، وكانت تلك الحجر مقاما للجند والحرس[3] وأبدع المسلمون الأندلسيون عندما وسعوا هذه الأسوار المحيطة بها، و أحاطت بكل ما طرأ

على المدينة من توسع عمراني جديد بعد الفتح الإسلامي، ولقد أثبتت هذه الأسوار جدارتها في مقاومة التمردات، وعملت على تحصين مدينة طليطلة، فجعلتها حصنا وسداً منيعا ضد أي هجوم يشن ضدها[4]، واستخدم الأندلسيون الحجر المنحوت في بناء الأسوار بشكل تتناوب فيه الحجارة التي تمتد طولا مع مجموعات من الأحجار المعترضة، وشيدت مدينة الزهراء بهذا الشكل، إذ كانت مدرجة البنية، كأنها مدينة فوق مدينة، وكل جزء منها محاط بسو، وكانت هذه الأسوار للدفاع عنها[5]، فكانت الأسوار تعمل على المحافظة على أمن المدينة وسلامتها من أي اعتداء خارجي قد يؤدي إلى سقوطها، لذلك كانت تبالغ السلطات المركزية في حصانة أسوار المدن، و ذُكر أن المنصور بن أبي عامر عندما بنى مدينة الزاهرة بالغ في رفع أسوارها[6]

---

(1) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر،ج4، ص126.

(2) طرخان، إبراهيم علي: دولة القوط الغربيين ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي، 1958م، ص180.

(3) حسين مؤنس: رحلة الأندلس، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1963 م، ص325.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص106،105.

(5) المصدر نفسه: ص95.

(6) الحميري: الروض المعطار، ص81

ومدينة شلب التي تمتعت بأسوار منيعة وعالية من جميع جهاتها[1]، ولذلك لم يستطيع أعدائها من البرتغاليين وغيرهم من تسلق أسوارها، وتطلب هذا منهم آلات حصار ضخمة تعلو تلك الأسوار[2]، ويذكر أن أول من بنى هذه الأسوار المنيعة، هو الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأوسط(206-238هـ=821-852م)، وذلك بعد الغارة الرومانية الأولى على سواحل الأندلس الغربية[3]، وكان لمدينة جيان[4]، سور متين وموقع حصين، وكان سور مدينة بياسا يحيط بها من جميع جهاتها[5]، وامتازت مدينة بسطة بحصانة أسوارها[6]، ولقد صمدت مدينة سرقسطة سنة(162هـ=778م) أمام جيس شارلمان[7]، وذلك نتيجة للتحصينات القوية التي أحاطت بالمدينة[8].

وهكذا نلاحظ أن الأحداث التاريخية بينت سبب اهتمام الأندلسيون بأسوار مدنهم ففي سنة (222هـ=836م) تم إعادة بناء سور مدينة طليطلة من قبل القائد الوليد بن الحكم، وذلك بعد محاصرتها واقتحامها، بعد أن لحق بمنشآها بسبب ذلك الكثير من الدمار والتخريب[9]، والملاحظ أن النورمان سنة (229هـ=844م) شنوا هجوماً على الأندلس، واجتاحوا مدينة إشبيلية لأنها لم تكن محصنة وخالية من الأسوار[10]، و اهتم الأمير عبد الرحمن الأوسط بتحصين المدينة وبناء سور لها، وذكر أن كبار رجال الدولة أشاروا على الأمير عبد الرحمن ببناء سور مدينة اشبيلية[11]، وتقدم بناء سور المدينة في الأولوية على إتمام الزيادة في المسجد الجامع في

---

(1) الحميري: الروض المعطار، ص106.

(2) النشار، محمد محمود: مدينة شلب بين البرتغالية والصليبية والموحدين ، دار الحراء ،المنياء ،1994م، ص15.

(3) سالم: في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ،ص227.

(4) جيان: وهي مدينة أندلسية تبعد عن بياسة ستون ميلا، وتتميز بازدهار الزراعة فيها وخصوبة أرضها ووفرة مائها (الحميري: الروض المعطار ، ص70).

(5) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج2، ص71.

(6) الحميري: الروض المعطار، ص45.

(7) شارلمان: حكم دولة الإفرنج سنة (155هـ=771م)، وإشارات المصادر العربية له باسم (قارلة) كما وصفته بعض المراجع أنه ملك قوي وشديد (ابن الأثير: الكامل ،ج6،ص64،14).

(8) دوزي رينهارد: تاريخ مسلمين أسبانيا (الحرب الأهلية)، تر: حسن حبشن، القاهرة ، دار المعارف، 1963م، ج1، ص130.

(9) ابن الأثير: الكامل،ج5، ص245.

(10) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب،ج1، ص49.

(11) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص86.

قرطبة[1]، وأنجز عبد الله بن سنان، وهو أحد الشاميين المقربين من عبد الرحمن بناء السور، ووضع اسمه على أبواب إشبيلية[2]، واهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر بجهود كبيرة بالدفاعات، مثل الأسوار والأبراج، وفي عهده أعيد إعمار سور مدينة إشبيلية من قبل عاملها سعيد بن المنذر المعروف بابن السليم، وعمل على تحصينه بالصخور والأبراج المنيعة، فأصبحت المدينة قوية ومنيعة[3].

وكانت السلطة تلجأ إلى هدم بعض الأسوار لمدن تحاول التمرد عليها، كما حصل عندما قام الخليفة عبد الرحمن الناصر بهدم أسوار مدينة طليطلة سنة(320هـ=932م)، بعد أن تمرد سكانها عليه[4]، وكان في مدينة استجة أسوار مزدوجة و منيعة، تخترقها عدة أبواب كبيرة[5]، وعرف عن مدينة طركونة[6]، بأنها محاطة بالأسوار، وهي أسوار ضخمة عالية، يبلغ طولها نحو كيلو متر قرب الكنيسة العظمى، التي شيدت من أحجار ضخمة مصنوعة من الرخام الأبيض والأسود[7].

ويتضح مما سبق مدى اهتمام الأندلسيون بالأسوار، التي اعتمدوا عليها لتحصين مدنهم، ولتكون سداً منيعا بوجه الأعداء، الذين كانوا يحيطون بهم سواء داخلياً أو خارجياً، وهذا الإبداع الأندلسي الذي أضافوه على تلك الأسوار بتوسيعها وزيادتها وتحصينها، بل واعتمادها في بناء المدن، يؤكد على البعد الاستراتيجي العسكري الذي كان يتمتع به المسلمون في تلك المرحلة.

2- الحصون:

الحصن بمثابة موضع محصن مأهول بالسكان، وهو بحجم مدينة صغيرة تقريباً، ويحيط به السور من جميع جهاته مبني فوقه برج كبير من الخشب[8]، والحصون مفردها حصن، وهو مأخوذ من الحصانة والمنعة[9]، وكانت الأندلس تتمتع بوجود حصون دائمة، استمرت حتى في

---

(1) ابن حيان: المقتبس في أخبار أهل الأندلس،ج1 ، ص244.
(2) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص86.
(3) ابن حيان: البيان المغرب،ج1، ص80.
(4) المصدر نفسه: ص206.
(5) الحميري: الروض المعطار ، ص14،15.
(6) طركونة: هي مدينة أندلسية قديمة متصلة بأعمال طرطوشة، وتبعد عنها خمسون ميلا (الحموي: معجم البلدان، ص32).
(7) الحميري: الروض المعطار، ص14.
(8) المصدر نفسه: ص167.
(9) المصدر نفسه: ص664.

العصور التي سيطر فيها المسلمين عليها، فمثلا كان هناك حصن أوريولة التابع لكورة تدمير، وهي إحدى السبعة التي صالح عليها عبدوس والي الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير، بعد أن هزمه عبد العزيز، فصالحه على الحصون التابعة لتدمير، ومنها حصن أريولة[1]، و كذلك حصن كبير في مدينة شاطبة[2]، ويرى الباحثون أنه ليس حصناً واحداً بل هو حصنان، ومجموعة كبيرة من الأسوار، ويطلق على أحد الحصنين بالحصن القديم، والآخر بالحصن الجديد[3].

وكانت بعض الحصون في الأندلس مستقراً لبعض فئات المجتمع الأندلسي، إذ سكنت بعض قبائل المغرب العربي مثل: قبيلة هوارة في حصن أطلق عليه اسم حصن الهواريين[4]، وكان حصن قسطلونة مستقراً لأهل الذمة في الأندلس، وهو الحصن التابع لمدينة جيان[5]، و انتشرت الحصون في العديد من المدن الاندلسية، حيث أشار أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري المتوفى في أواسط القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي إلى أنه كان في مدينة شقورة[6]، وحدها ثلاثة وثلاثون حصناً[7].واهتم حكام الأندلس ببناء الحصون، لأنها عبارة عن مراكز دفاعية، و حصن الأمير عبد الرحمن الداخل مدينة قرطبة، فأمر ببناء الحصون حولها، وجدد الذي هُدم من سورها سنة (150هـ=766م) وحفر حول بعض جهاتها خندقاً لكي يزيد في تحصينها[8]، واهتم عبد الرحمن الناصر بتحصين المدن الساحلية على سواحل الأندلس الجنوبية، وبنى الحصون خوفاً وتحسباً للخطر الفاطمي[9]، و بنى الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ=852-886م) بالقرب من مدينة جيان حصن أطلق عليه اسم أبدة العرب[10].

(1)الحميري: الروض المعطار، ص34.

(2) شاطبه: وهي من القواعد الأندلسية العريقة، وتقع على بعد خمسين كيلو متر جنوب غرب مدينة نلسية، وكانت من أقدم المدن الأسبانية (عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص140).

(3) ابن القوطية: تاريخ الأندلس ، ص56.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2، ص139.

(5) شقورة: وهي مدينة من أعمال جيان، ومعروف انجيان تقع شرق قرطبة، وفيها جبل شقو، وهو مشهور بكثرة النباتات (إبن حيان: المقتبس ،ص477).

(6) مؤنس، الجغرافيا، ص98.

(7) ابن خلدون :العبر، ط4، ص267.

(8) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2، ص165.

(9) المصدر نفسه: ج4، ص272.

(10)LEOPOLDO TORRES BALBAS، CLUDADES HISPANO MUSULMAMAS،CONCLUSLON، HENRI TERRASSE، TOMO 1، P. 60

ولقد أشارت المصادر التاريخية إلى وجود العديد من الحصون في الأندلس، وذلك بسبب قدرة هذه الحصون على توفير الأمن والسلامة والحماية والمنعة للسكان، وخاصة في المدن المتطرفة، ففي شلب كان يوجد بها حصن البور، ويقع في الجنوب منها بالقرب من مدخل النهر الذي يؤدي إليها، وأقيم هذا الحصن لكي يحمي المدخل من أي اعتداء خارجي، وذكر أحد المؤرخين هذا الحصن في معرض حديثه عن حصار المدينة من قبل البرتغاليين وغيرهم سنة(585هـ=1189م)(1).

و ذكر المؤرخين أن مدينة جيان اشتهرت بوجود حصون كثيرة، ومن الملاحظ واللافت للنظر وجود تلك الحصون، فنجد أن المدينة كانت معقلاً لكثير من المتمردين، ولهذا حرصت السلطة المركزية على تحصينها، وأضفت تلك الحصون على هذه المدينة الحصانة والمنعة والقوة، حسب ما أشار إليه المؤرخين(2).

ومن هذه الحصون على سبيل المثال حصن الكرسي، وعرف عنه أنه غاية في المنعة والقوة والحصانة(3)، وعمل الأمير محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ=852-886م) على بناء حصن أطلق عليه اسم(أبدة العرب) وهو بالقرب من مدينة جيان(4)، وكانت كثير من حصون جيان معقلا للمتمردين على السلطة المركزية(5).

وهناك أيضاً يوجد حصن قيشاطة، وهو من الحصون الهامة في الأندلس، ويتبع لمدينة جيان، ويقع على جبل منيع، ويبدو وكأنه مدينة عامرة، إذ كان يحتوي على العديد من الأسواق والأرباض والحمامات والفنادق(6).

ومما سبق تبين أن الحصون كانت ضرورية، بل وفي بعض الأحيان أمراً ملحاً على الأندلسيين، لكي يوفروا الحماية لمدنهم من الأعداء، الذين أحاطوا بهم واستهدفوا مدنهم، سواءً من الداخل أو الخارج، ونلاحظ أن الأندلسيين كانوا يلجؤون إلى هدم بعض الحصون، التي كانت تمثل ملاذاً للمتمردين على السلطة المركزية للدولة، وهذا يعني أن الخطر الداخلي الذي كان يحدق بالمسلمين لم يكن يقل في خطورته عن الأخطار الأخرى الخارجية، التي تصدى لها الأندلسيين، وهنا نرى مدى الإبداع الأندلسي الذي تمثل في بناء تلك الحصون، واختيار المناطق الحدودية

(1) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج4،ص272.
(2) الحميري: الروض المعطار، ص7.
(3) المصدر نفسه: ص166.
(4) ابن حيان: المقتبس، ص294.
(5) ابن عذارى: البيان المغرب ،ج2،ص137.
(6) الحميري: الروض المعطار، ص165.

وخاصة الجبلية كموقع استراتيجي لها، يؤكد على إبداع الأندلسيين في تطوير تلك الحصون، وجعلها سداً منيعاً بوجه الغزاة والأعداء.

3- الثغور:

وهي عبارة عن كل فرجة في جبل أو بطن واد، أو طريق مسلوك[1]، واصطلاحاً: تعني الثغر بالفتح ثم السكون، ويعني كل موضع قرب من أرض العدو، وكأنها مأخوذة من الثغرة، وهي الفجوة من الحائط[2]، ويقصد بها مناطق جبهات القتال سواء أكانت من البر أو البحر، حيث يكون خطوط المواجهة مع العدو[3]، واطلقت هذه الكلمة على معظم منطقة شمال شرق الأندلس، أي سميت الثغور[4]، وأطلق عليها الثغور الأندلسية، وتتميز بكونها قريبة من حدود أسبانيا الشمالية، التي كانت مناطق المواجهة الساخنة بينهم[5]، وعرف أنه يوجد في الأندلس ثلاثة ثغور وهي: الثغر الأعلى، والثغر الأدنى والثغر الأوسط، فالثغر الأعلى يمثل بالأندلس ولاية الحدود الشمالية، وهي ولاية سرقسطة وأعمالها، أما حديثا يقابله ولاية أرغون، وتعتبر سرقسطة قاعدة أساسية لهذا الثغر[6].

وكان الثغر الأوسط قاعدة لهذا الثغر في بداية القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي مدينة سالم، ثم أصبحت فيما بعد طليطلة قاعدة للثغر الأوسط[7]، ويرى بعض المؤرخين أنه كان هناك تداخلاً بين الثغرين الأوسط والأدنى في التسمية، إذ كان يطلق عليها اسم واحد، وهو الثغر الأدنى، وهذا يعني أنه كان في الأندلس ثغرين في بادئ الأمر وهما: الثغر الأعلى، والثغر الأدنى، ثم تم انفصال الثغرين، وانفصل الثغر الأوسط من الثغر الأدنى في بداية القرن الرابع الهجري[8]، وتم هذا الانفصال على ما يبدو كنتيجة طبيعية لحدود الأندلس مع أسبانيا، التي كانت في حالة مد وجذر قبل القرن الرابع الهجري، وحسب قوة الأندلس، فعندما كانت قوية فيها السلطة المركزية، نجد أن الحدود في الأندلس كانت تندفع إلى داخل أسبانيا الشمالية، وعندما

---

(1) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله العلايلي، اعداد وتصنيف : يوسف خياط ،دار لسان العرب ، بيروت ، 1982م، ج1،ص360.

(2) الحموي: معجم البلدان،ج2،ص79.

(3) ابو الفرج، قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة ، تح: محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1981م، ص185؛ عبد الكريم بن محمد السمعاني: الأنساب ، حيدر اباد ، 1962م، ج3،ص137.

(4) الحموي: معجم البلدان،ج1،ص927.

(5) المصدر نفسه: ج2، ص79.

(6) السامرائي: خليل إبراهيم صالح: الثغر الأعلى الأندلسي، بغداد، مطبعة أسعد، 1976م، ص39.

(7) أبو الفدا : تقويم البلدان ، باريس ،1840م، ص179.

(8) السامرائي: الثغر الأدنى الاندلسي، الموصل، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ط1، 2008م، ص37.

تضعف تنحسر حدود الأندلس، ونجد أن كتابات المؤرخين حول هذه المناطق غير واضحة، ولم تستطيع تحديد بالضبط حدود الثغرين(1).

وأما الثغر الأدنى فيشمل: ما دون سرقسطة وأعمالها، وكانت له عدة قواعد تبعاً لانحسار حدود الثغر، وذلك نتيجة لتطورات الوضع السياسي، والأحداث مع الممالك الأسبانية(2).

وسيطر المسلمون أثناء الفتح الإسلامي على العديد من مدن الثغور، فمدينة سرقسطة دخلها الجيش الإسلامي دون قتال(3)، واختط التابعي حنش بن عبد الله الصناعي(4)، بعد أن استقر المسلمون في مدينة سرقسطة(5)، في القسم الشمالي الشرقي من مدينة سرقسطة مسجداً للمسلمين(6)، وانطلق موسى بن نصير من مدينة سرقسطة كقاعدة له، ليقوم بفتح بقية مدن الثغر الأعلى(7)، فعمل من خلالها على إرسال الحملات العسكرية، لكي يتم فتح المدن المجاورة، وهذه هي الأساليب المعتادة والمألوفة في عمليات فتح الأندلس، حيث استخدمها القائد طارق بن زياد عندما فتح مدينة استجة، فانطلق منها لإرسال الحملات إلى مدينة قرطبة ومالقة وغرناطة، والتي حققت جميعها نجاحا في المهمة الموكلة لها(8).

وكانت الثغور تمثل بالنسبة للمسلمين الحد الفاصل بينهم وبين الممالك الأسبانية، وعمل المجاهدون المسلمون على أعمار تلك الثغور، للاستقرار فيها(9)، واختلف الباحثون حول المدن التي تم فتحها بعد منطقة الثغر الأعلى، حيث أورد شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (ت1041هـ=1631م) روايات عديدة حول دخول موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى فتح فرنسا بعد أن تم فتح الثغر الأعلى فقال عن موسى: "أنه كان يأمل أن يخترق ما بقي عليه من

---

(1) الأصطخري: المسالك والممالك، ص36.

(2) السامرائي: الثغر الأدنى الأندلسي، ص37.

(3) مؤنس: فجر الإسلام، ص103.

(4) هو حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظله أبو رشيد الصناعي، من أهل الفضل والدين، دخل الأندلس مع موسى بن نصير (مصطفى، محمد حميد اتو: مدرسة الحديث في الأندلس، بيروت، دارابن حزم، ط1، 2007م، ج1، ص65).

(5) المقري: نفح الطيب ،ج3، ص7.

(6) الحميري: الروض المعطار، ص97.

(7) المصدر نفسه: ص97.

(8) المقري: نفح الطيب ،ج1، ص261.

(9)J. B. Bury، The Cambridge Medieval History، Cambridge، 1964، vol. 111، 152.

بـلاد الفرنجـة، ويقتحم الأرض الكبيرة حتـى تتصـل بالنـاس إلـى الشـام "[1]، وفـي روايـة أخرى لـه أيضا قال :"أنه أوغل في أرض الفرنجة حتى انتهى إلى مفازه الأخير "[2].

وكـان لزعمـاء الأسـر المتنفذة فـي منطقـة الثغـور دورا فـي الـدفاع عن بـلاد الأنـدلس، حيث كانـت منطقة الثغر تمثل منطقة عسكرية، ومنها تنطلق الجيوش الإسلامية التي كانت تتجه إلى فرنسا من ناحية، وإلى نصارى الشمال، أي إلى أسبانيا من ناحية أخرى، وأصبح لهذه الأسر المتنفذة دور كبير في الأحداث، خصوصا في عصر الإمارة[3] وكان على الدوام ولاء هذه الأسر للسلطة المركزية، حيث كان أشهر زعماء هذه الأسر موالين لحكومة قرطبة، التي كانت تمثل مركز القوة آنذاك، وقدموا لها الخدمات الجليلة، ويعد تنفذ هذه الأسر نتيجة لظروف البلاد الأندلسية المختلفة والتي كان منها الاستعانة بالقوى الخارجية، حيث أصبح ولاءها لحكومة قرطبة شكلياً في أكثر الأحيان،

وفي أحيان كثيرة كان الولاة يحجمون عن انتهاز الفرص المواتية للتمرد والعصيان بوجه حكومة قرطبـة، والتحـالف مـع أعدائها مـن الممالك الأسبانيـة، وكـانوا يسـتغيثون بهـم[4]، مثلمـا فعـل بنـي قسي، حيث لم يكن ولاؤهم محسوماً، فكثيراً ما تمرد هؤلاء على السلطة المركزية، وهذا دفع قوات الأندلس فـي كثيـر مـن الأحيـان إلـى الانشـغال لمـدة مـن الـزمن بمثـل هـذه الأمـور الداخليـة، علـى حساب مواجهة الأعداء، والأخطار الخارجية المحدقة بدولة الأندلس[5]، وكون مناطق الثغور هي للاحتكاك والحرب، كانت دوماً هي الأكثر اضطراباً وخروجاً على السلطة المركزية، ويعود ذلك للعديد من الأسباب ومنها: لأن هذه المناطق محصنة تحصيناً جيداً، فضلاً عن ان بعض الأسر كانت تأنف من الخضوع للسلطة المركزية والانقياد لأوامرها بسهولة مثل أسرة بني قسي في الثغر الأعلى، وقال ابن الخطيب في ذلك: " علو الهمم، وشموخ الأنوف، وقلة الاحتمال لثقل الطاعة، إذ كان من يحصل بالأندلس من العرب والبرابرة أشرافا يأنف بعضهم من الإذعان لبعض "[6].

ولقد كان لبعد بعض الثغور عن العاصمة قرطبة، أن سهل على المتمردين الهروب إلى الممالك الشـمالية عنـد الاضـطرار، والخـلاف مـع السـلطة المركزيـة والضـيق[7]، ولقـد امتـازت شـبه جزيـرة

---

(1) المقري: نفح الطيب ،ج3، ص7.

(2) المصدر نفسه:ج1، ص277.

(3) السامرائي: الثغر الأدنى الأندلسي، ص288.

(4) المصدر نفسه: ص288.

(5) ابن حيان: المقتبس، ص4 ،5.

(6) ابن الخطيب: أعمال الإعلام،ج2، ص36.

(7) المصدر نفسه: ص36.

أيبيريا بسواحلها الطويلة التي تشرف على مياه البحر المتوسط والمحيط الأطلسي شرقا وغربا وجنوبا، وهذا الموقع جعلها عرضة لأي غزو بحري يأتيها من هذه الجهات، وقد أدركت الدولة العربية في الأندلس هذه المسالة منذ بادئ الأمر، فعملوا على تحصين السواحل، واعتمدوا على سياسة بحرية، وهي تتضمن استخدام دور الصناعة القديمة التي كانت منتشرة في تلك السواحل مثل التي كانت في طرطوشة، وطركونة ودانية وبجانة والجزيرة الخضراء وغيرها[1].

وقام حكام الأندلس بتأسيس دور الصناعة الجديدة حرصاً منهم على تطوير الصناعة، مثلما فعل الأمير عبد الرحمن الأوسط(206-238هـ)=(821-852م) عندما قام بتأسيس دار صناعة في مدينة اشبيلية، وذلك بعد هجوم النورمان على الأندلس سنة(229هـ=844م)، ولقد قال ابن القوطية في ذلك :"واستعد الأمير عبد الرحمن بن الحكم فأمر بإقامة دار صناعة في اشيلية "[2].

وكانت الثغور الأندلسية مليئة بالأساطيل والعدد البحرية، فثغر الجزيرة الخضراء يحتوي على المراكب والسلاح، والأدوات الحربية منذ فترة مبكرة، وفي عصر الإمارة الأموية تولى الثغر والي قرطبة في عصر الخليفة مروان بن محمد بدمشق، وكان اسمه حس بن عبد الرحمن، واشتهر أفراد بيت بني الرماحس بقيادة الأسطول الأندلسي على عهد الأمويين[3]، واعتمد الأندلسيين على القبائل اليمنية القضاعية في الأمور البحرية في البداية، فأنزلوهم في المناطق الساحلية الشرقية، وجعلوا لهم حراسة ما يليهم من البحر، وحفظ السواحل، وكانت بلدة بجاية قاعدة لهم في هذا الإقليم، لما تمتاز به من موقع حصين وأرض خصبة[4].

وهكذا يتبين إبداع الأندلسيين في استخدامهم للثغور، التي هي عبارة عن مناطق الاحتكاك بينهم وبين أعدائهم من ممالك النصارى الأسبان، فأحسنوا إدارتها، وعملوا بنظام يجعلهم أكثر تحصيناً بوجه أعدائهم، غير أن التمردات الداخلية كان لها بالغ الأثر على السلطة المركزية في الأندلس، وربما أعاقت كثيراً من الإنجازات الأخرى التي كان بالإمكان عملها.

4- الربض والرباطات (المحارس):

أطلقت كلمة الرباط عند العرب على مرابض الخيل[5]، وهي جمع رابط، أي في الأصل من رابطة أو مرابطة إذ لازم الثغور الإسلامية، وكان المسلمون قد سكنوا الثغور التي هي بينهم وبين

---

(1) العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، ط1، 1968م، ص246.

(2) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص152 .

(3) ابن عذارى: البيان المغرب، ج2،ص83.

(4) الحميري: الروض المعطار، ص37

(5) ابن منظور: لسان العرب ،ج7، ص307.

أعدائهم لحراسة بلاد الشام، واختاروا هم السكن في تلك الثغور والإقامة بها، لغرض المرابطة والحراسة[1]، ومعناه اصطلاحا: هو عبارة عن المدن أو البناء المحصن الذي يرابط فيه المسلمين للجهاد في سبيل الله، دون أن يكونوا طامعين في غنيمة أو مال أو جاه[2]، و كانت الروابط عبارة عن نقاط عسكرية حصينة تشبه القلاع التي تحيطها أسوار عظيمة، في داخلها غرف يسكن بها أولئك المرابطون، ووردت في الروايات التاريخية باسم المحارس، و كان الكثير من الناس يرتادوها للمرابطة فيها، كما كانت بها مخازن الأسلحة والمؤن، وأماكن لربط الخيل، وتوجد بها أبراج في أعلى الربط، لمراقبة تحركات العدو أول بأول[3].

وعرف عن الأندلس أنها بلاد جهاد ومرابطة، وأنها كانت على مذهب الإمام الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو[4]، (ت157هـ=733م) الذي كانت أحكامه تدور حول الجهاد والمرابطة، والاستشهاد في سبيل الله، وكان الإمام الأوزاعي هو نفسه مرابطاً في حصن بيروت، وذلك للجهاد ضد القوات البيزنطية، ومذهب الأوزاعي الأكثر ملاءمة لأهل الأندلس في تلك الفترة، فاعتمدوا عليه في أقواله وأحكامه لتفسير أمور كثيرة من حياة الأندلسيين الدينية والدنيوية[5].

وهناك العديد من الأسباب التي تناولها المؤرخين لدخول مذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة بالمدينة المنورة (ت179هـ=795م)، واعتمدوه مذهباً رسمياً للبلاد بدلاً من مذهب الإمام الأوزاعي في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل (172–180هـ=788–796م)[6]، و روى الإمام مالك بن أنس الكثير مما قيل في أحكام الجهاد والمرابطة، وضمنها كتابه المعروف والمشهور باسم الموطأ[7].

وانتقلت حركة الرباط إلى الأندلس، وكانت تقام على سواحلها، وتميزت الأندلس على ما يجاورها من البلاد بهذه الحركة الجهادية[8]، وانتشرت الأربطة على طول السواحل الغربية للأندلس المطلة على المحيط الأطلسي[9]، ويشار إلى أنه في بعض الأحيان، يكون لموقع المدينة دور يجعلها يتحكم في مكان المرابطة، وعلى سبيل المثال كانت مدينة شلب التي تقع غرب الأندلس، ونتيجة

(1) ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل: فتح الباري بشرح البخاري، مصر،1959م، ج6،ص425.

(2) طاهر، مصطفى العميد: آثار المغرب والأندلس، بغداد،1989م، ص122.

(3) الحميري: الروض المعطار، ص1831.

(4) ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس،ج1، ص240.

(5) العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص114.

(6) المقري: نفح الطيب،ج3، ص230.

(7) الإمام مالك، مالك بن أنس: الموطأ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1979م، ص358،357

(8) المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض،ج1،ص215.

(9) المصدر نفسه: ص227.

لموقعها المتطرف تعد مركزاً مهماً من مراكز المرابطة والجهاد، ويقصدها الناس من الصوفية الذين نذروا حياتهم للعبادة والجهاد[1]، ويوجد رباط المرية الذي يعد أهم الربط الساحلية في بلاد الأندلس، حيث انتشر فيه المرابطون على ساحل البحر المتوسط[2].

الجدير ذكره أن هؤلاء المرابطون شكلوا مصدر خوف وقلق للأوروبيين في تلك المنطقة، حيث قاموا بمهاجمة السواحل والثغور الإفرنجية على شكل حملات بحرية منذ سنة (191هـ=806م)، فهاجموا جزيرة كرسيكا، وتوالت بعد ذلك حملاتهم على السواحل، خصوصاً في سردانية من البحر المتوسط[3]، وتسببت هجماتهم المتتالية بقطع العلاقات بين فرنسا وإيطاليا، لأنهم سيطروا على جميع الممرات التي تخترق سلسلة جبال الألب[4]، وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد تشير المصادر التاريخية أنه اتجهت جماعة من هؤلاء المرابطين، وهم المجاهدون البحريون الأندلسيون إلى سواحل بروفانس، وذلك سنة (276هـ=889م)، وحطت عند خليج جريماد (خليج سانتروبير) بسبب عاصفة قوية فلجئوا إلى غابة كثيفة، استولوا منها على الأراضي المجاورة، واستقروا فيها[5].

واستطاع هؤلاء المجاهدين، وضمن ظروف غامضة أن يكون لهم موطئ قدم على الساحل في منطقة بروفانس،

وعملوا على الاستيلاء على موقع حصين في جبل مجاور عرف باسم فراكستم[6]، و أطلق عليه المسلمين اسم جبل القلال[7]، وهذا الجبل يقع بين سواحل فرنسا وحدود إيطاليا[8]، و أصبحت فراكستم والمناطق المجاورة التابعة لها في جزيرة كامريج وماجلوت في اقليم بروفانس، من المناطق الجنوبية الشرقية من بلاد الإفرنج التابعة إدارياً إلى جزيرة ميورقة[9]، وبعد فتح جزر البليار على يد عصام الخولاني سنة (290هـ=902م)، وكان يتولى أمر جبل القلال، وكبرى

---

(1) ابن بشكوال: الصلة ،ج2، ص416.

(2) الحميري: الروض المعطار، ص183.

(3) جوزيف رينو: الفتوحات الإسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا، تعريب وتعليق: الحواشي، تقديم: إسماعيل العربي، الجزائر ، ط1، 1984م، ص126،125.

(4) المصدر نفسه: ص156.

(5) المصدر نفسه: ص156.

(6) جوزيف رينو: ، ص126،125

(7) الإصطخري: المسالك والممالك ،ص51.

(8) شكيب: تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا، مصر، مطبعة عيسى البالي الحلبي وشركاه، ص210.

(9) ابن حوقل: صورة الأرض، ص185،184.

معاقله فراكستم والمناطق التابعة له في جنوب شرق بلاد الإفرنج، عامل أطلق عليه ابن حيان قائد فرخشنيط(1).

وعمل المجاهدون المسلمون على إعمار تلك المناطق، وقاموا بالاستقرار بها، وكانت هذه من المواقع الحصينة التي يتعذر الوصول إليها بسهولة، لهذا أرسل هؤلاء المجاهدون في طلب المساعدة والتأييد من الأندلس وبلاد المغرب، فوفد عليها العديد من المجاهدين المسلمين، و شكلت هذه المناطق مصدر خوف وتهديد للمناطق المجاورة(2).

وهكذا كانت الروابط مناطق للصمود والجهاد بوجه الأعداء، وقد جهزها الأندلسيون وهيؤوها، لتكون كذلك بكل ما استطاعوا، بل وشجعوا على الرباط في تلك المناطق، والملاحظ أن العلماء من أمثال الأوزاعي، كانوا يذهبون إلى مناطق الرباط، وعلى ما يبدو لكي يقدموا النموذج الحي والملموس لعامة الناس، ولكي يشجعوهم على ضرورة الجهاد والثبات، كفريضة للدفاع عن أراضي الإسلام، وبهذا الإبداع والاستثمار الرائع لدى الأندلسيون، كان الصمود في الثغور وصد العدوان والجهوزية العسكرية على أعلى مستوياتها في ذلك العصر لدى المسلمين الأندلسين.

---

(1) ابن حيان: المقتبس، ج5، ص45.

(2) الإصطخري: المسالك والممالك، ص151

الخاتمة ونتائج البحث:

تم بفضل الله تعالى ورعايته الانتهاء من هذه الرسالة، ولقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج أهمها:

- أحسن مسلمو الأندلس التعايش مع مختلف الأجناس، والطوائف الدينية، إذ عاش المجتمع تحت حكمهم، آمنين مطمئنين ينعمون بالعدل والرخاء.
- نجح الفاتحون المسلمون في نشر دينهم ولغتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم بين سكان الأندلس، وقد تأثر بحضارتهم حتى من بقوا على دينهم.
- جمعت الحضارة الإسلامية في الأندلس بين التقدم الحضاري المادي بمختلف جوانبه، وبين القيم السامقة النابعة من عقيدتهم الإسلامية السمحة.
- نجح مسلمو الأندلس في صناعة حضارة مميزة متفوقة في شتى المجالات، محققة الأمن والسلام والرخاء بين السكان، بالرغم من الصراع المستمر مع الأعداء في الداخل والخارج.
- كان للنمو الاقتصادي الذي تميزت به الأندلس في مختلف عصورها أثره الكبير على التميز الحضاري في شتى المجالات، الزراعية والصناعية والتجارية والعسكرية.
- أبدع مسلمو الأندلس في ابتكار نظام إداري مميز نجحوا من خلاله في تحقيق الوحدة والسيطرة والاستقرار والتقدم ودرء الأخطار المحدقة الكبيرة.
- كان لإتباع سياسات اتسمت بالمصداقية لدى الأعداء قبل الأصدقاء، من حيث الالتزام بالعهود والمواثيق التي كان القادة الأندلسيون يوقعونها، أثرها في كسب ثقة الخصوم والأعداء، حيث أصبحت قرطبة العاصمة مقراً وموطنا للعمل السياسي والدبلوماسي، وفرض ذلك قوة الدولة الإسلامية، والانتصارات التي حققها الأندلسيون على أعدائهم، من خلال الحروب الكثيرة التي خاضوها من أجل تدعيم أركان دولتهم، وتقويتها وتحصينها.
- أبدع المسلمون في المجال العسكري، فطوروا جيشاً وأسلحة، وعدداً وأنظمة تمكنوا من خلالها صد الهجمة الشرسة عليهم من أوروبا المجاورة مدة ثمانية قرون، بالرغم من قربهم منها.

- نجح غير المسلمين في ظل الحكم الإسلامي للأندلس في الإبداع الذي شهدته الأندلس، فقد تطورت تجارتهم ولغتهم وأدبهم بشكل لم يسبق له مثيل، وذلك بفضل سياسة العدل والتسامح التي وفرها المسلمون للجميع.
- ساهم الأندلسيون بشكل واضح في الحضارة الأوروبية الغربية، من خلال انتقال التطور والتقدم والإبداع الحضاري عبر التجارة، والتواصل مع المجتمع الأوروبي على الصعيد الاقتصادية والعلمي والثقافي، خصوصا في العلوم التطبيقية بمختلف تخصصاتها، في الطب والهندسة والفلك والفلسفة وغيرها من العلوم الأخرى.
- لقد كانت حضارة الأندلس مزيجا رائعاً من الحضارات، سواء في المشرق أو الغرب، حيث استفاد الأندلسيون من تلك الحضارات في عملية التطور والتقدم، واستثمروا ذلك وطوروا عليه، حيث أصبح له طابع أندلسي مبدع.

التوصيات:

بعد الانتهاء من هذا الموضوع المهم، الذي هو بعنوان الإبداع في حضارة الأندلس في عصري الإمارة والخلافة، يتبين أن هناك موضوعات أخرى مهمة جديرة بالبحث، وقد تكون المكتبة العربية بحاجة ماسة لإثرائها من خلال الأبحاث المحكمة، ومن هذه الموضوعات المقترحة:

1- أثر النزاع الداخلي بين مسلمي الأندلس على وقف عجلة التطور والإبداع الحضاري في الأندلس.

2- دراسة الأسباب الحقيقية التي ساهمت في انهيار دولة الأندلس بعد أن وصلت إلى هذا القدر من الحضارة والتطور.

3- موقف أهل الذمة من الصراع الإسلامي النصراني في الأندلس.

4- دورغير المسلمين في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس.

5- دراسة مدى تأثير المسلمين في الأندلس بعلاقاتهم مع الأديان الأخرى، والإثنيات القومية والعرقية في تلك البلاد.

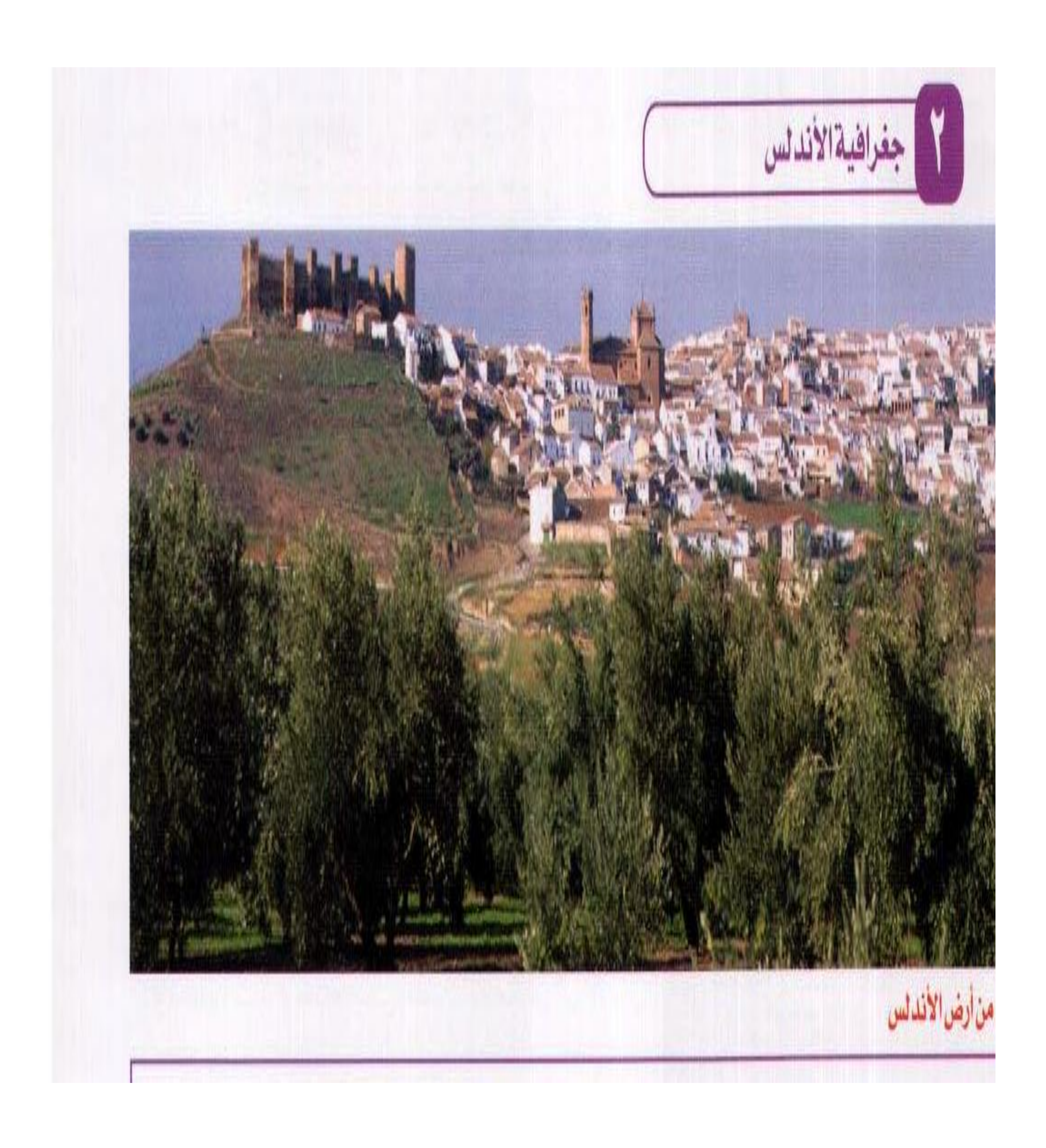
الملاحق

ملحق رقم(1)



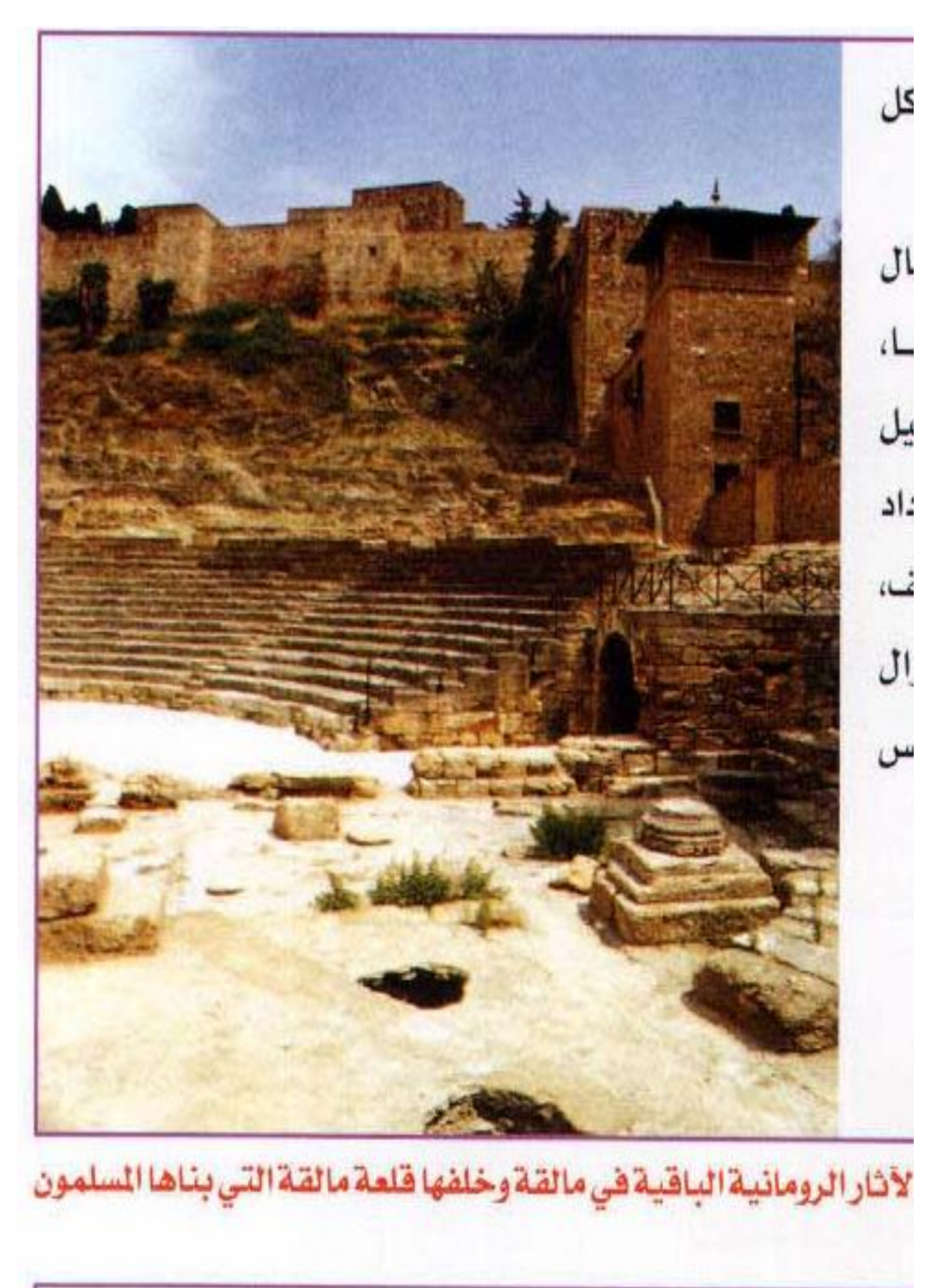
السويدان، طارق: الأندلس التاريخ المصور ، الناشر: شركة الإبداع الفكري، ط1، 1426هـ- 2005م، ص4.

ملحق رقم(2)



السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص28.

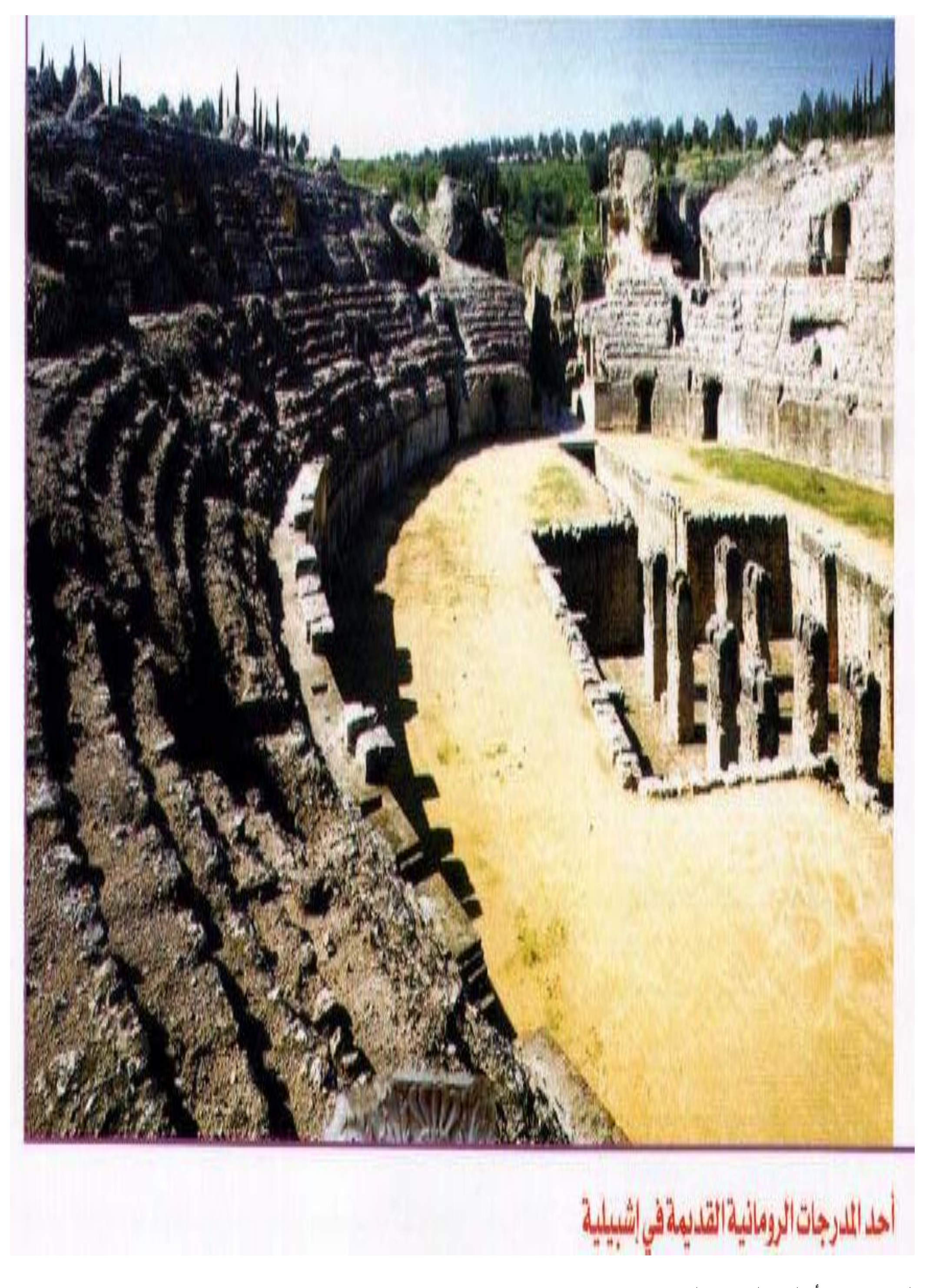
ملحق رقم(3)



الآثار الرومانية الباقية في مالقة وخلفها قلعة مالقة التي بناها المسلمون

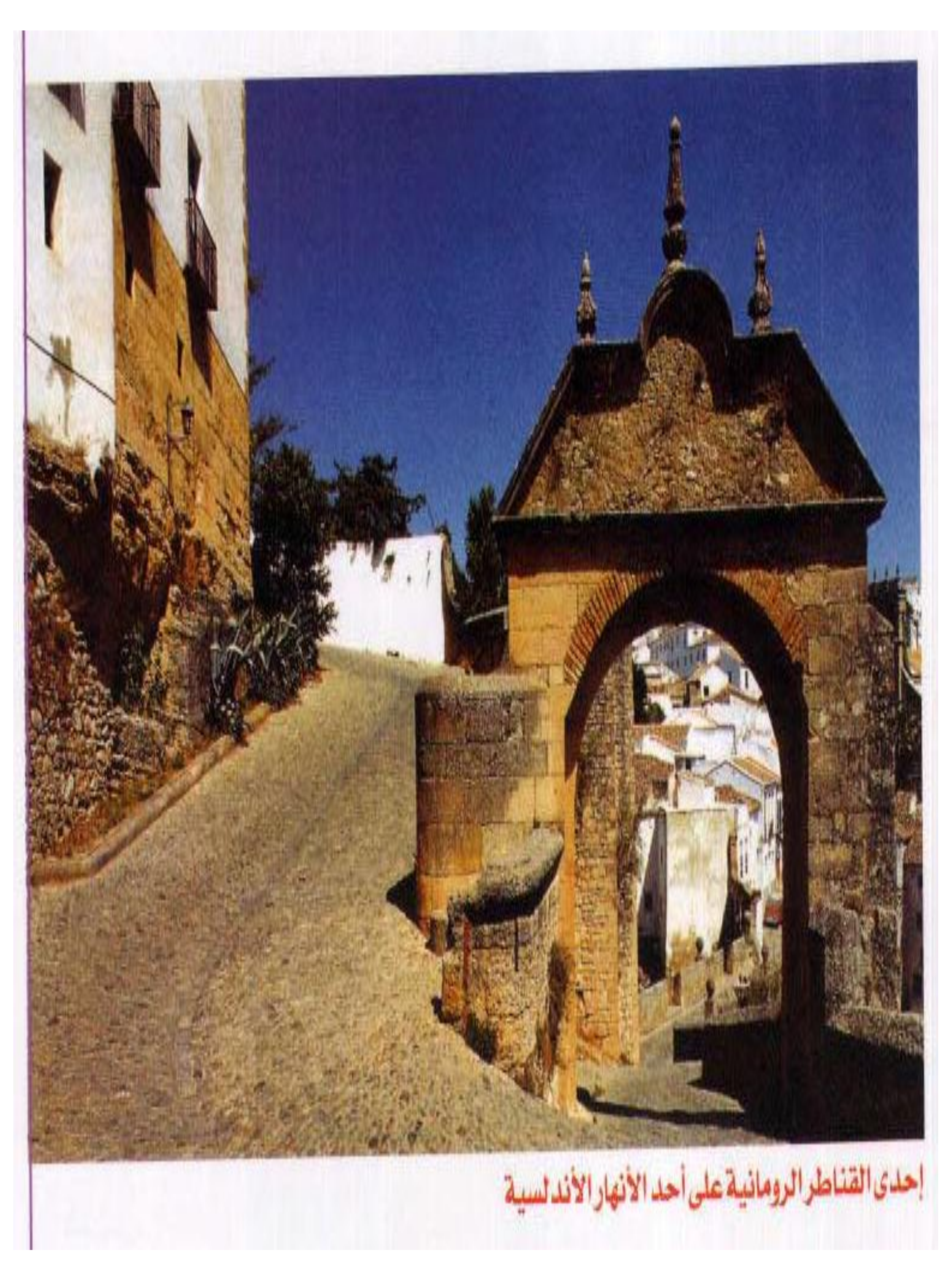
السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص30.

ملحق رقم(4)



السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص30.

ملحق رقم(5)



إحدى القناطر الرومانية على أحد الأنهار الأندلسية

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص31.

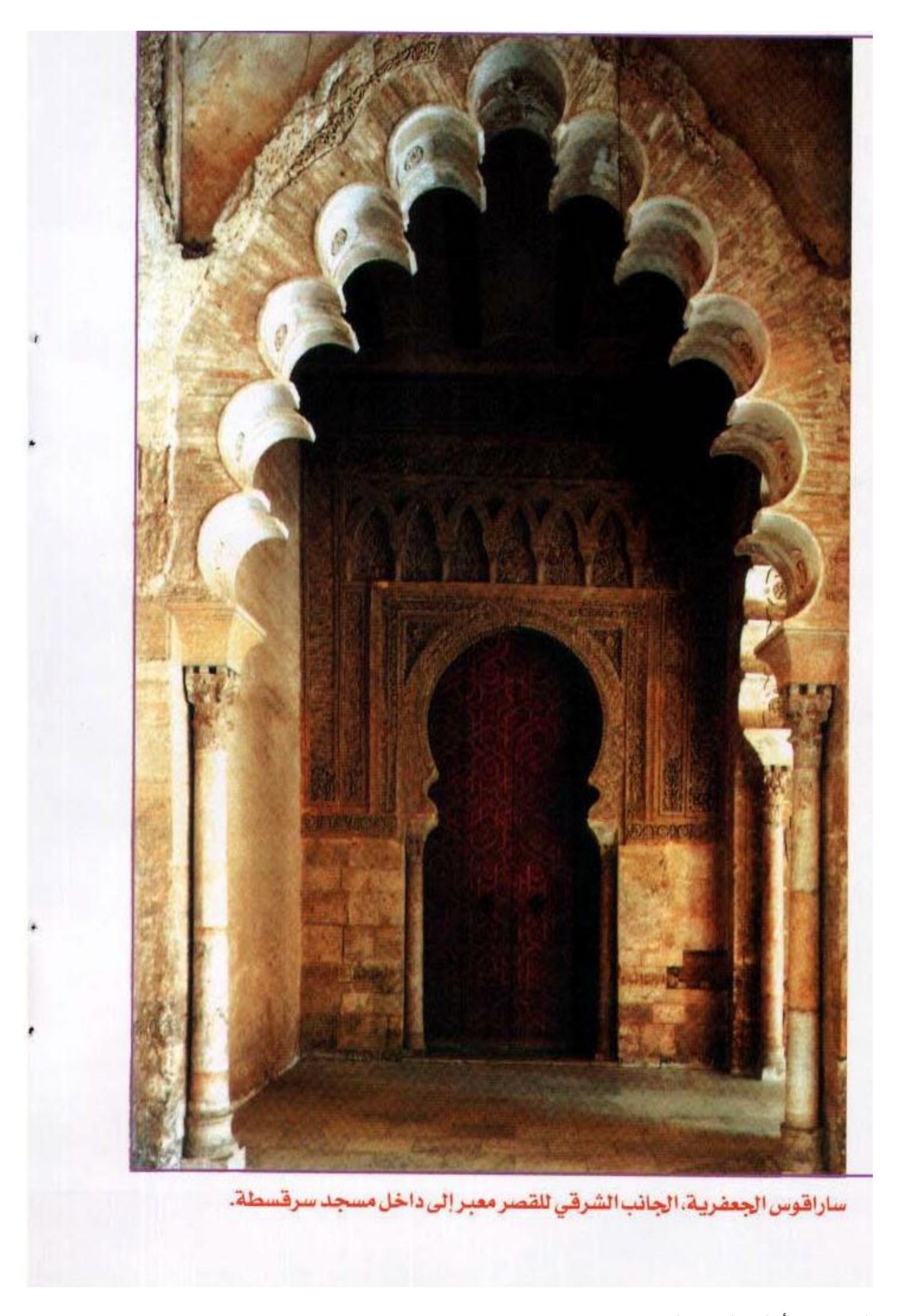
ملحق رقم(6)



جيش المسلمين يستعد للفتح

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص36.

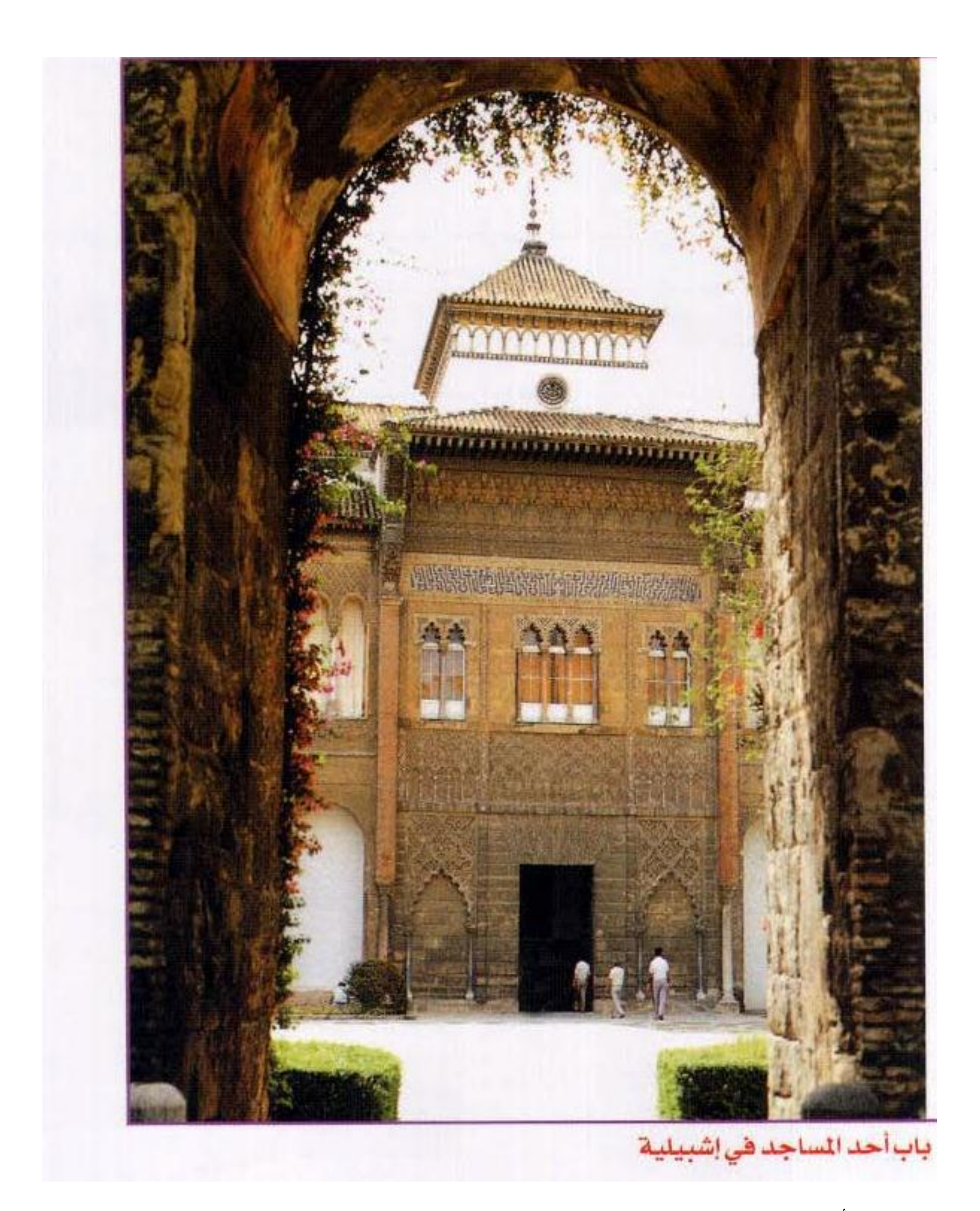
ملحق رقم(7)



ساراقوس الجعفرية، الجانب الشرقي للقصر معبر إلى داخل مسجد سرقسطة.

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص48.

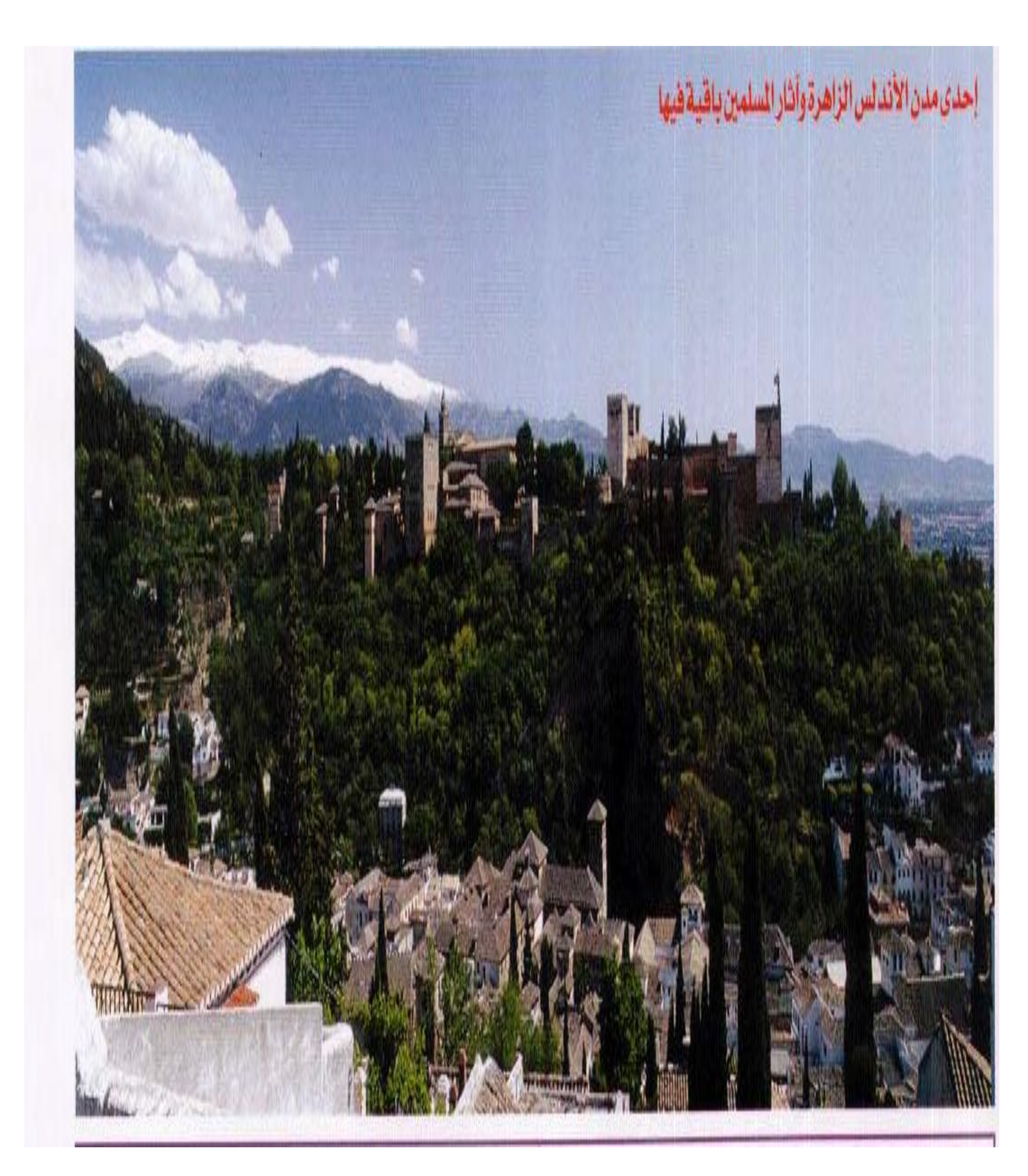
ملحق رقم(8)



باب أحد المساجد في إشبيلية

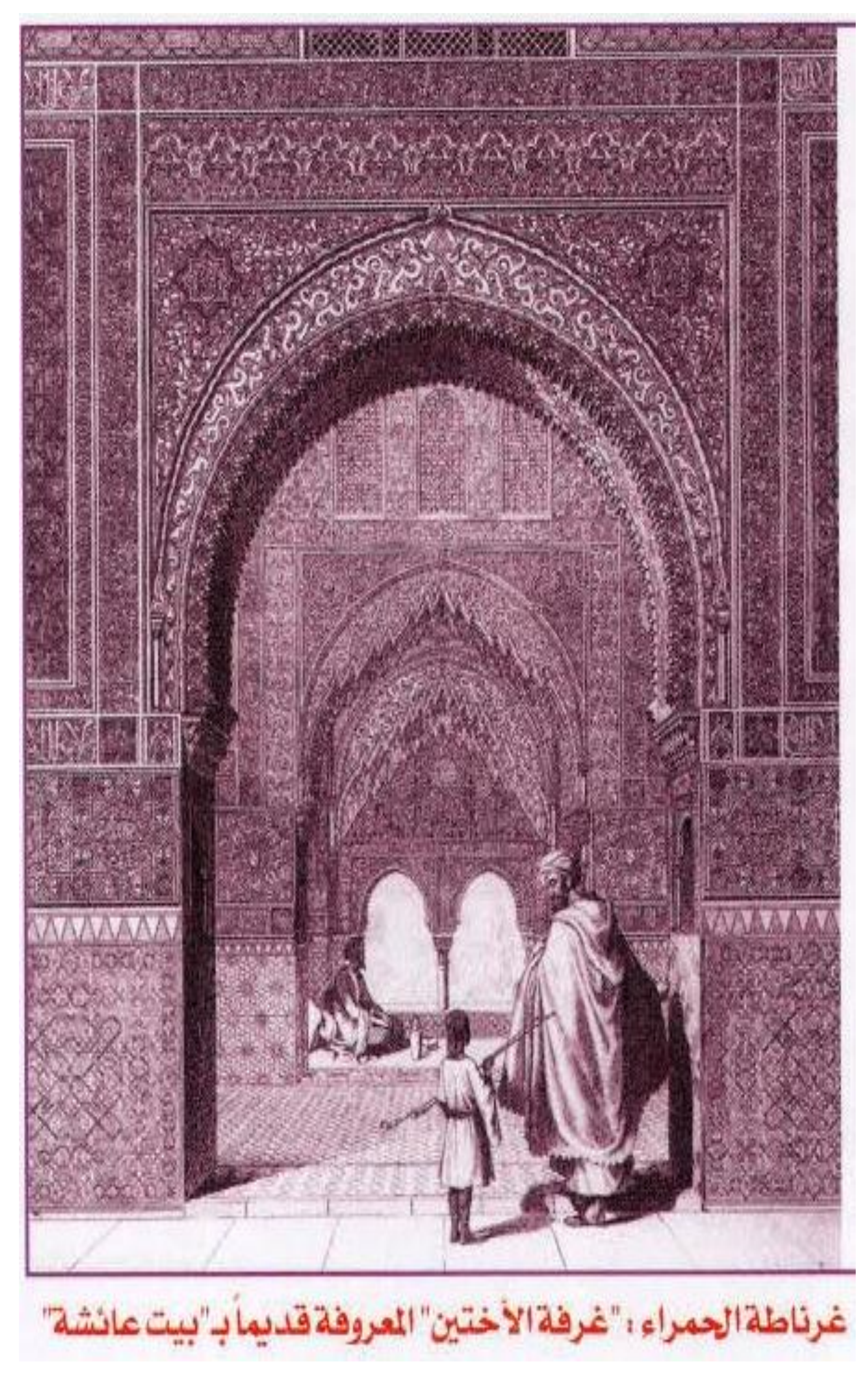
السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص61.

ملحق رقم(9)



السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص65.

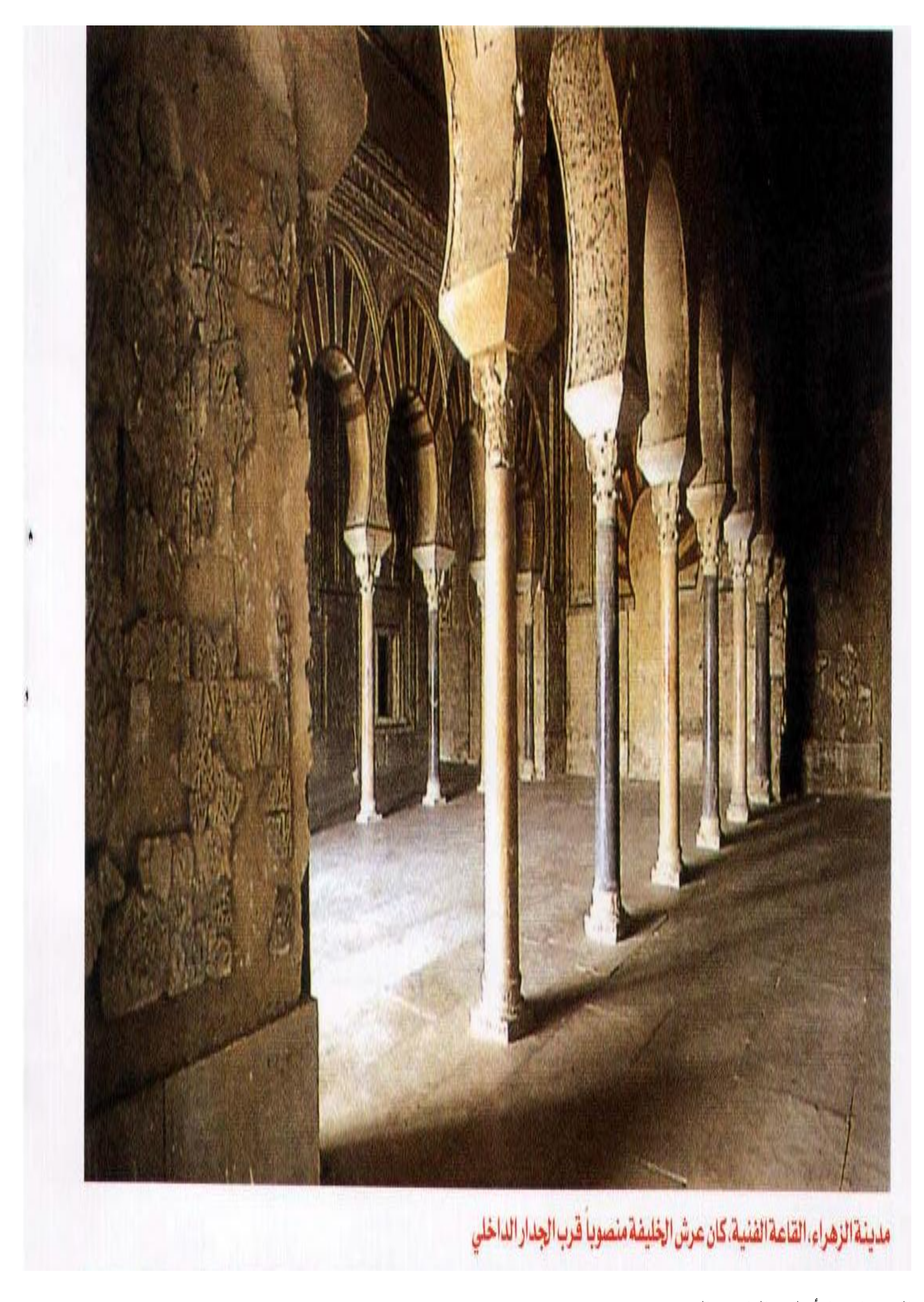
ملحق رقم(10)



غرناطة الحمراء: "غرفة الأختين" المعروفة قديماً بـ"بيت عائشة"

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص69.

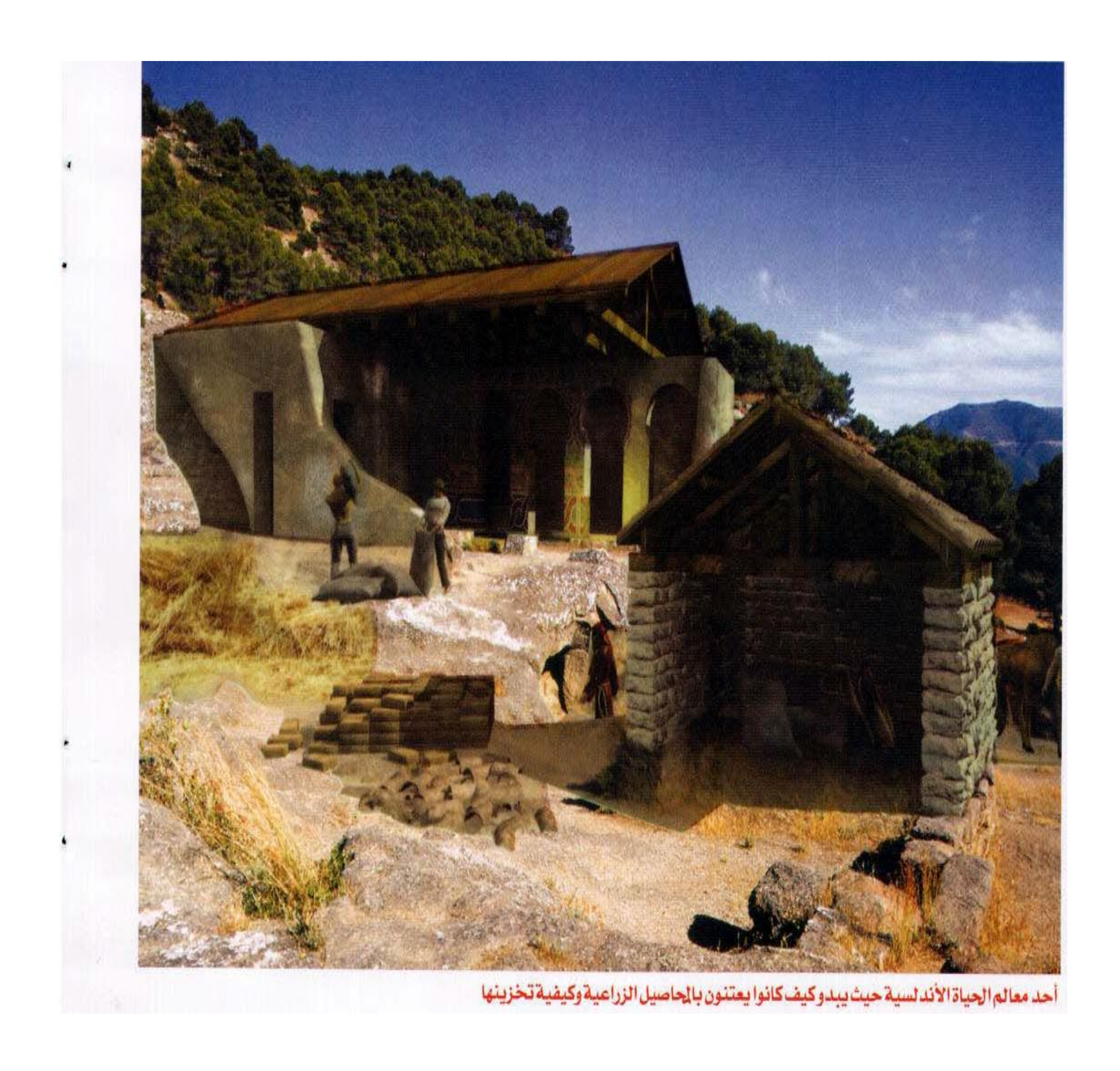
ملحق رقم(11)



مدينة الزهراء، القاعة الفنية، كان عرش الخليفة منصوباً قرب الجدار الداخلي

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص70.

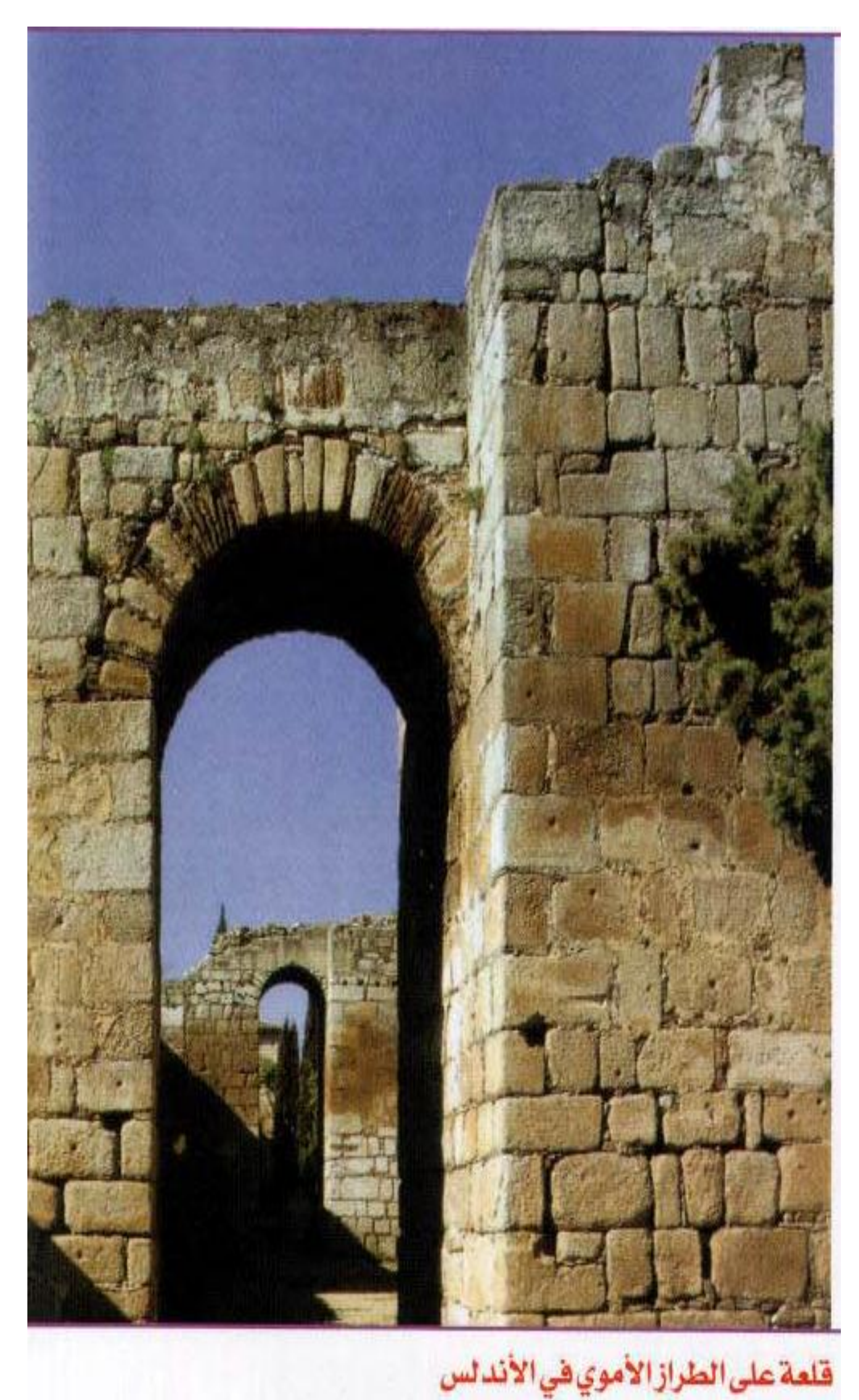
ملحق رقم(12)



أحد معالم الحياة الأندلسية حيث يبدو كيف كانوا يعتنون بالمحاصيل الزراعية وكيفية تخزينها

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص76.

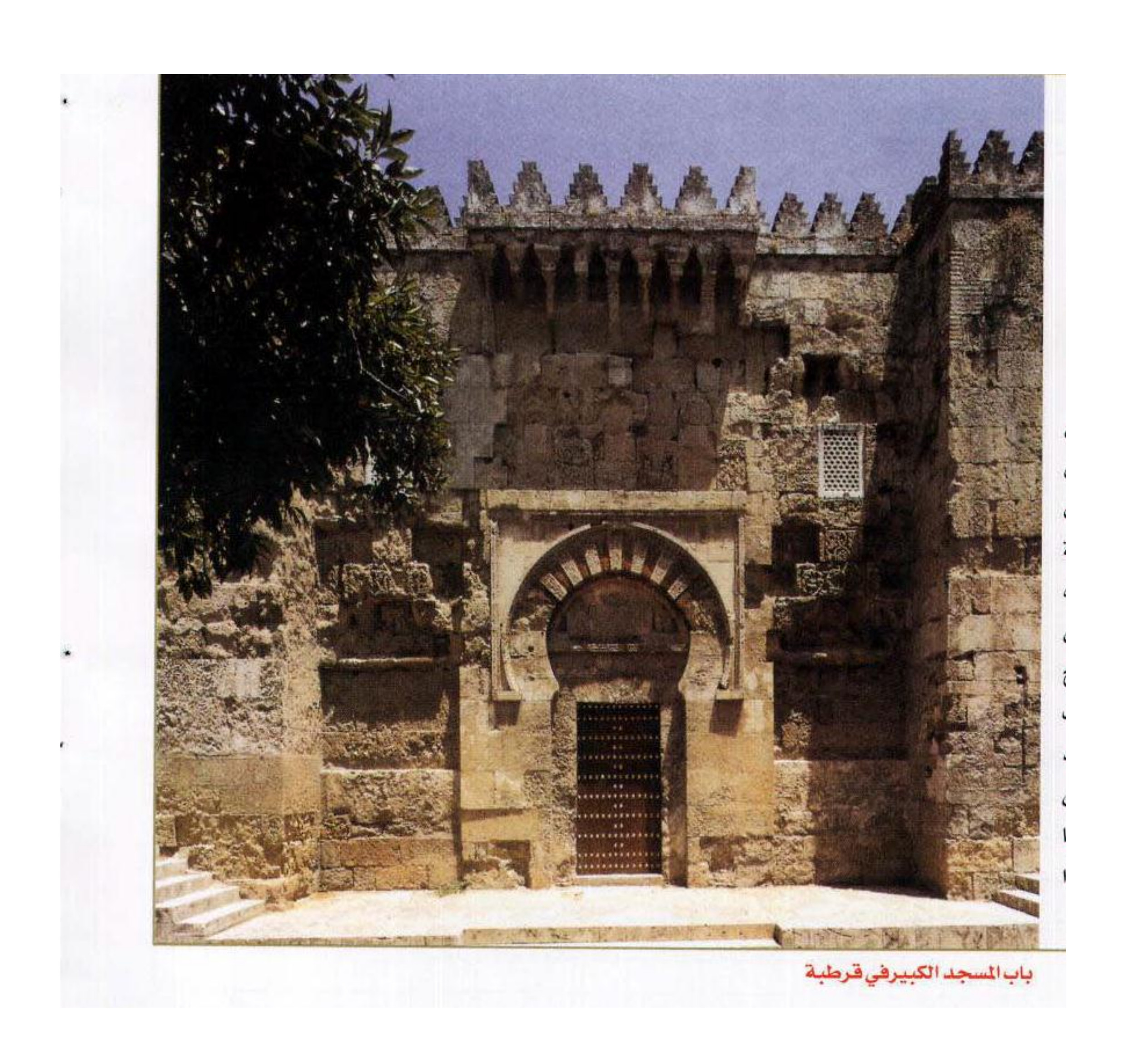
ملحق رقم(13)



قلعة على الطراز الأموي في الأندلس

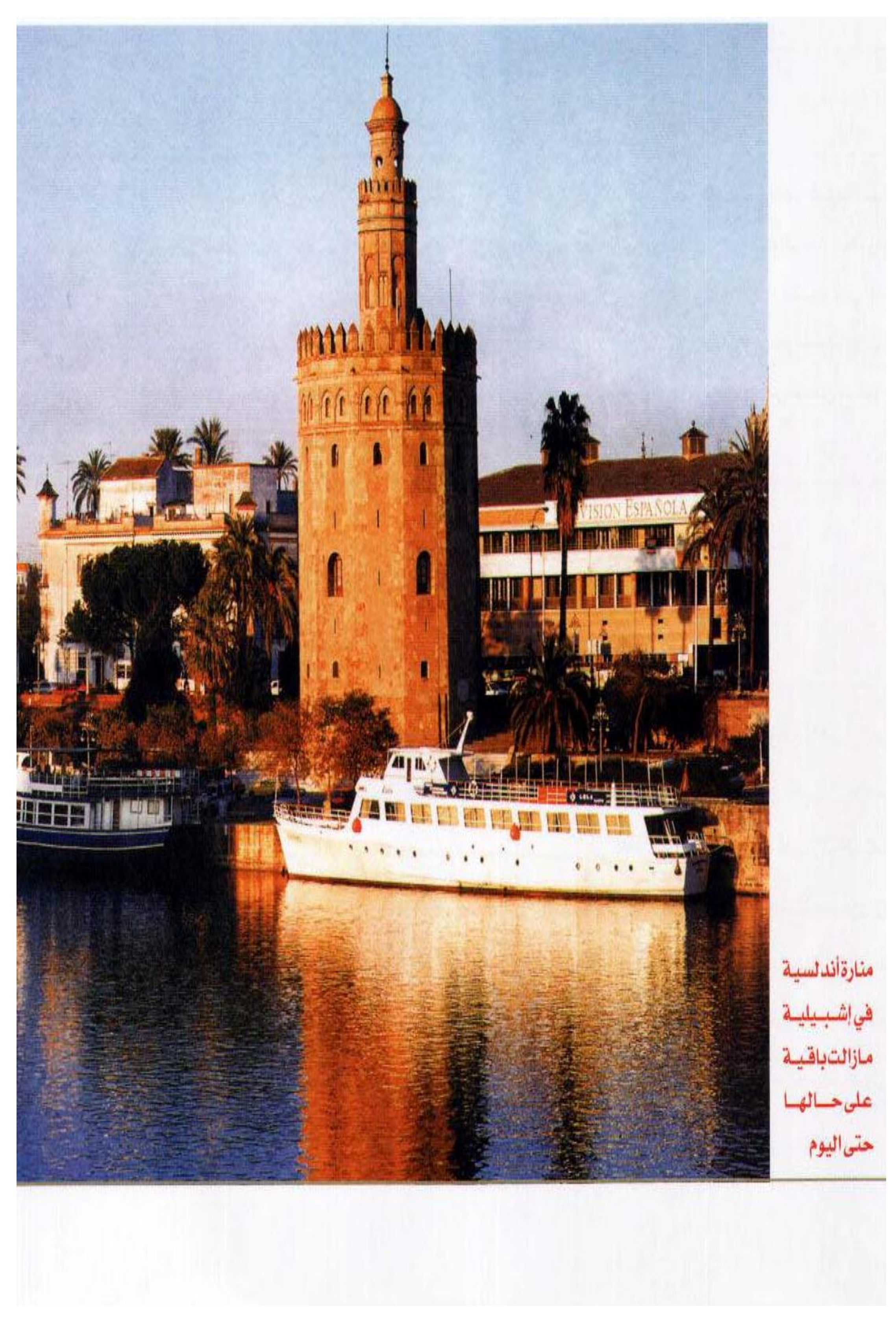
السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص78.

ملحق رقم(14)


باب المسجد الكبير في قرطبة

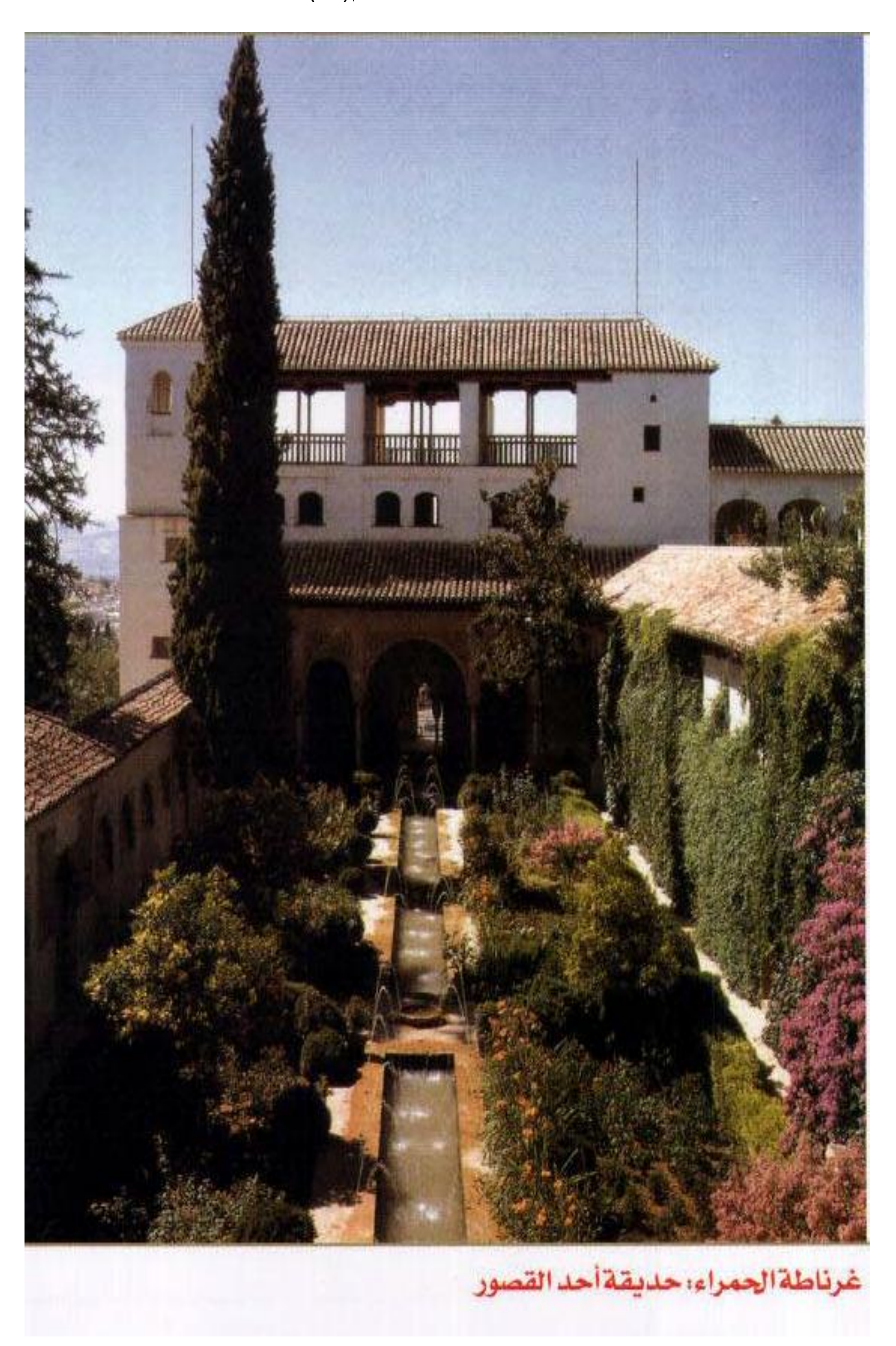
السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص98.

ملحق رقم(15)



السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص102.

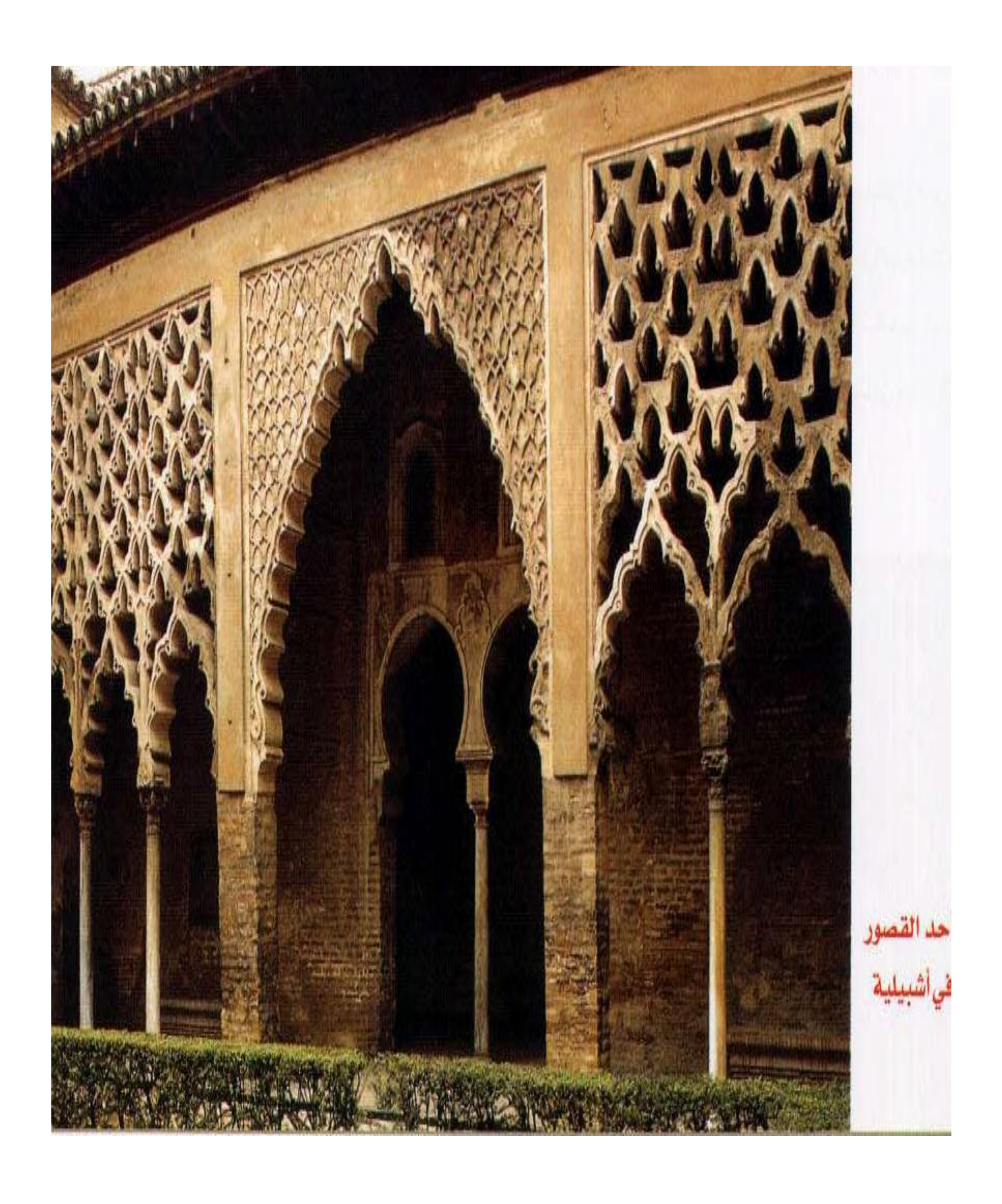
ملحق رقم(16)



غرناطة الحمراء: حديقة أحد القصور

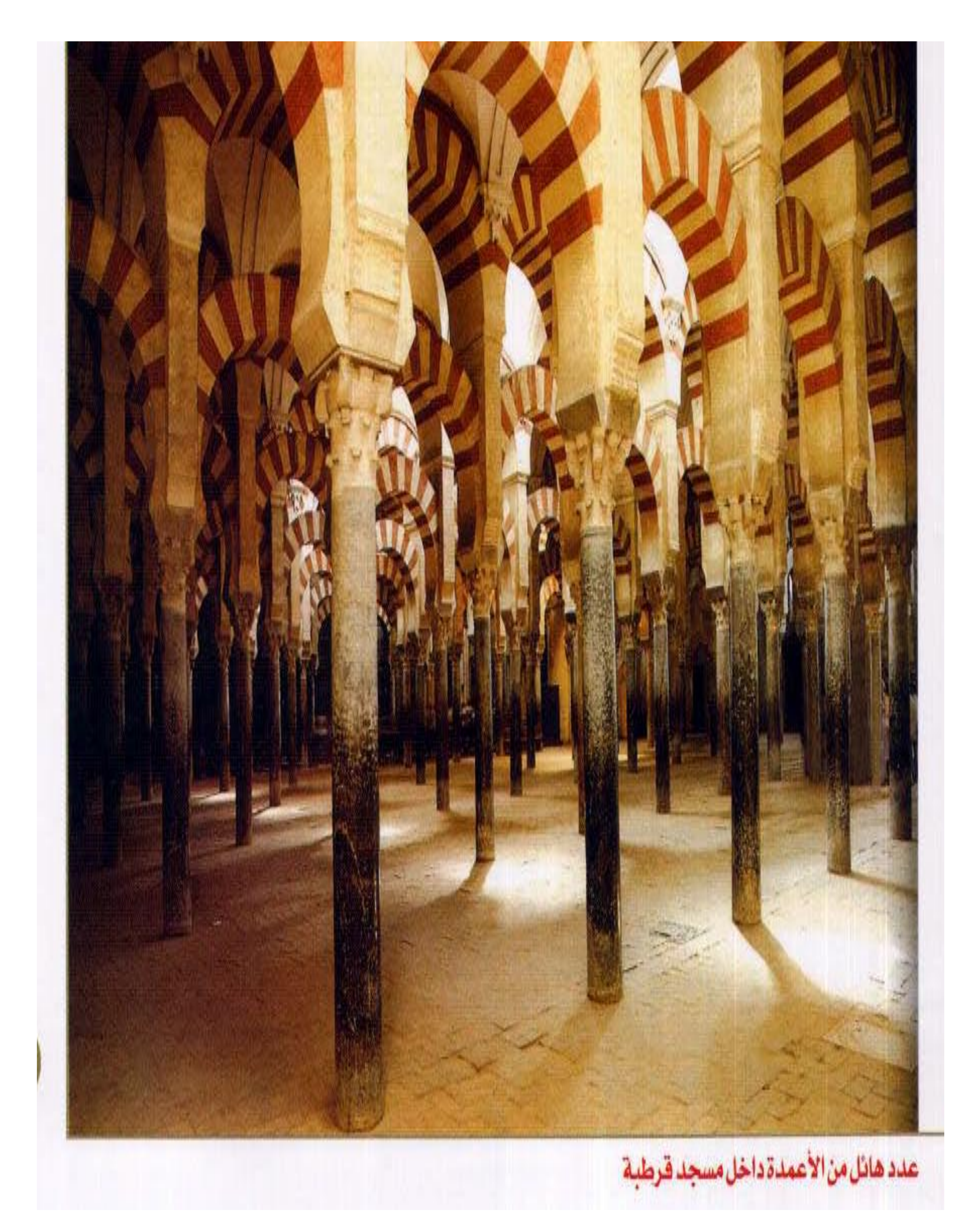
السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص103.

ملحق رقم(17)



السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص106.

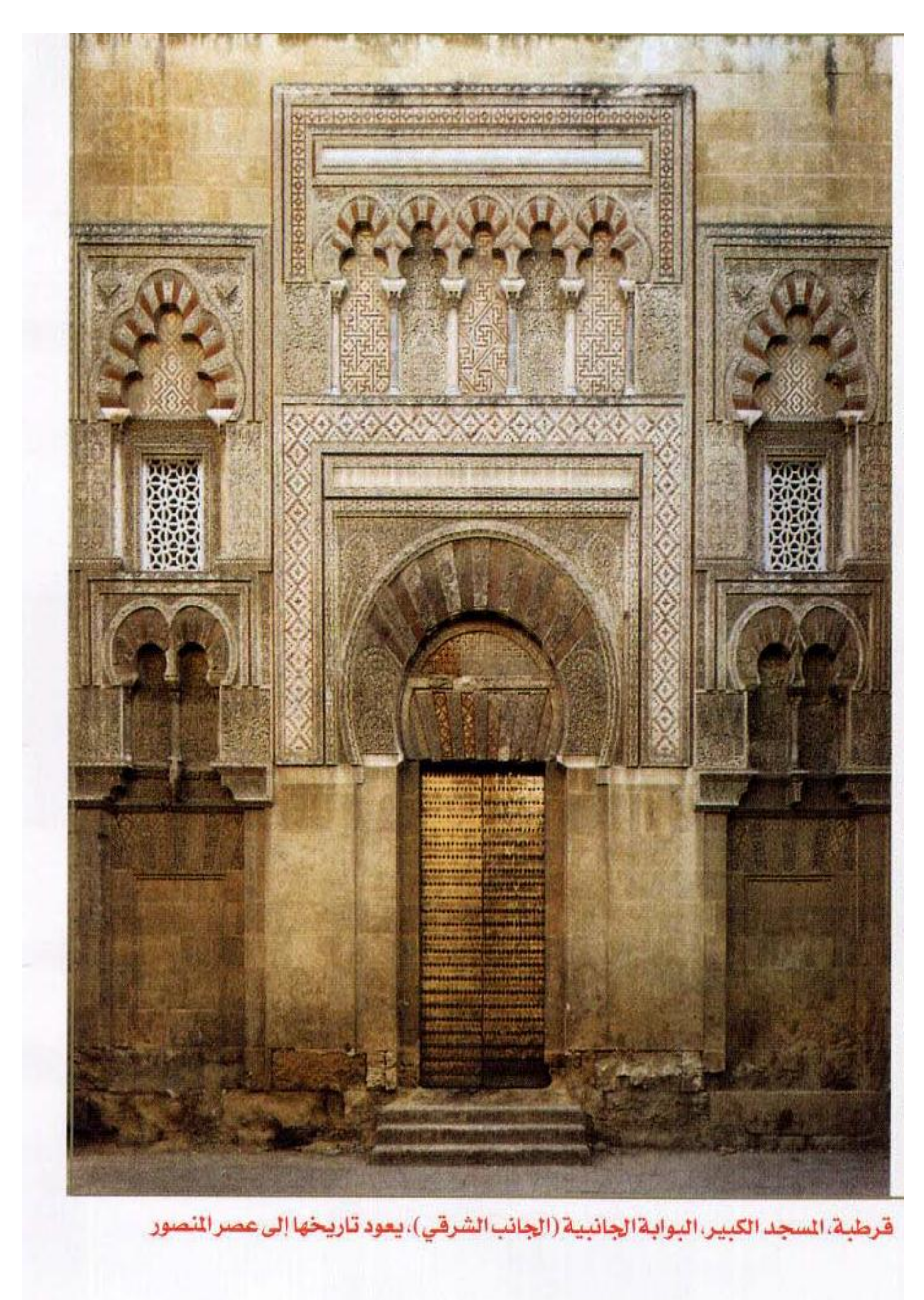
ملحق رقم(18)



عدد هائل من الأعمدة داخل مسجد قرطبة

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص113.

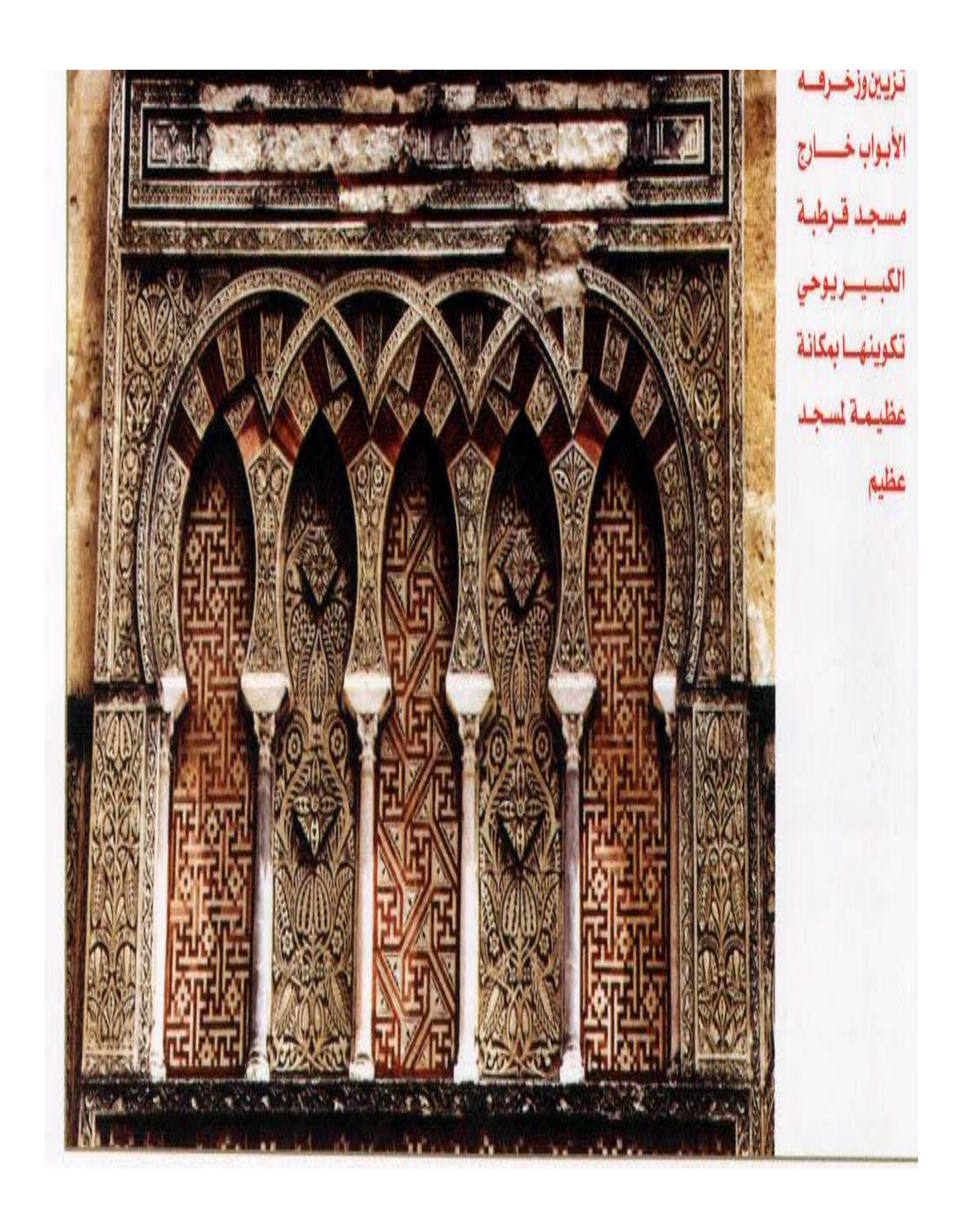
ملحق رقم(19)



قرطبة، المسجد الكبير، البوابة الجانبية (الجانب الشرقي)، يعود تاريخها إلى عصر المنصور

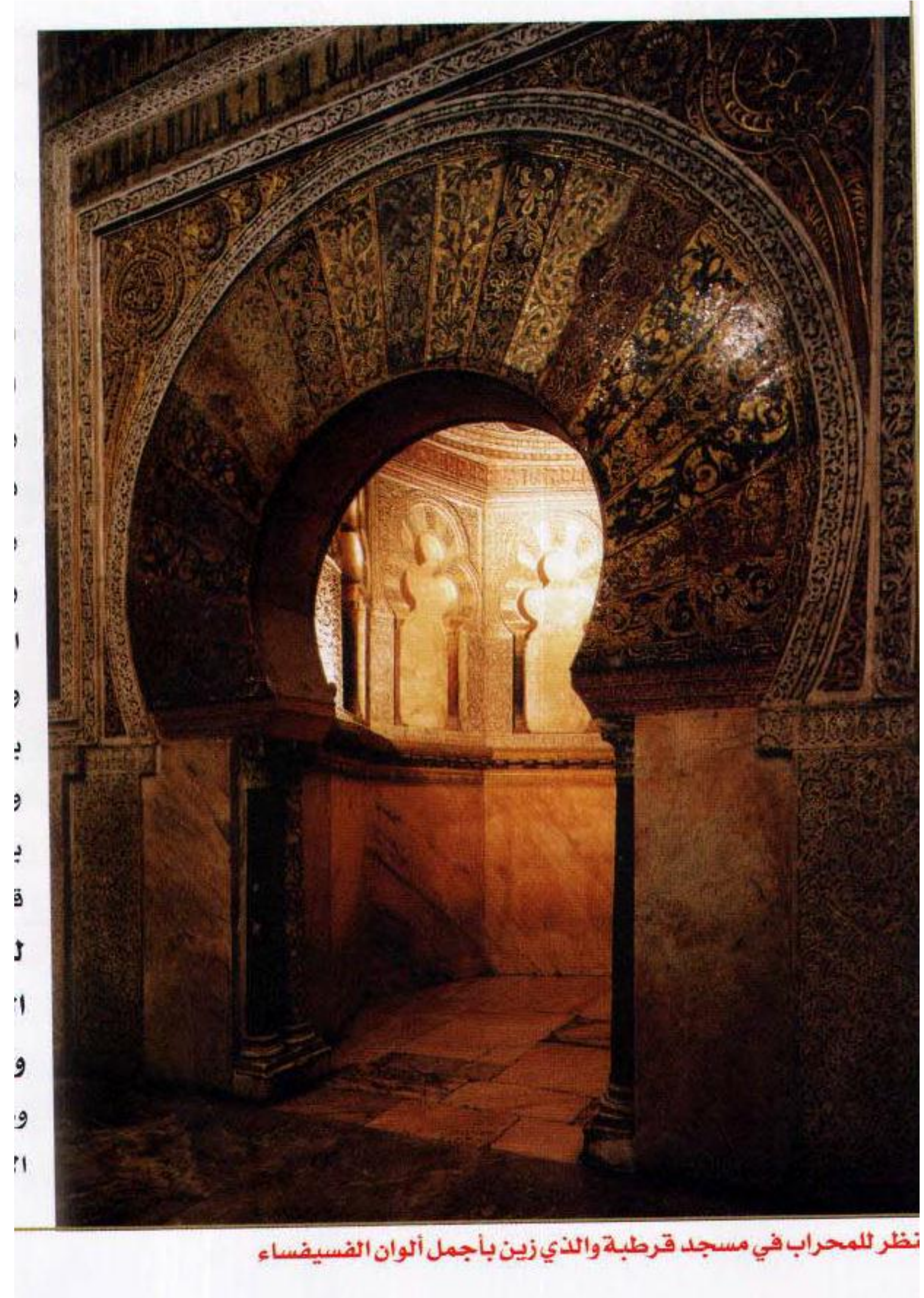
السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص114.

ملحق رقم(20)



السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص118.

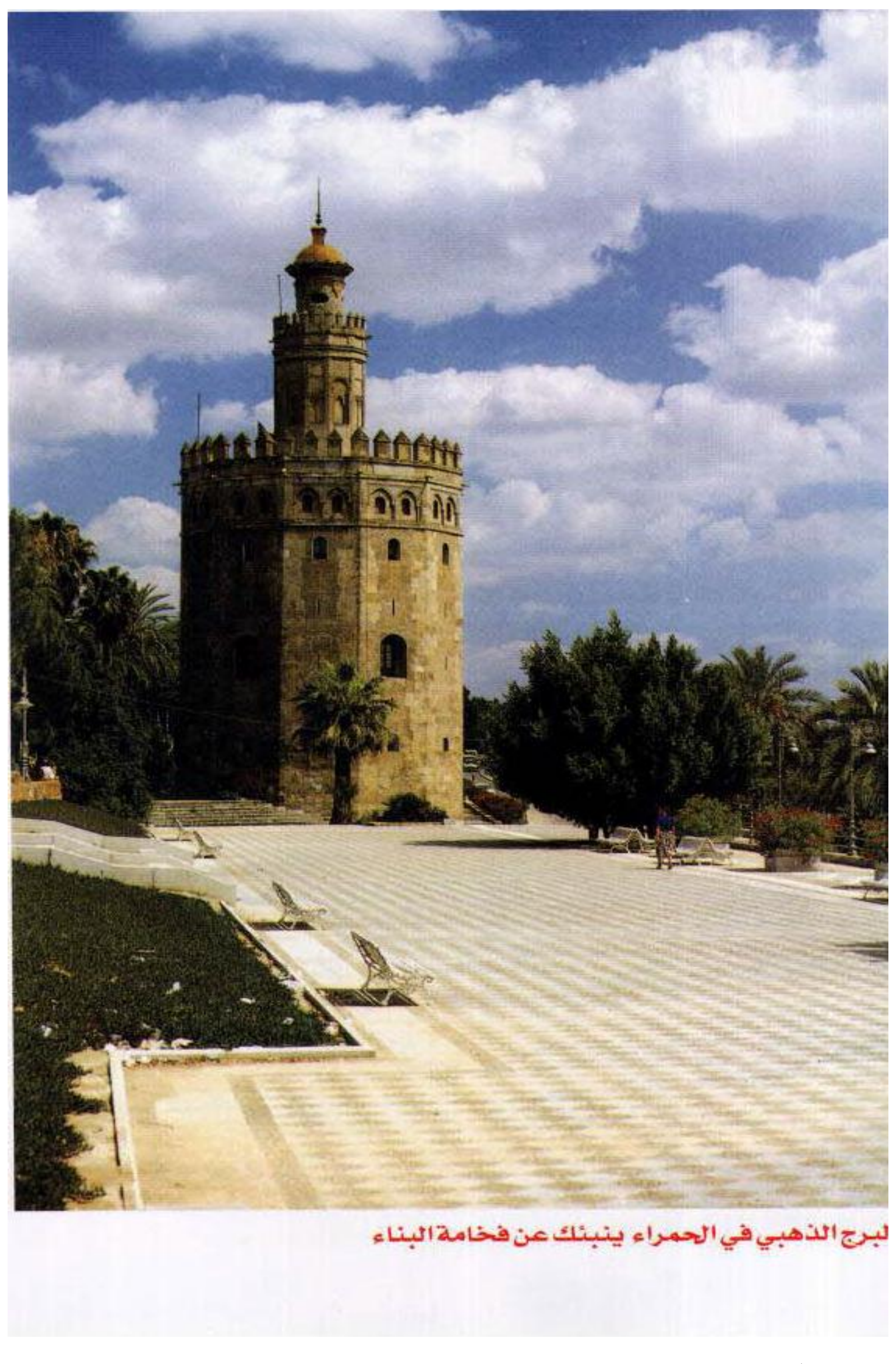
ملحق رقم(21)



نظر للمحراب في مسجد قرطبة والذي زين بأجمل ألوان الفسيفساء

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص123.

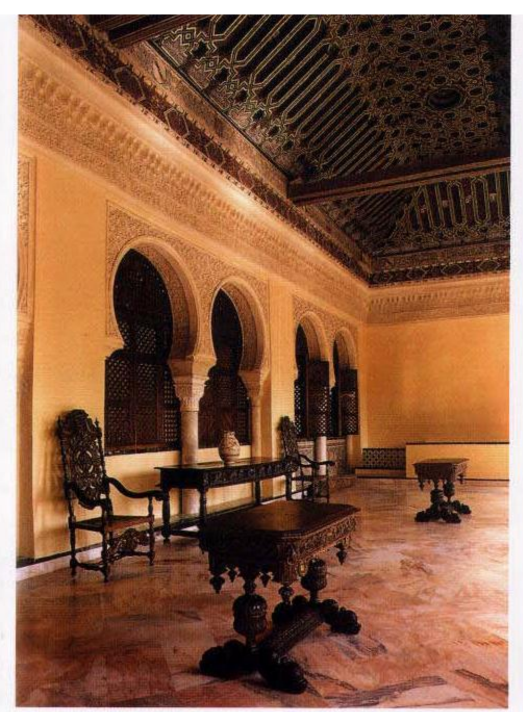
ملحق رقم(22)



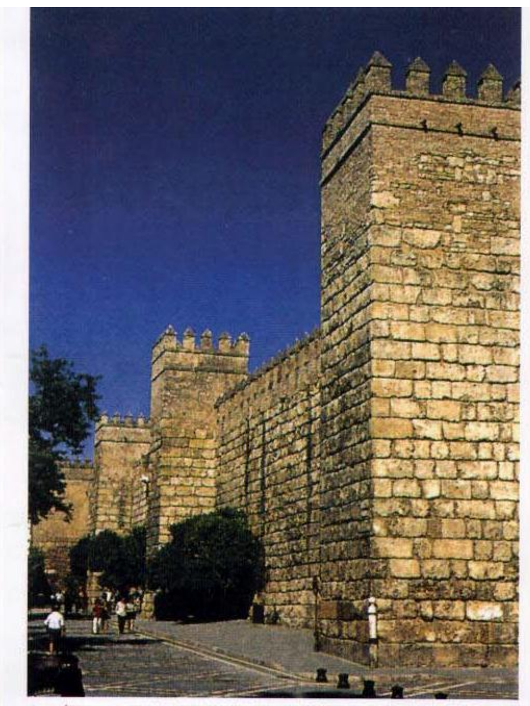
لبرج الذهبي في الحمراء ينبئك عن فخامة البناء

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص133.

ملحق رقم(23)



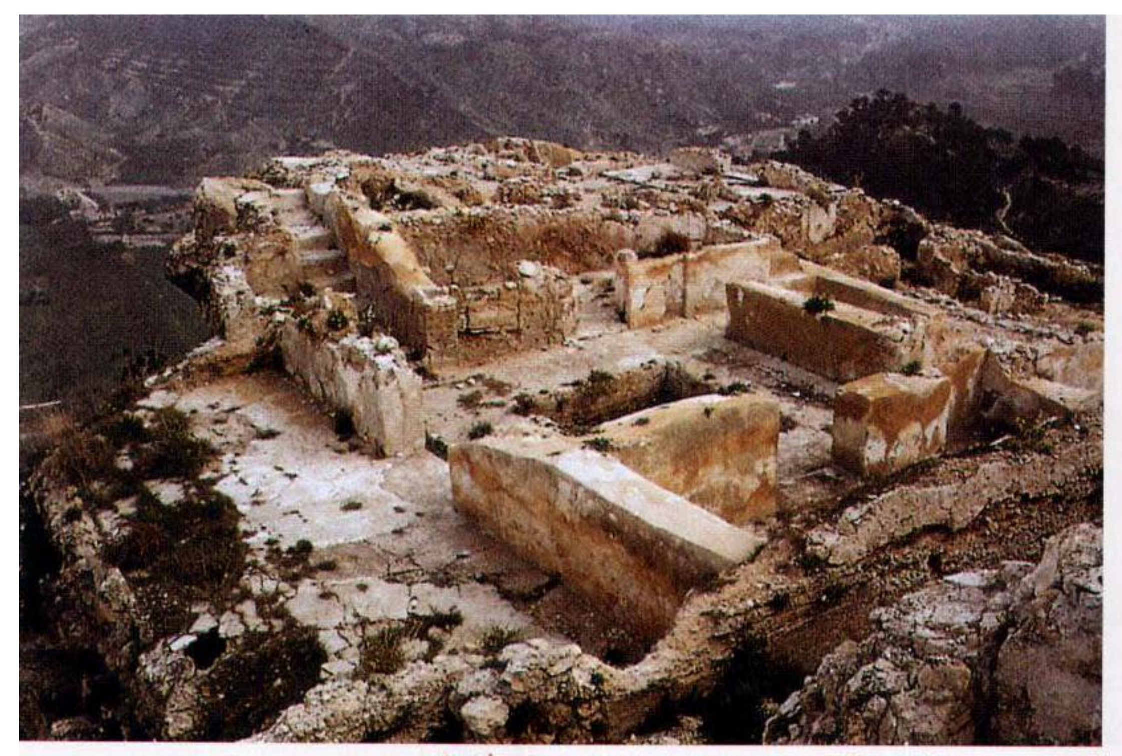
صالة أحد القصور في الأندلس



السور المنيع المحيط بإشبيلية القديمة والذي كان لعبد الرحمن الأوسط الفضل في إحكام بنائه

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص138.

ملحق رقم(24)



آثار قلعة إسلامية قديمة باقية حتى اليوم وتجري عليها الحفريات الأثرية



خزان روماني: كان القوطيون الغربيون والعرب يستعملون هذا الخزان ويحافظون عليه

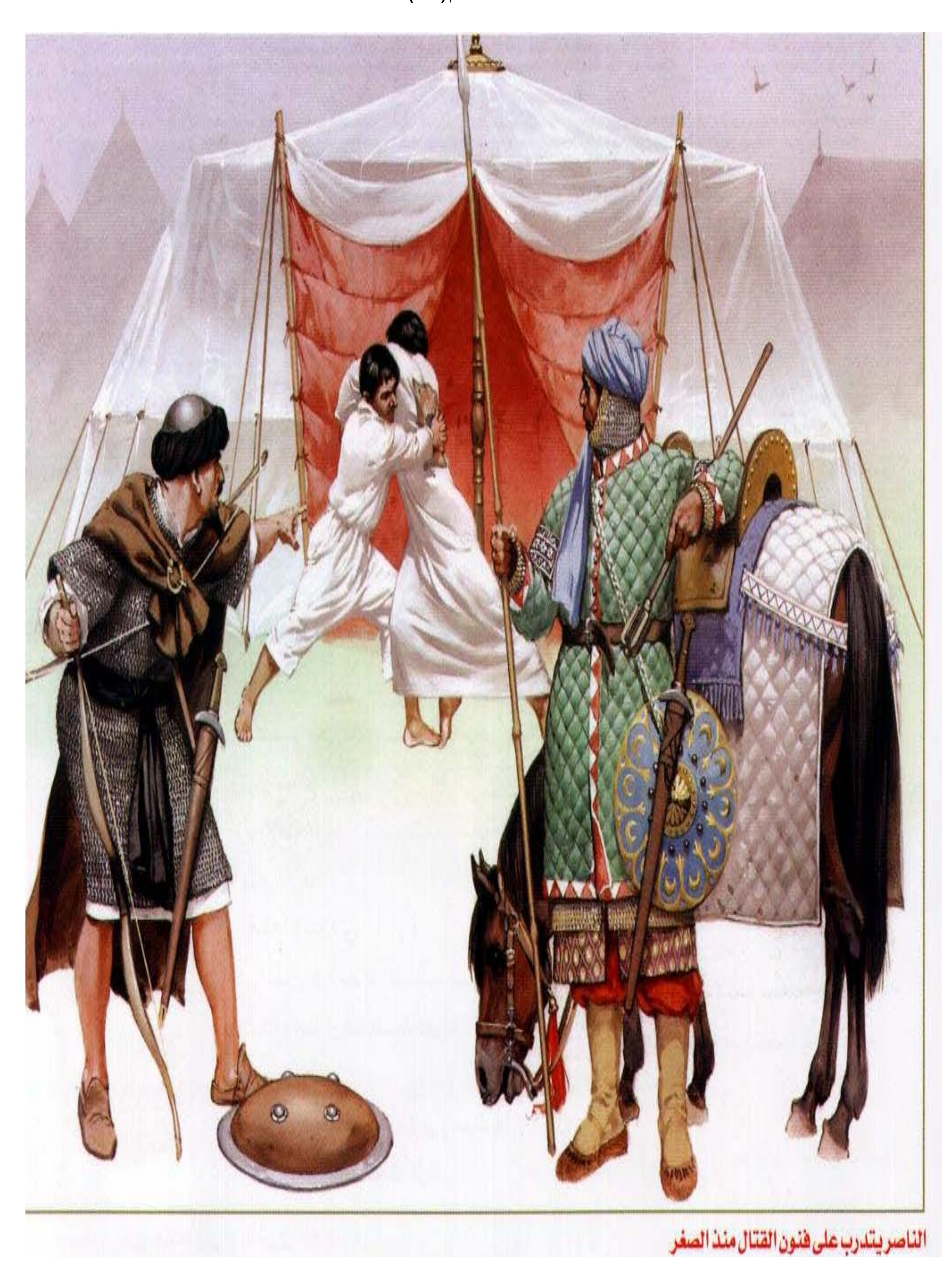
السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص148.

ملحق رقم(25)


الحدائق الأندلسية الباهرة

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص156.

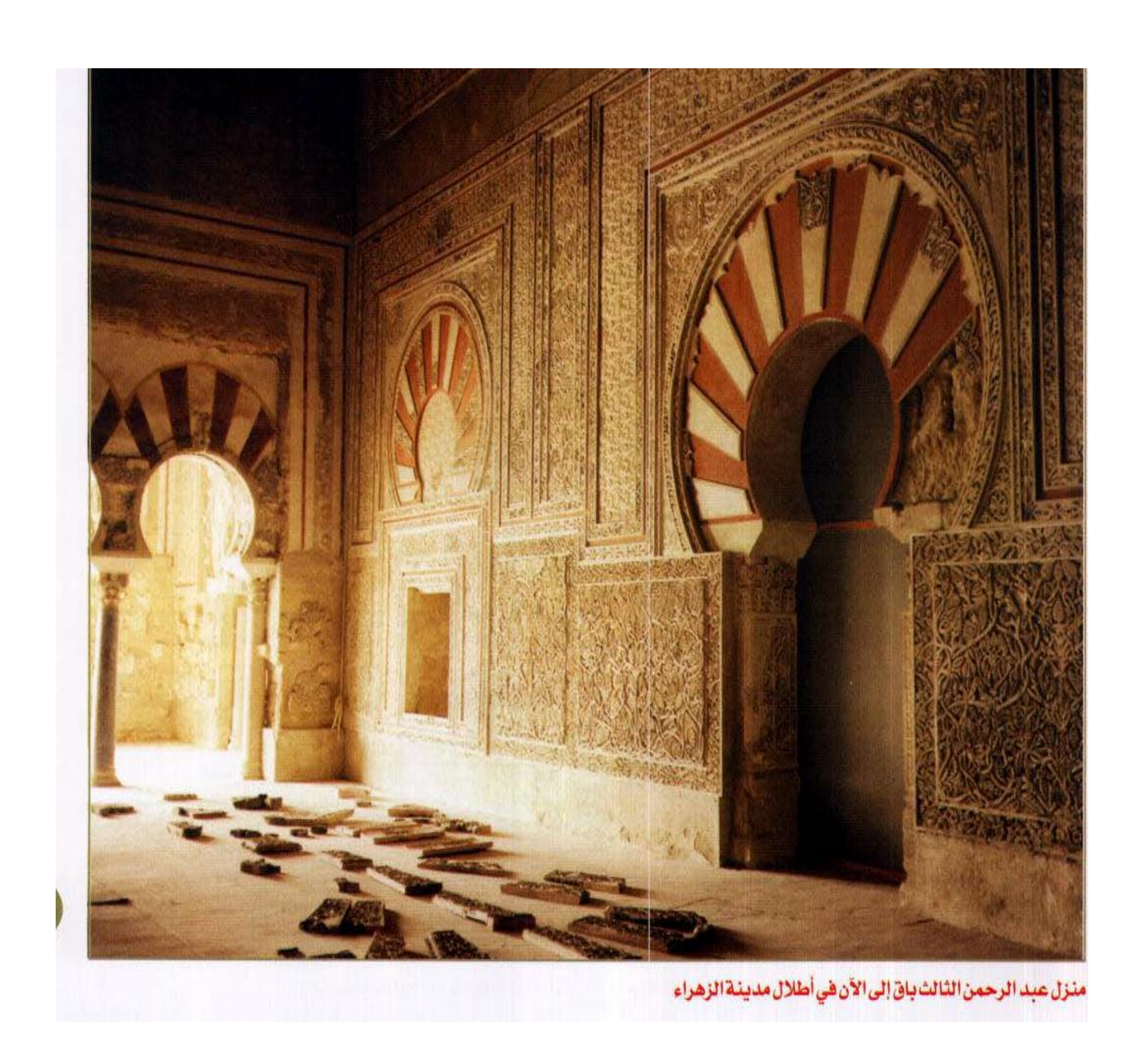
ملحق رقم(26)



الناصر يتدرب على فنون القتال منذ الصغر

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص158.

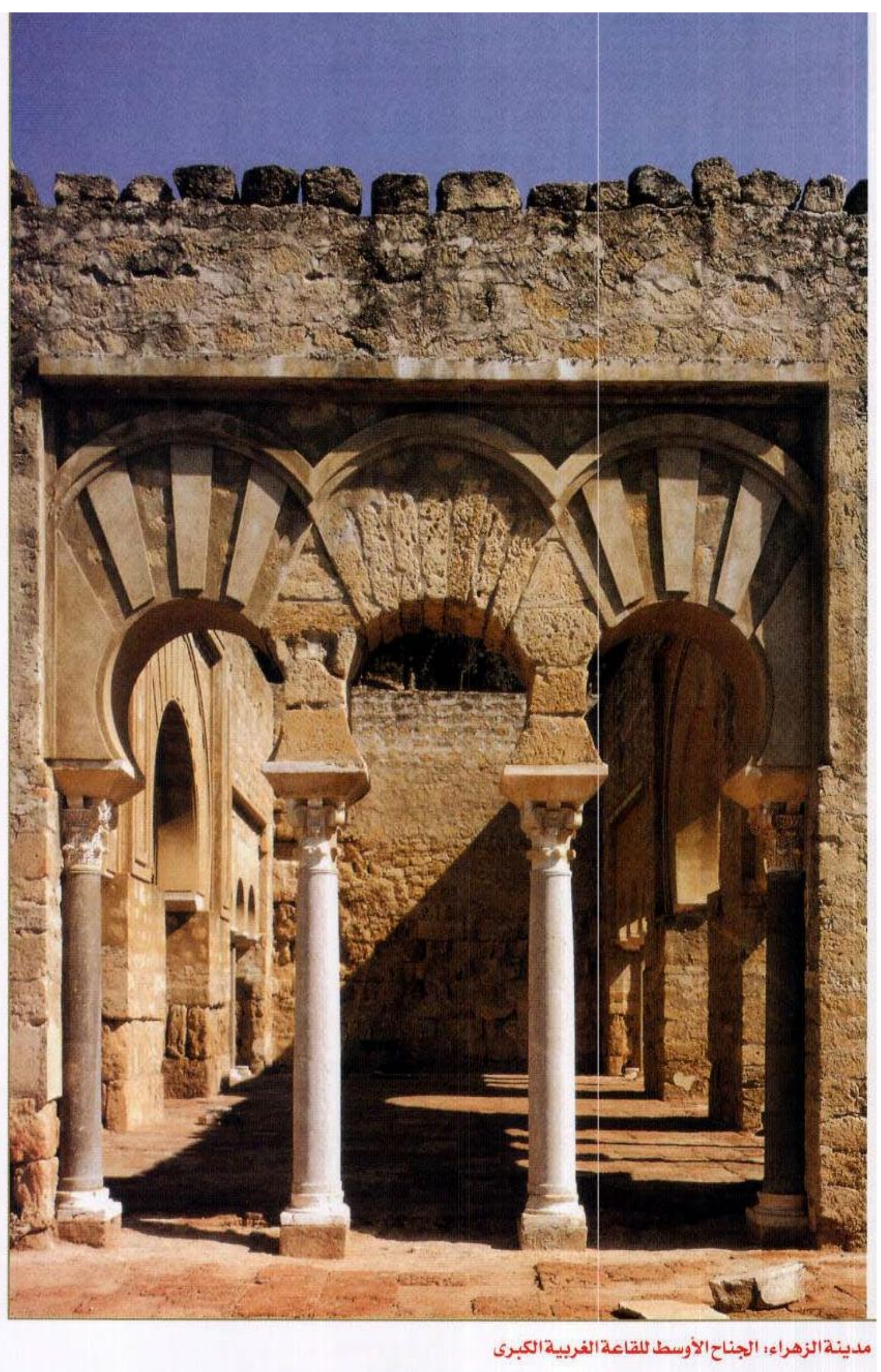
ملحق رقم(27)



منزل عبد الرحمن الثالث باق إلى الآن في أطلال مدينة الزهراء

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص159.

ملحق رقم(28)



مدينة الزهراء: الجناح الأوسط للقاعة الغربية الكبرى

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص161.

ملحق رقم(29)



السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص163.

ملحق رقم(30)

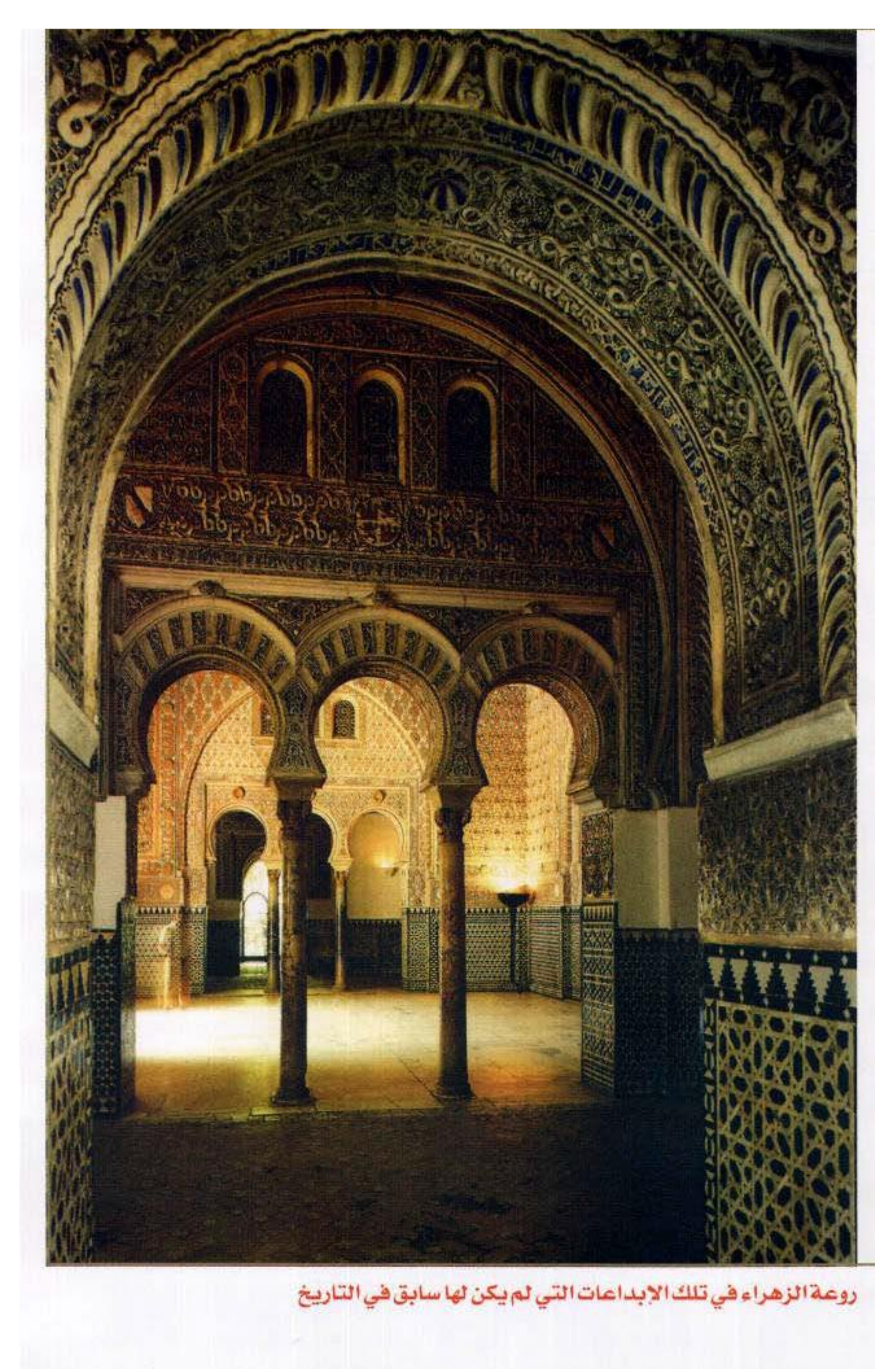


الممر إلى مدينة الزهراء

بقايا غرفة استقبال في مدينة الزهراء ويظهر الحوض في وسطها

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص166.

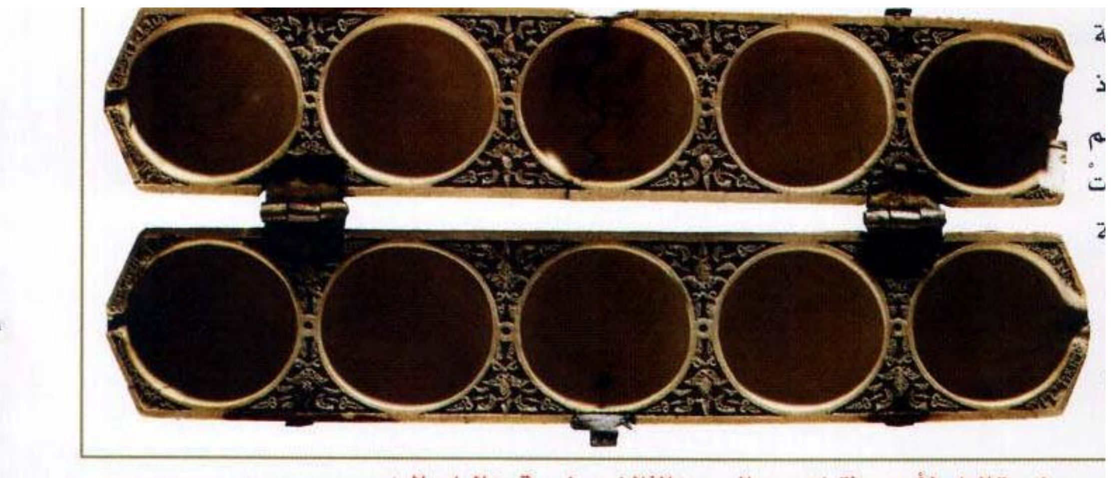
ملحق رقم(31)



روعة الزهراء في تلك الإبداعات التي لم يكن لها سابق في التاريخ

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص196.

ملحق رقم(32)



صندوق العاب لأحدى فتيات عبد الرحمن الثالث مصنوعة من العاج والمعدن

الأعمدة والأقواس والزخرفة والفسيفساء في بهو أحد قصور الزهراء

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص198.

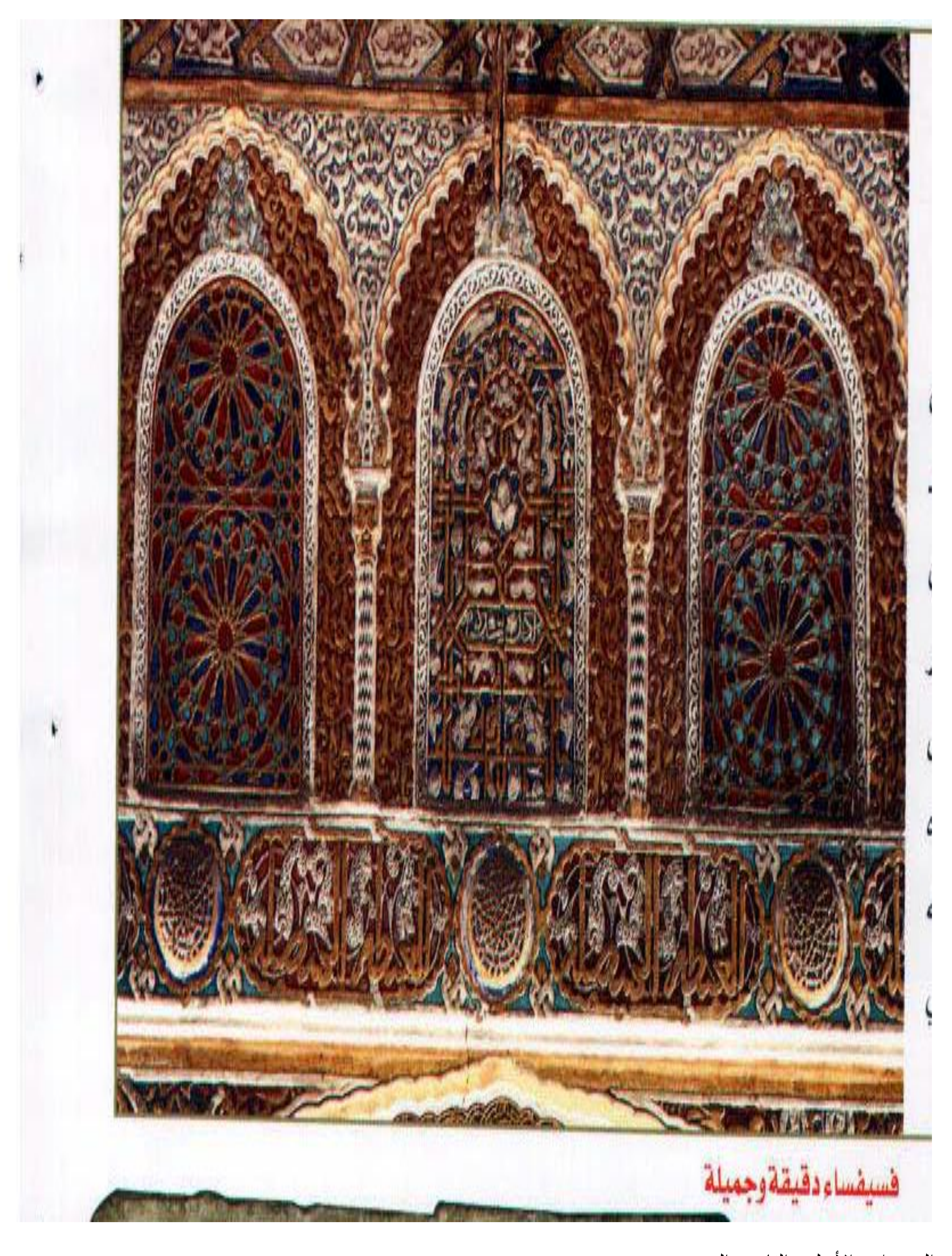
ملحق رقم(33)



وعاء حجري من الخزف منقوش ومزخرف

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص202.

ملحق رقم(34)



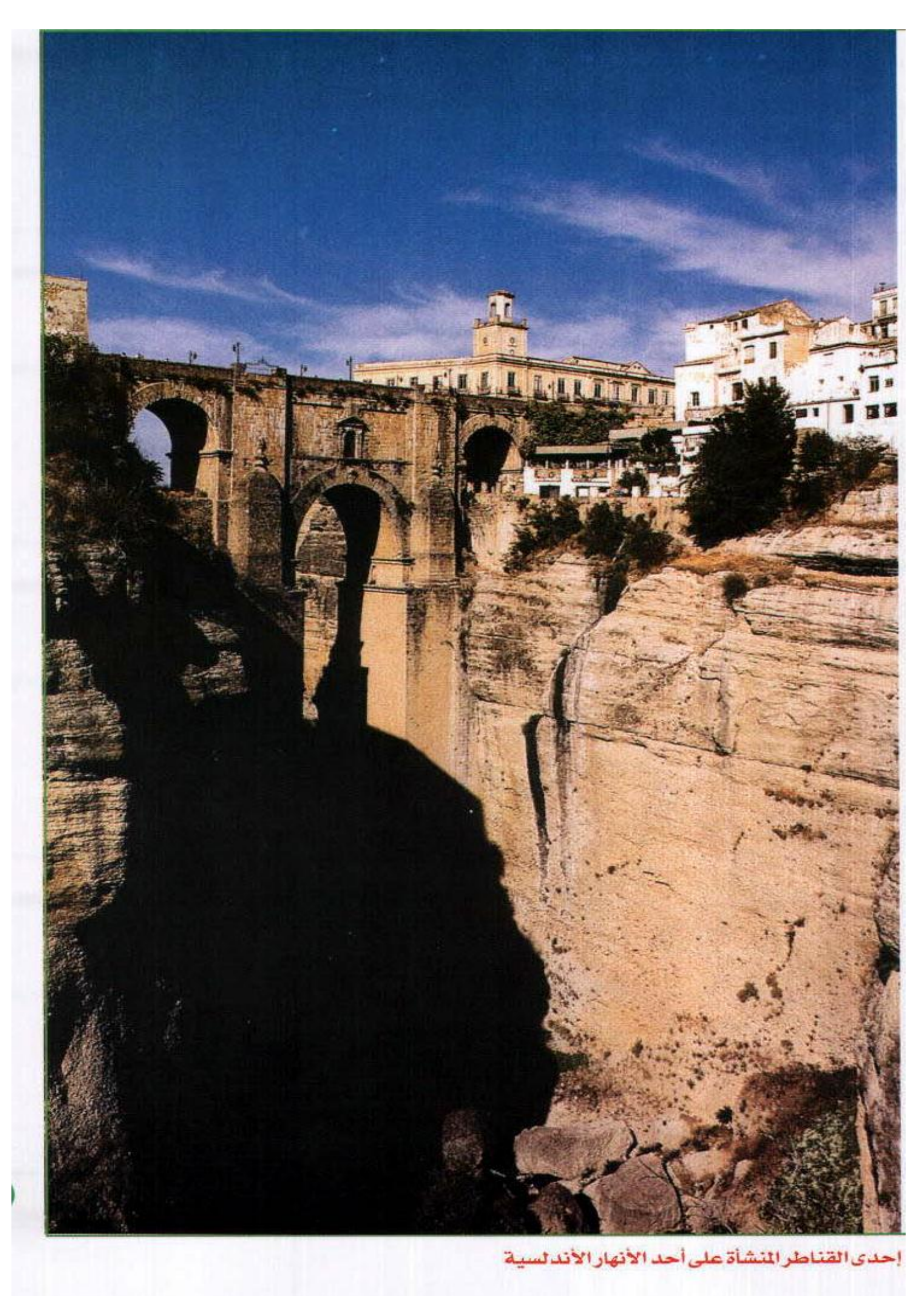
السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص212.

ملحق رقم(35)


منظر لكنيسة نصرانية في أرض الأندلس

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص233.

ملحق رقم (36)



إحدى القناطر المنشأة على أحد الأنهار الأندلسية

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص349.

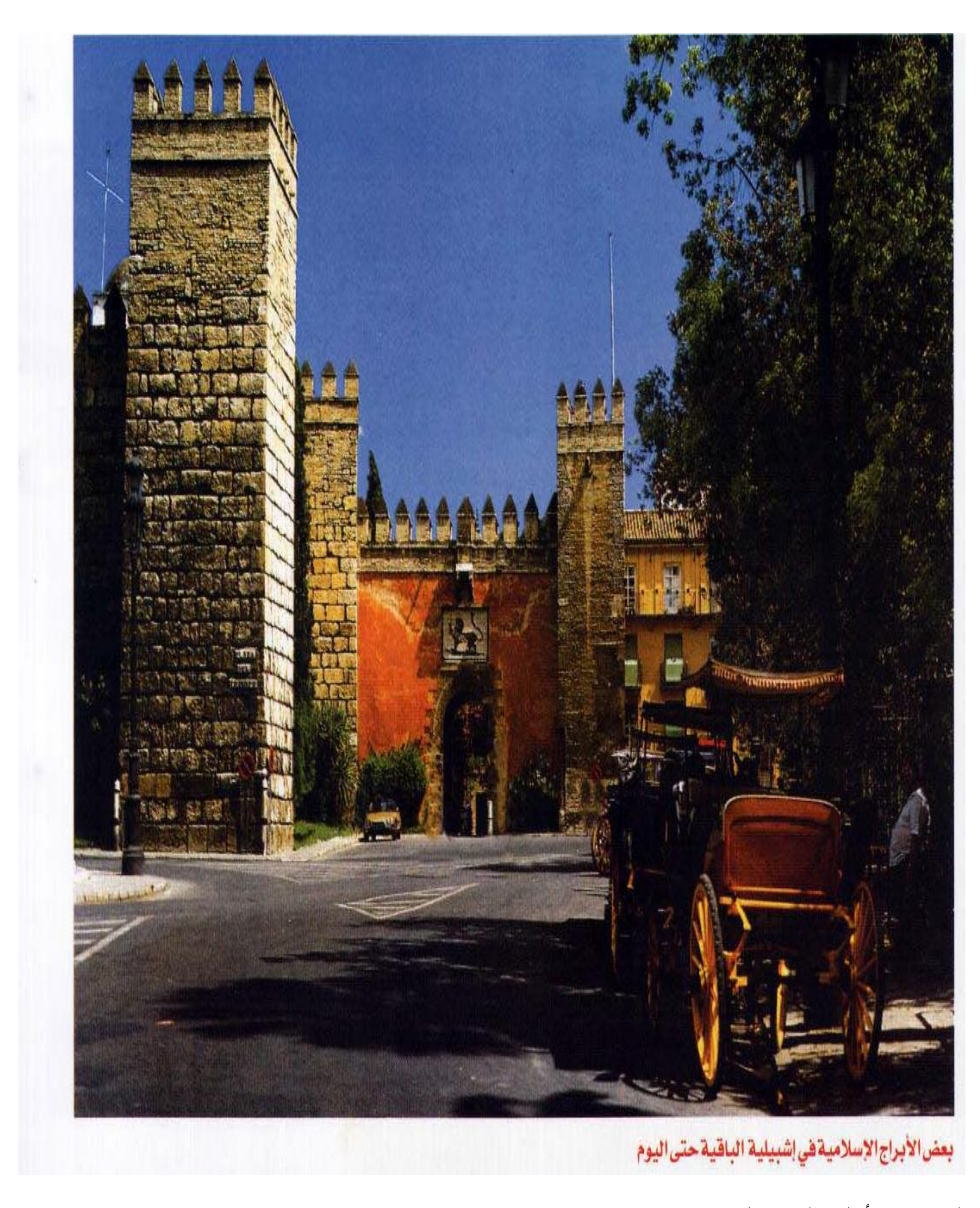
ملحق رقم(37)



المسجد الأعظم في قرطبة حول إلى كنيسة للنصارى وضاعت المئذنة مع مسجدها الخالد ووضعت فيها أجراس الكنيسة وفي أعلاها تجد تمثال الملك رافائيل

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص378.

ملحق رقم(38)


بعض الأبراج الإسلامية في إشبيلية الباقية حتى اليوم

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص394.

ملحق رقم(39)



رسم لغرناطة تظهر فيه الحمراء بأسوارها

السويدان، الأندلس التاريخ المصور، ص395.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

1- القرآن الكريم.

ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، (ت658هـ=1259م):

2- الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط 2 ،1963م.

3- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: فرنشكو كوديرا، مدريد،1886م.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي بكر، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبان ، (ت630هـ=1233م):

4- الكامل في التاريخ ،12جزء،تحقيق:عبد الله القاضي،بولاق،1247م.

ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر(ت810هـ=1407م):

5- نثير فرائد الجمان، تحقيق: رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، 1967م.

ابن الأخوة، محمد بن شريف الفريسي(ت729هـ=1329م):

6- معالم القربة في أخبار الحسبة، تحقيق: روين ليون، كمبريدج، لندن، دار الفنون، د.ط،1937م.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس، (ت558هـ=1163م):

7- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،ج2،طبعة روما،1975م.

8- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، نشر: دوزي روي غويه، طبعة ليدن ،1866م.

الأزدي، أبو زكريا محمد بن إياس (ت151هـ=768م):

9- تاريخ الموصل، تحقيق: علي حسينية، القاهرة، لجنة احياء التراث، 1967م.

الأزدي، الحافظ ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يونس(ت 403هـ):

10- تاريخ العلماء والرواة بالأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني ، القاهرة، ط2 1408هـ=1988م.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله،(ت 430هـ):

11- حلية الأولياء ،ج3،تحقيق: ريم الأبياري، بيروت ، دار الكتاب العربي، ط4، 1405هـ.

الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرمي، (ت فيالنصف الأول من القرن الرابع الهجري):

12- المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الجيني، مراجعة: محمد شفيق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،1381هـ=1961م.

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم،(ت168هـ=270م):

13- عيون الأنباء في طبقات الأطباء،ج2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.

ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتيري (ت542هـ=1147م):

14- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس،1975م، دار الثقافة، بيروت،1978م.

ابن بشكوال، القاضي أبي عبد الله الصوفي(ت678هـ=1182م):

15- الصلة،ج1،نشر: فرنسيسكو كوديرا، مدريد، القاهرة، 1955م.

البغدادي، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي(795هـ=1393م):

16- تاريخ بغداد،ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

البكري، أبو عبد الله بن عزيز(ت487هـ=1094م):

17- المسالك والممالك، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ط1، لبنان، دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1968 م.

18- جغرافية الأندلس وأوروبا، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، بيروت،1968 م.

19- المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، نشر: دي أرسلان، الجزائر، 1911م.

الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى السلمي(ت279هـ= 892م):

20- الجامع الصحيح، المسمى سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار التراث العربي، د. ت. ط.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد(ت728هـ=1328م):

21- الحسبة في الإسلام، دار الفكر، بيروت، د.ت.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل(ت429هـ=1038م):

22- كتاب خاص الخاص، تحقيق: حسن الأمين، بيروت، دار ومكتبة الحياة، د.ت.ط.

الجرسيفي، عمر بن عثمان بن عباس (ت ق6هـ):

23- رسالة في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، 1955م.

الجزري، أبو العادات المبارك من محمد (ت606هـ=1210م):

24- النهاية في غريب الأثر، ج5، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، بيروت، دار النشر، المكتبة العلمية،.

ابن جلجل، أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي(ت أواخر القرن الرابع الهجري= القرن العاشر الميلادي):

25- طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة، دار المكتبة والوثائق القومية ، 2005 م.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت852هـ=1449م):

26- نزهة الألباب في الألقاب،ج1، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، الرياض، مكتبة الرشد،1409هـ =1989م.

ابن حزم، الأندلسي علي بن أحمد (ت465هـ=1063م):

27- طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: الطاهر أحمد مكي، دار الهلال ،1994م.

ابن حوقل، التميمي(380هـ=990م):

28- صورة الأرض، طبعة ليدن، 1938م، طبعة دار الحياة، بيروت، د.ت.

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدي (ت488هـ=1095م):

29- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،القاهرة،1966م.

الحموي، ياقوت أبو عبد الله شهاب الدين (ت626هـ=1229م):

30- معجم البلدان،ج2، دار الفكر، بيروت.

الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت727هـ=1326م):

31- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط، 1975م.

ابـن حيـان، القرطبـي أبـو مـروان بـن خلـف بـن حسـين بـن حيـان بـن محمـد (ت469هـ=1076م):

32- المقتبس في أخبار بلاد الأندلس، تحقيق: محمود مكي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1971م، بيروت، دار الكتاب العربي، 1973م.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله (ت529هـ=1134م):

33- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت، دار عمار مؤسسة الرسالة، ط ، 1983م.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله بن أحمد (ت300هـ=912م):

34- المسالك والممالك، طبعة ليدن،1867م.

الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد(ت366هـ = 976م):

35- قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، تح: السيد عزت العطار الحسني، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1415هـ= 1994م.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر(ت463هـ):

36- تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السليماني(ت776هـ=1374م):

37- الإحاطة في أخبار غرناطة، مجلد1، تحقيق: محمد عبد الله، القاهرة ، الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1974م.

38- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق: أحمد مختار العبادي، القاهرة ،1967م.

39- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر إلى ذلك من شجول الكلام، نشر: ليفي بروفنسال، الرباط، 1934م، بيروت،1956م.

ابن خفاجة أبو إسحق إبراهيم بن خفاجة(ت533هـ=1138م):

40- ديوان ابن خفاجة، تحقيق: السيد مصطفى غازي، الإسكندرية، دار المعارف، 1960م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ=1406م):

41- مقدمة بن خلدون، تحقيق: حجر عاص، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988 م.

42- العبر في خبر من عبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، 1960م.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ=1291م):

43- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: يوسف علي الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998 م.

ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري(ت240هـ=854م):

44- تاريخ إبن خياط، تحقيق: ضياء العمري، الرياض، دار طيبة، ط2، 1985 م.

ابن خير، أبو بكر محمد الإسبيلي (ت575هـ=1179م):

45- فهرسة ما رواه شيوخه، تحقيق: قدارة زيد بن خلبان، بيروت،1979م.

ابن دحية، الكمبي (ت633هـ=1236م):

46- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وآخران، الأميرية ،1954، وتحقيق: مصطفى عبد الكريم، الخرطوم،1954م.

ابن الدلائي، أحمد بن عمر بن أنس العذري (ت478هـ=1085م):

47- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهوازي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1965م.

48- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز الأهوازي.

الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن سعد الزرعي:

49- حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ=1995م، ج14، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية ، د.ت.ط.

الذهبي، شمس الدين إبن عبد الله محمد بن أحمد بن قاماز (ت748هـ=1347م):

50- سير أعلام النبلاء، ج15، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، محي هلال الرمان مؤسسة الرسالة، 1985م.

51- تذكرة الحفاظ ، ج2، الكويت، 1963م.

52- العبر في خبر من عبر،ج2، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت ،1960م.

الرازي، أبو بكر أحمد بن علي الحنفي(ت721هـ=1321م):

53- شرح بدء الأماني، تحقيق: أبي عمرو الحسيني، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت في النصف الأول من القرن السادس الهجري):

54- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، القاهرة،1955م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت328هـ=940م):

55- العقد الفريد،ج5، تحقيق: محمد سعيد العريان، بيروت، دار الفكر.

ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد (ت520هـ=1126م) :

56- البيان والتحصيل والشرح والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق: أحمد الشرقاوي إقبال، ط2، دار الغرب الإسلامي.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت1205هـ=1791م):

57- تاج العروس من جواهر القاموس، ج10، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر، دار النهضة.

58- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد الفضل إبراهيم، القاهرة ،1954م.

الزهري، محمد بن أبي بكر(تأواسط القرن السادس الهجري=أواسط القرن الثاني عشر الميلادي):

59- الجغرافيا، تحقيق: محمد حاج صادق، منشورات: دمشق، المعهد الفرنسي في دمشق، 1970م.

ابن زيري، عبد الله(ت469هـ=1076م):

60- كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، القاهرة، نشر: ليفي بروفنسال، مجموعة ذخائر العرب،.

السائب الكمبي، هشام بن محمد بن السائب الكمبي (ت204هـ=820م):

61- جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1993م.

السبتي، محمد بن القاسم الأنصاري:

62- وصف مدينة سبتة، نشر: ليفي بروفنسال، مجلة هسبيريس،ج1931،12م.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزبري (ت230هـ=845م):

63- الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد صامل السمحي، مكتبة الصديق الطائف، ط1، 1993 م.

ابن سعيد المغربي،علي بن موسى(ت685هـ=1286م):

64- إختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتب، 1985م.

65- المغرب في حلى المغرب،ج1، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، مصر، دار المعارف، 1953م.

السقطي، أبو عبد الله محمد بن بني محمد المالقي الأندلسي(ت: القرن السابع الهجري=القرن الثالث عشر الميلادي):

66- في آداب الحسبة، ترجمة: ليفي بروفنسال، باريس، المعهد المتوسط الوطني المغربي،1931 م.

ابن السماك، العمالي أبو القاسم بن محمد بن أبي العلاء(ت في القرن السابع الهجري =الثالث عشر الميلادي):

السمعاني، عبد الكريم بن محمد:

الأنساب، حيدر أباد، 1962م.

السيلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري(ت1315هـ=1897م):

67- الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء،1952م، الزهرات المنثورة، تحقيق: محمود مكي، مدريد،1984م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(911هـ= 1505م):

68- طبقات الحفاظ، القاهرة، ط1، د. ت.ط.

الشافعي، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:

69- لسان الميزان، تح: دائرة المعارف النظامية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1986م، ط3، ج3.

أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل(ت665هـ=1267م):

70- الروضتين في أخبار الدولتين والصلاحية، بيروت، دار الجيل.

آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن (ت1285هـ = 1868م):

71- فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، القاهرة، دار الحياة للكتب العربية.

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر(ت774هـ=1372م):

72- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،1946م.

ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن أحمد(ت594هـ=1198م):

73- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق: عبد الهادي الغازي، بيروت،1964م.

ابن الصاعد، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت462هـ=1070م)):

74- طبقات الأمم، تحقيق: الأب لويس شيخو، بيروت،1912م.

الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك (ت764هـ=1363م):

75- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث،1420هـ=2000م.

الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد بن عميرة (ت599هـ=1203م):

76- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، سلسلة تراثنا، المكتبة الأندلسية، القاهرة، دار الكتاب العربي،1967م.

الطبري، محمد بن جرير(ت 310هـ=922م):

77- تاريخ الرسل والملوك،ج9، بيروت، دار الفكر، 1988م.

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري(ت 520هـ=1125م):

78- سراج الملوك، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1414هـ=1994م.

79- الحوادث والبدع ، تحقيق: محمد الطالبي، تونس،1959م.

ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي (ت النصف الأول من ق6هـ):

80- رسالة في القضاء والحسبة، منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة،1955 م.

ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 695هـ=1261م):

81- البيان المغرب،ج2، تحقيق: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، لندن، دار الثقافة ،بيروت،1948-1951م.

أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم(ت 333هـ944م):

82- طبقات علماء أفريقيا وتونس، تحقيق:علي الشابي، نعيم حسن الباقي، تونس، 1968م.

ابن عساكر، عمي بن الحسين بن عبد الله (ت571هـ1175م):

83- تاريخ مدينة دمشق،ج6، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي.

العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل(ت852هـ=1448م):

84- فتح الباري بشرح البخاري،ج6، مصر ،1959م.

بن عمر: أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الكناني(ت289هـ=902م):

85- أحكام السوق، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، 1975 م.

العمري،شهاب الدين بن فضل الله (ت749هـ=1348م):

86- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،الجزء الخاص بوصف أفريقيا والأندلس تونس، نشر: حسن حسني عبد الوهاب.

ابن غالب، الأندلسي(ت في القرن السادس الهجري=الثاني عشر الميلادي):

87- فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، القاهرة، نشر: لطفي عبد البديع، مجلة المخطوطات العربية، 1959م.

أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل بن علي (ت732هـ=1332):

88- تقويم البلدان، تصحيح: رينود والبارون ماك، توكين ديلاق، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1850م.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد(ت170هـ=786م):

89- كتاب العين،ج7، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بيروت، دار ومكتبة الهلال، د.ت.ط.

ابو الفرج، قدامة بن جعفر:

90- الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، بغداد، دار الرشيد، 1981م.

ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي(ت403هـ=1012م):

91- تاريخ علماء الأندلس،ج16، القاهرة، 1966 م.

92- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس، القاهرة، نشر: عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني، 1988 م.

ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني(ت 279هـ=892م):

93- مختصر كتاب البلدتن، ليدن، 1885م.

القرطبي، عريب ابن سعيد(ت671هـ=1272م) :

94- صلة تاريخ الطبري، تحقيق: محمد بن أبي الفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ،1982م.

القزويني، زكريا(ت 1203هـ=1283م):

95- آثار البلاد وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، نشر: وستنفلد.

القضاعي، ابو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر(ت454هـ= 1062م):

96- تاريخ القضاعي "عيون المعارف وفنون الخلائف"، تح: جميل عبد الله المصري، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1415هـ.

القلشندي، أحمد بن علي (ت821هـ=1418م):

97- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي الطويل، ط1، دمشق، دار الفكر،1987م.

ابن القوطية، محمد بن عمر بن عبد العزيز(ت367هـ=977م):

98- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، بيروت،1958 م.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت 774هـ=1372م):

99- البداية والنهاية،ج11،مكتبة المعارف،بيروت،1974م.

ابن الكردبوس، (ت 681هـ=1282م):

100- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد،1971م.

ابن ماجه، محمد بن يزيد ابو عبد الله القزويني(ت275هـ):

101- سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.

مالك، مالك ابن أنس (ت 179هـ=795م):

102- كتاب الموطأ، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط1، 1979م.

المالكي، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري(799هـ):

103- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت، دار الكتب العلمية.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي بن حبيب البصري البغدادي(ت450هـ=1057م):

104- الأحكام السلطانية، مصر، 1928م.

ابن محمد، أبو القاسم الحسين:

105- المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلانى، لبنان، دار المعرفة.

المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي(ت 712هـ=1312م):

106- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، بيروت، لبنان دار الثقافة.

107- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مصر، مطبعة السعادة، 1324هـ، نشر: محمد سعيد العريان، محمد العلمي، القاهرة،1949م.

المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة (ت458هـ=1066م):

108- المحكم والمحيط الأعظم، ج8، القاهرة ،1982م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت346هـ=957م):

109- مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصر ،1306هـ، ليدن،1967م.

110- التنبيه والإشراف، بيروت، لبنان،1965م.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري(:512هـ=1146م)

111- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: د يغويه، ليدن، 1906 م.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي(643هـ):

112- الأحاديث المختارة، تح: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ط1، 1410هـ.

المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت 770هـ=1368م):

113- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي،ج2، بيروت، دار النشر المكتبة العلمية.

المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت1014هـ=1631م):

114- نفح الطيب من عطر الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين إبن الخطيب ،تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، 1998م.

115- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ،القاهرة، 1939م.

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي(ت 845هـ=1441م):

116- السلوك لمعرفة دول الملك، القاهرة، نشر: محمد مصطفى زيادة، 1936م.

117- الخطط، القاهرة ، ط2، 1987 م.

ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت711هـ=1311م):

118- لسان العرب، بيروت، دار النشر، دار صادر، ط1

مؤلف مجهول:

119- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تحقيق ونشر :E.lafyccntc، مجريط،1967م.

120- فتح الاندلس، الجزائر، نشره: دون خواكين جنثالث، ،1889م.

121- مفاخر البربر، الرباط، نشر: ليفي بروفنسال، 1934م.

122- الإستبصار في عجائب المعصار، تحقيق: أسعد زغلول، جامعة الإسكندرية، 1958م.

123- تاريخ الأندلس، تح:عبد القادر بوباية، بيروت، دار الكتاب العلمي، 1428هـ.

النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين المالقي (ت776هـ=1374م):

124- تاريخ قضاة الأندلس المسجا (المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، القاهرة، نشر :ليفي بروفنسال، دار الكتاب العربي، 1948م.

النويري،شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ=1332م):

125- نهاية الأدب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ=2004م.

ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبد الرحمن (ت ق8هـ=14م):

126- حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، القاهرة، دار المعارف، 1949م.

127- تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، نشره وترجمه إلى الفرنسية: لويس مارسيه.

عبد الواحد،بن علي:

128- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، دار العرجاني للنشر والتوزيع، 1994م.

ابن الوردي، سراج الدين بن حفص بن عمر أبو الفوارس(ت861هـ=1457م):

129- كتاب فريدة العجائب، نشر: ليدن،1823م.

المراجع العربية:

أحمد عبد الرازق، أحمد:

1- الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1991 م.

أمين، أحمد:

2- ظهر الإسلام،ج3، القاهرة ،1962م.

3- فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط12، 1978م.

الأوسي، حكمت:

4- فصول في الأدب الأندلسي، دار صامد،1987م.

بدر، أحمد:

5- دراسة في تاريخ الأندلس وحضارتها، دمشق،1972م.

6- تاريخ الأندلس في القرن الرابع هجري عصر الخلافة، دمشق،1974م.

عبد البديع، لطفي:

7- الإسلام في أسبانيا، المكتبة التاريخية، مكتبة النهضة المصرية،1041هـ=1633م.

بشتاوي، عادل سعيد:

8- الأندلسيون الموراكة، القاهرة ، مصر، دار الكتب، ط1، 1951م.

بيضون، إبراهيم:

9- الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، بيروت، دار النهضة العربية، ط3، 1986م.

جودت، هلال محمد محمود صبح:

10- قرطبة في التاريخ الإسلامي، دار الأرقم، القاهرة،1962م.

الجيوسي، سلمى الخضراء:

11- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2، مركز دراسات الوحدة العربية.

حايك، سيمون:

12- الناصر لدين الله أول خليفة في الأندلس، بغداد، دار النشر للجامعيين، مكتبة النهضة، ط2، 1962م.

حتى، فليب:

13- العرب تاريخ موجز، بيروت، دار العلم للملايين، ط6، 1991م.

الحجي، عبد الرحمن علي:

14- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس.

15- أندلسيات ،ج2، دار الإرشاد للطباعة والنشر.

16- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، القاهرة، دار الاعتصام، ط1 ،1403هـ =1983م.

17- تاريخ الموسيقى الأندلسية أصولها وتطورها وأثرها على الموسيقى الأوروبية، بيروت، 1969 م.

حسن، إبراهيم:

18- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي،ج2، بيروت، دار الجيل.

حسن، إبراهيم، علي إبراهيم حسن:

19- النظم الإسلامية، القاهرة،1962م.

حسن، علي حسن:

20- الحياة الدينية في المغرب، القاهرة، مكتبة الخانجي،1980م.

حسن، حسني عبد الوهاب:

21- ومضات من الحضارة العربية ،ج2، تونس، ط1، 1966م.

حسن، أحمد محمود:

22- العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي.

الحفني، محمود:

23- زرياب موسيقار الأندلس، مجموعة أعلام العرب.

حلاق، حسن:

24- العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (الأندلس، صقلية، الشام)، بيروت، الدار الجامعية، 1986م.

الحلوجي، عبد الستار:

25- لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، القاهرة، دار الثقافة ،1982م.

عبد الحليم، رجب محمد:

26- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتب الإسلامية.

خماش، شحده:

27- دراسات في الآثار الإسلامية ، دمشق، منشورات: جامعة دمشق، ط7، 2004م.

الدوري، إبراهيم ياس:

28- عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية، بغداد،1982م.

دويدار، حين يوسف:

29- المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، 1414هـ=1994م.

دياب، محمد حامد الشافعي:

30- الكتب والمكتبات، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر.

31- تاريخ العرب في أسبانيا ،ج1، القاهرة ،1914م.

الرفاعي، أنور:

32- الإسلام في حضارته ونعمه، دمشق،1973م.

الركابي، جودت:

33- في الأدب الأندلسي، مصر، دار المعارف، ط2، 1966م.

أبو رميلة:

34- الأسبان والحضارة الإسلامية، مجلد3، مجلة معهد المخطوطات العربية، يوليو،1986م.

زبيب، نجيب:

35- الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير.

الزركلي، خير الدين:

36- الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 2002م.

زكي، عبد الرحمن:

37- السيف في العالم الاسلامي، القاهرة،1957 م.

زيتون، محمد محمد:

38- المسلمون في المغرب والأندلس ،1411هـ=1990م.

زيدان، جورجي:

39- رويات تاريخ الأندلس، دار الهلال،1984م.

سابق، السيد:

40- العقائد الإسلامية، الناشر: بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.

سالم، عبد العزيز:

41- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة بقرطبة، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1961م.

42- في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، بيروت،1969م .

43- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس،ج1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1971م.

44- القيم الجمالية في فن العمارة الإسلامية ، بيروت،1962م.

45- فن الغناء والموسيقى، عدد61، القاهرة،1959م.

السامرائي، خليل إبراهيم صالح:

46- دراسات في تاريخ المغرب العربي، دار الكتب للطباعة والنشر،1992م .

47- الثغر الأدنى الأندلسي، الموصل، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، ط1 ، 2008م.

48- حضارة العرب في الأندلس، الموصل، دار ابن الاثير للطباعة والنشر.

49- أثر الحضارة العربية في الأندلس، الموصل، 1998م.

السامرائي، خليل إبراهيم، عبد الواحد ذنون طه، خليفة وناطق صالح مطلوب:

50- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1987م.

سعيد، عبد الفتاح وآخران:

51- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، الكويت، دار السلاسل، ط2، 1406هـ.

السندوي، أحمد:

52- تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، 1948 م.

سودة، أحمد بن سودة:

53- الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير.

السويدان، طارق:

54- الأنـدلس التـاريخ المصـور، الناشـر: شـركة الإبـداع الفكـري،ط1، 1426هـ- 2005م.

شاكر، مصطفى:

55- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط1، 1988م.

الشرقاوي، عبد الحميد:

56- الحياة الاقتصادية في الأندلس في القرن الرابع هجري، جامعة القاهرة ،1950م.

الشطي، أحمد شوكت:

57- مجموعة أبحاث في الحضارة العربية الإسلامية والمجتمع العربي، مطبعة جامعة دمشق ،1963م.

شكيب، أرسلان:

58- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ،ج1، بيروت، دار ومكتبة الحياه.

59- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، مصر، مطبعة عيسى البالي الحلبي وشركاه،.

شلبي، أحمد:

60- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج4، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط4، 1970م.

61- التربيـة الإسـلامية نظمهـا فلسـفتها وتاريخهـا، القـاهرة، مكتبـة النهضـة المصـري، ط6، 197م.

شوقي، ضيف:

62- عصر الدولة والإمارات الأندلسي، ط3، دار المعارف.

63- المدارس النحوية، القاهرة، دار المعارف، ط4، 1979م.

صاحب الشرطة في الأندلس:

64- مجلة المؤرخ العربي، العدد 13، ومجلة أوراق، العدد 3، 1980م، يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة.

الصوفي، خالد:

65- تاريخ العرب في الأندلس عصر المنصور الأندلسي، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب.

طاهر، مصطفى العميد:

66- آثار المغرب والأندلس، بغداد، 1989 م.

طرخان، إبراهيم علي:

67- دولة القوط الغربيين، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، 1958م.

68- المسلمون في فرنسا وإيطاليا مستخرج من حوليات كلية الآداب، مجلد 23،ج2، 1961م.

طقوش، محمد سهيل:

69- تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النقاش، ط1، 2005م.

طه، عبد الواحد ذنون:

70- عهد الإمارة في الأندلس، كتاب تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الموصل، منشورات مكتبة بسام، ط1، 1986م.

71- دراسات اندلسية، المجموعة الأولى، الموصل، منشورات مكتبة بسام، ط1، 1986م.

طه، ندا:

72- فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار الكتاب العربي، 1878م .

الطيبي، أمين توفيق:

73- دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس ،ج2، الدار العربية للكتاب.

عاشور، سعيد عبد الفتاح :

74- النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر،1974م .

75- أوروبا العصور الوسطى،ج1، ط4، 1966م.

العاضيدي، خاشع:

76- تاريخ العرب في الأندلس، بغداد، 1986م.

العبادي، أحمد:

77- الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة ومعهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مطبعة ومعهد الدراسات الإسلامية ،1970م.

78- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت،1969م.

79- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، دار النهضة العربية، بيروت.

80- المجمل في تاريخ الأندلس، سلسلة المكتبة التاريخية ،القاهرة،1958م.

81- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مطبعة المصري، الإسكندرية،1968م.

82- في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، دار النهضة العربية، 1971م.

83- في تاريخ المغرب والاندلس، الإسكندرية ، مصر ،1968م.

84- الصقالبة في أسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية، مدريد،1953م.

85- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال خزى وشركاه،2000م.

عباس، إحسان:

86- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، بيروت، دار الثقافة ، ط1، 1960م.

العجمي، أبو اليزيد أبو زيد:

87- العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة ، دار السلام للطباعة والتوزيع.

العريان، محمد العربي العلمي:

88- تاريخ الأندلس، القاهرة ،1949م.

علام ، عبد الله علي:

89- الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، القاهرة،1971م.

العلي، صالح أحمد وآخرون:

90- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة الآداب، النجف الأشرف،1395 هـ=1975م.

علي، محمود كرد:

91- الإسلام والحضارة العربية، مطبعة القاهرة، دار الكتب المصرية، 1934م.

العمر، تيسير خميس:

92- حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، بيروت، لبنان، دار الفكر المعاصر.

عنان، محمد عبد الله:

93- دولة الإسلام في الأندلس الخلافة الأموية، الدولة العامرية، ج2، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط4، 1389هـ=1969م.

94- الآثار الباقية في أسبانيا ، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1997م.

95- الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، القاهرة، مؤسسة الخانجي، ط2، 1961م.

96- دولة الطوائف منذ قيامها حتى فتح المرابطين، القاهرة، مطبعة الخانجي، 1997م.

فراج، عز الدين:

97- فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي،1978م.

فرحات، يوسف شكري:

98- غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، دار الجيل، ط1، 1992م.

فروخ، عمر:

99- تاريخ العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، بيروت،1959م

القيسي، مروان إبراهيم:

100- التحفة الشيعية في تهذيب شرح العقيدة الطاحاوية، دائرة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ط1، 1404هـ=1984م.

الكعاك، عثمان:

101- الحضارة العربية في البحر المتوسط، دار العرب،1997م.

الكناني، عبد الحي:

102- التراتيب الإدارية في المدينة المنورة العلية، الرباط،1946م.

الكيالى، عبد الوهاب:

103- موسوعة السياسة، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

لطفي، عبد البديع:

104- الإسلام في أسبانيا، المكتبة التاريخية، مكتبة النهضة المصرية ،1041هـ=1633م.

لطفي، بركات أحمد:

105- المعجم التربوي، الرياض، دار الواحة، 1984م.

ماجد، عبد المنعم:

106- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، ط3، 1973م.

المبارك ،هاني أبو خليل شوقي:

107- دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، دمشق، سوريا، دار الفكر، 1996م.

محمد، دياب:

108- تاريخ العرب في أسبانيا ،ج1، القاهرة ، 1988 م.

محمود، منى حسن:

109- المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، القاهرة، دار الفكر العربي،1986م.

مرحبا، محمد عبد الرحمن:

110- الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، بيروت،1970م.

مرزوق، محمد عبد العزيز:

111- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت،1972م.

مريم، الطويل:

112- ممالك المرية في عهد المعتصم بن صمادح، مكتبة الوحدة العربية الدار البيضاء ،1944م.

مصطفى، إبراهيم الزيات، أحمد عبد القادر، حامد النجار محمد:

113- المعجم الوسيط ،ج2، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

مصطفى، الشكعة:

114- الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده، دار الكتب الاسلامية ، ط1، 1957م.

مصطفى، محمد حميد اتو:

115- مدرسة الحديث في الأندلس،ج1، بيروت، دار إبن حزم، ط1، 2007م.

مطلق، البير حبيب:

116- الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الطوائف، بيروت، المكتبة العصرية، 1967م.

معروف، ناجي:

117- المدخل في تاريخ الحضارة العربية، بغداد، مطبعة العاني، 1960م.

مكي، محمود علي:

118- تاريخ الأندلس السياسي،92-897هـ.

119- ديوان ابن دراج القسطلي، دمشق،1961م.

120- مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في أسبانيا، مؤتمر مجمع اللغة العربية، القاهرة ،1995م.

المنوفي، محمد:

121- التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991م.

مؤنس، حسين:

122- فجر الأندلس، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1959م.

123- رحلة الأندلس، القاهرة، مطابع كوستا توماس، ط1، 1964م.

124- المسلمون في حوض البحر المتوسط، المجلة التاريخية، مجلد 7، 1951م.

125- الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، مدريد،1386هـ=1967م.

126- موسوعة التاريخ الأندلس،ج1، القاهرة.

الميداني، عبد الرحمن حسن جنكة:

127- إبراهيم وأدلة إيمانية، دار العلم، دمشق.

الناضوري:

128- المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بيروت،1969م.

نجدة، خماش:

129- دراسات في الآثار الإسلامية، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ط7، 2004م.

النشار، محمد محمود:

130- مدينة شلب بين البرتغاليين والصليبيين والموحدين، دار الحراء، الميناء،1994م.

نعنعي، عبد المجيد:

131- تاريخ الدولة الأموية، بيروت، دار النهضة العربية، 1980م.

نور الدين، زهروتي:

132- الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2006م

هيكل، أحمد:

133- الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دارالمعارف،1985م.

المراجع الأجنبية المترجمة:

آدم ميتز:

1- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تعريب: عبد الهادي أبو ريدة وآخران.

أرنولد توماس:

2- الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم.

أنجيل، جنثالث بالنيثا:

3- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1955م.

أرشيبالد لويس:

4- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، تقديم: شفيق غربال.

بارنولد:

5- تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ترجمة: حمزة طاهر، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، د.ت.

ج.س.كولان:

6- الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

جوزيف رينو:

7- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا، ترجمة: شكيب أرسلان، بيروت،1966م.

8- الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا، تعريب وتعليق: الحواشي، تقديم: إسماعيل العربي، الجزائر، ط1، 1984م.

خوان فيرنيت:

9- فضل الأندلس على ثقافة العرب، ترجمة: نهاد رضا، فاضل السباعي، دمشق، دار إشبيلية للدراسات والنشر، 1972م.

دافيد وينز:

10- فنون الطبخ في الأندلس، من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2، تحري: سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1998م.

دوزي ريزت:

11- المسلمون في الأندلس (أسبانيا الإسلامية)، تعريب: حسن حبش، القاهرة، الهيئة العربية للكتاب، 1994م.

روبرت هيلنبراند:

12- زينة الدنيا، قرطبة القروسيطية، مركز ثقافيا عالميا،ج1.

روجو بواز:

13- التأثير العربي في الشعر الغربي الأوروبي، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج1،1985 م.

ريبيرا جوليان:

14- نصوص عجمية، ترجمة: الطاهر مكي، مصر، دار المعارف، 1984م.

15- التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، 1994م.

رينان آرنست:

16- ابن رشد والرشيدية، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، 1957م.

زيغريد هونكه:

17- شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، كمال سوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

سانشير اكسيراثيوث غاريثا:

18- الزراعة في أسبانيا المسلمة كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2، 1998م.

سيجفريد هونكة:

19- فضل العرب على أوروبا، ترجمة: فؤاد حسين علي، دار النهضة العربية.

فارمر(هنري جورج):

20- تاريخ الموسيقى الأندلسية، ترجمة: حسين نصار، القاهرة، 1956م.

فيشر:

21- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى،ج1، ترجمة: وليم لانجر.

فيرنيه خوان:

22- في العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط2، بيروت،1999 م.

كريستوفردوسن:

23- تكوين أوروبا، ترجمة محمد مصطفى زيادة، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، مؤسسة كل العرب،1967م.

ليفي بروفنسال:

24- حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط، بيروت، دار مكتبة الحياة،.

لين بول ستانلي:

25- قصة العرب في أسبانيا، ترجمة: علي الجارم، مصر، دار المعارف، 1947م.

لوبون غوستاف:

26- حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1956م.

مارغرينا لوبيز غوميز:

27- إسهامات حضارية للعالم الإسلامي في أوروبا عبر الأندلس، كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2، مصر، دار المعارف،.

مونتغمري وات:

28- في تاريخ أسبانيا مع فصل في الأدب، بقلم ليبر كاكيا، نشر: محمد رضا المصري، بيروت، لبنان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط4، 1998م.

رسائل ماجستير ودكتوراه:

بولعراس خميس:

1- الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف(رسالة ماجستير غير منشورة)، باتنة، جامعة الحاج الخضر، 1428هـ=1007م.

حمزة، آمنة عودة:

2- الصيادلة والعشابون في الأندلس، رسالة ماجستير، مجلس كلية الآداب، بغداد،2007م.

الخفاف، مهى سعيد:

3- الحياة العلمية في الموصل منذ الفتح حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل،2009م.

زيارة، نادر:

4- الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، (92-711هـ=668-1269م).

العكيدي، برزان ميسر حامد أحمد:

5- مدينة شلب من الفتح العربي الإسلامي حتى سقوطها في أيدي البرتغاليين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل،2009م.

العلياوي، حسين جبار مجيتل:

6- الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة النصرة ،2005م.

المراجع الأجنبية:

1. Balbas, Leopoldo Torres, Cludades Hispano, Musulmanas,Conclusion: Henri Terrasse, Tomol.
2. Bury, J. B. The Cambridge Medieval History, Cambridge, 1964,Vol. III.
3. Encyclopedia Britannica, Library of the Congress, U.S.A., 1966,Vol. 9.
4. Provencal, E. Levi, Histoire De L'Espagne Musulmane, TomePremier, Laconquetes Et'L Emirat Hispano Umatyade (710-912),
5. Tome 11, Le Califat Amaiyde De Coreoue, (912 1031), Paris,1950, Tome 111, Lesiecie Du Califai De Cordoue, Paris, 1967

Abstract

Creative of Islamic civilization in Al Andaluss, Imara and Khelefa time in(138-422) (755-1030)

the research talked about what Arab A ndaluss Muslims developed in all aspects of life after the liberation of Al Andaluss.

Therefore, the research was divided into sixchapters which proceeded by an introduction then a conclusion that summarized the most important results that the researcher reached to .and the resources which were recording in theresearch .the chapters are as follow:

The first chapter talked about the Andaluss Muslims creativity qualifications such asa strong belief ,Islamic principles, and its doctrines like loyalty , justice, farness away from racism and morals of Muslims,also their abilities to deal with civilizations which was founded in Al Andaluss that time.Although, the difference of religions ,thoughts, nationalisms and origins ,they were involved in the social life without distinction.

the second chapter referred to the intellectual, scientific, literary, educational, medical andJurisprudential aspects .

the third chapter was about architecture , music, singing and clothes which differentiated Andalusess. Also, their food ,drink and traditions.

the fourth chapter talked about the political and administrative creativity either in the time of Imara or the Khelfa and illustrated the political maturity dealing of their politicians and leaderswith enemies and friendsweather inside or outside.

the economic side with its all fields was explained through the fifth chapter. Specially the field of agriculture ,industry,trade, and income resources which were back to treasury and home money of

Al andaluss. By gathering different taxes and levies. Which led to a kind of development and help to create the civilization of Al-andaluss.

the last chapter spooked about themilitary creativity ofAndaluss specially in the army system,plane, building forts and castles also walls , to protect country from any inside or outside attack .

By this creative civilization the A ndaluss Muslims were able to continue in their country for eight centuries. that was an evidence to show their ability to be mixed with the Andaluss society and benefiting from its different categories.